

طَيْبَةُ النَّسْرِ
فِي فِقْهِ

مَقَاصِدِ الْوَصِيَاةِ الْعَشْرَةِ

تَأَلَّفَتْ
فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ
الدُّكْتُورِ الْحَمِيدِ أَمِينِ أَرْزَمَلَةَ سَلِيمِ بْنِ عَمْرِو الْعَدَوِيِّ

دار ابن حزم

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طَيْبَةُ النَّشْرِ
فِي فَقْهِ
مِقَاصِدِ الْوَضَائِعِ الْعَشْرَةِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

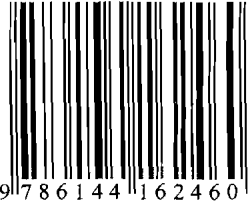
طَبِّبَةُ النَّسْرِ فِي فِقْهِ

مِقَاصِدُ الْوَضَائِعِ الْعَشْرِ

تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور المحترم **أبي أسامة سليم بن عبد الحلدي**

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة للنـاشـر
الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



ISBN 978-614-416-246-0

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها

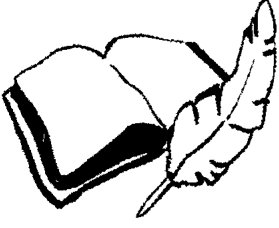
دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،
 ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
 وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الدين كله وصية من الله لعباده: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى
 بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
 تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
 إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وهذه الوصية استغرقت الأمم كلها، وشملت الأجيال جميعها: ﴿وَلِلَّهِ
 مَكَانُ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ
 أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾
 [النساء: ١٣١].

ومن هذه الوصايا الجامعة التي تدور على: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾
 الوصايا العشر، والتي هي من ميراث النبوة الأولى، ولذلك؛ فهي موجودة في كتب
 أهل الكتاب من قبلنا، ولم تنسخ في ملة قط.

وهذه الوصايا ذكرت في القرآن الكريم في موضعين:



الأول: سورة الأنعام من آية ١٥١ إلى آية ١٥٣: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلْتُمْ إِنَّهُنَّ ذُرِّيَّتُكُمْ وَإِنسَاهُمْ لَآ تَعْقِبُوا أَلْفَوْحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

الثاني: سورة الإسراء من آية ٢٣ إلى ٣٩: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غُفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْفُهُمْ وَإِنَّا لَنَآكُرُ إِن قَتَلْتُمْ أَنفُسَكُمْ فَتَكُونُوا كَمَا يُقْتَلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ بِهِ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٣﴾ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كَلَّمْتُمْ مِيزَانًا بِالْقِسْطِ أَلَّا تَكُونُوا مِنَ الْمُقْسِطِينَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عَلَّمَ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن هذه الآيات: «هي المحكمات التي ذكرها الله في سورة آل عمران، أجمعت عليها شرائع الخلق، ولم تنسخ قط في ملة». وآيات سورة الإسراء تفسير لآيات سورة الأنعام، وتفصيل لها. ومن أعطى هذه الآيات حقها من التدبر؛ وجدها كالتمرة كلما مضغتها ازدادت حلاوة.

والجامع لهذه الوصايا العشر عشر مسائل:

الأولى: أنها تنظم علاقة الإنسان بربه، وبغيره من الخلق، وبنفسه. علاقته مع ربه التي تنظم حياته -أيضًا- مع الكون والحياة؛ فينال السعادة في الدارين.

علاقته مع غيره من الخلق، وبخاصة أسرته التي تقوم على المودة، والرحمة، والتعاون، والمحبة.

وكذلك مجتمعه التي تقوم على الأخوة، وتبادل المنافع والمصالح، وحفظ الحقوق.

علاقته مع نفسه حيث يزيكها؛ ليفلح، ويفوز في الدنيا والآخرة.

الثانية: أطلق العلماء على هذه الآيات الثلاث في سورة الأنعام اسم الوصايا العشر؛ لأن كل آية ختمت بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِهِ﴾ مما يدل على عظمتها، ويبين أهميتها، وأنها اشتملت على خير الدنيا والآخرة، ولذلك بايع



عليها رسول الله ﷺ.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يباعدني على هؤلاء الآيات» ثم قرأ: ﴿قُلْ نَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ حتى ختم الآيات الثلاث: فمن وفي؛ فأجره على الله، ومن انتقص شيئاً أدركه الله بها في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخرج إلى الآخرة كان أمره إلى الله: إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»^(١).

الثالثة: أنها اشتملت على حفظ الضرورات الخمس؛ وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسب:

ففي حفظ الدين قوله تعالى: ﴿أَلَا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِيكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

وفي حفظ النفس قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

وفي حفظ النسل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾.

وفي حفظ المال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾.

وفي حفظ العقل كلها تشير إلى ذلك؛ لأنه لا يمكن القيام بهذه الأمور إلا به، وأما فاسد العقل فلا يقوم بها، وقد حصلت الإشارة إلى ذلك بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

(١) أخرجه الحاكم (٢/٣١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٨٠٧٧).

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي؛ إلا أن فيه سفيان بن حسين، وهو ثقة إلا في غير الزهري باتفاقهم.

الرابعة: أنها وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»^(١).

هذه مقالة عظيمة تدل على أنها جمعت كل خير أرشد إليه رسول الله ﷺ،

وبينت كل شر حذر منه ﷺ.

وهي وصية لم تتغير ولم تتبدل؛ لأنها مختومة بختم خاتم المرسلين؛ كما فهم السلف الصالح ذلك؛ فقد قال الربيع بن خيثم لجلس له: أيسرك أن تؤتى بصحيفة من النبي ﷺ لم يفك خاتمها؟

قال: نعم.

قال: فاقرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

ولذلك هي في نظر السلف الصالح خلاصة هذا الدين العظيم، وغاية هذا الصراط المستقيم الذي يهدي إليه محمد ﷺ.

الخامسة: أنها قطعت العذر، وأقامت الحجة على الخلق؛ لأن الخطاب فيها لأمة الدعوة؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ فهذا النداء للخلق جميعاً؛ لأن هذه الرسالة الخاتمة للثقلين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

السادسة: هذه الوصايا العشر اشتملت على أمّات أصول المحرمات في

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٦٠)، وفي «الأوسط» (١١٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٧/٦) بإسناد حسن إن كان داود الأودي هو ابن عبد الله الثقة.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣١/٧)

الأقوال والرذائل في الأفعال حتى نجنبها، وقواعد الفضائل وأنواع البر حتى نتبعها؛ فهي تأمر بجميع المأمورات الشرعية إيجاباً واستحباباً، وتنهى عن كل المحظورات الشرعية تحريماً أو كراهة.

يدل على ذلك: أنها ختمت بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والتقوى؛ هي: فعل المأمور، وترك المحظور.

السابعة: هذه الوصايا العشر هي قوام الدين بشموله وكماله:

فهي قوام الحياة بالعبودية لله التي مدارها على التوحيد، وقوام الأسرة بحلقاتها المتصلة المتتابعة عبر الأجيال.

وقوام المجتمع بتعاونه وتكافله وطهره؟

وقوام الحياة كلها مبتدئة بتوحيد الله محتومة بعهدته وميثاقه الذي يضمن لمن سلك سبيله ألا يضل، ولا يشقى، ولا يقلق، ولا يضطرب، ولا همٌّ عليهم، ولا هم يحزنون.

الثامنة: وقد انقسمت الأحكام التي تضمنتها هذه الجمل المتعاطفة في الآيات الثلاث إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أحكام بها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس؛ وهو: ما افتتح بقوله: ﴿أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

الثاني: ما به حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض؛ وهو: المفتتح بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ .

الثالث: أصل كلي جامع لجامع الهدى؛ وهو: اتباع طريق الإسلام، والتحرز من الخروج عنه إلى سبل الضلال؛ وهو: المفتتح بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ .

وقد ذيل كل قسم من هذه الأقسام بالوصاية به بقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ ثلاث مرات (١).

التاسعة: النصيحة هي الدين؛ لأن الدين جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور والتي هي أحسن للتي هي أقوم.

والدين هو النصيحة؛ لأن النصيحة مقصد هذا الدين الذي جاء ليخرج الناس من الجور إلى العدل، ومن الضيق إلى السعة، ومن الغضب والضلال واللعنة إلى الرحمة.

وباب النصيحة الأعظم؛ هو: التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالرحمة.

وهذه الوصايا الجامعة لمقاصد النصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، وأئمة المسلمين وعامتهم؛ فلا جرم أن تكون قطب الدين الذي تدور عليه رحي العبودية.

العاشرة: هذه الوصايا الجامعة المانعة تحقق قاعدة الدين الكبرى وغايتها العظمى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾؛ فهي مبدوءة بكلمة التوحيد المتضمنة إقامة الدين، ومختومة بتوحيد الكلمة المتضمن عدم التفرق في الدين.

وهذه الفاتحة المرتبطة بتلك الخاتمة تدل دلالة قطعية على أن توحيد الكلمة لا يكون إلا بكلمة التوحيد؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ولذلك شرح الله صديري من عدة سنوات خلت إلى دراسة هذه الوصايا دراسة تحليلية؛ لنوقف المسلم على فوائدها: العقديّة، والمنهجية، والتربوية،

(١) «التحرير والتنوير» (١٥٦/٥)

والأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية؛ فيكرع من سلسيلها الصافي، ويتضلع من معنيها النمر؛ لينهض برسالة الإسلام الخالدة؛ كما فعل أسلافه الصالحون، ويحملها من جديد؛ كما صنع علماءنا المخلصون.

وسميتها:

«طبية النشر في فقه مقاصد الوصايا العشر».

وأسأل الله: أن يتقبلها بقبول حسن؛ نصره لدينه، وكتابه، وسنة رسوله، ونصحًا للمسلمين وأئمتهم وعامتهم، وأن يدخر لي ذلك كله إلى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِيْمَانًا أَنَّى اللَّهُ يَقْلِبُ سَلِيمٍ ﴿ [الشعراء: ٨٨-٨٩].
وعلى الله قصد السبيل.

وكتبه

حامدًا ومصليًا ومسلّمًا

أبو أسامة سليم بن عيد الهالبي

المشرف العام

لمركز السلف الصالح للدراسات

الاستراتيجية والبحوث التحليلية

ومجلة الصحيفة الصادقة

٢٤ / شعبان / ١٤٣٢ هـ.





تأملات منهجية في آيات الوصايا العشر

جاءت هذه الآيات في موضعها من سورة الأنعام بترتيب لطيف؛ لتدل بوضوح على منهج الإسلام العقدي والمنهجي، ودونك التفصيل في عشر مسائل كاملة:

الأولى: هذه الآيات جاءت للمواجهة العقدية مع المشركين في القضية الرئيسة التي لا تتغير ولا تبدل؛ قضية التوحيد الذي هو أساس هذا الدين، والمدخل الوحيد للإسلام، بل هي روحه التي تسري فيه؛ بحيث ترى بصمتها على كل شعيرة من شعائره: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءَ وَلَا شِعْرَانَا سَوَاءٌ مَا عَدَّبْنَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨-١٥٠].

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [١٤٨] قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٤٩] قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨-١٥٠].

الثانية: بعد هذا الموقف الرافض لكل مقررات المشركين ألقى الله ﷻ تشريعه الإلهي، وبدأ بأصل الأصول، وتقرير حق الله على العباد؛ الذي دعت إليه جميع الرسالات، وقررت جميع الكتب الإلهية؛ وهو: التوحيد وعدم الشرك بالله شيئاً؛ لأنه الأصل الأول الذي يجب أن يقرر ويكرر حتى يستقر، ولأن جميع ما يأتي بعده

يقوم عليه، وجميع التكاليف ترجع إليه، وكل الحقوق والواجبات تستمد منه.
الثالثة: وحتى تستمر مسيرة التوحيد نقية، وتمضي رحلة العقيدة السننية؛ فلا يضرها بعد ذلك أوشاب الشرك، ولا تعكرها أخلاط الخرافة، ولا يضرها تقليد جاهل، ولا يشوش عليها عرف ضال؛ ختمت هذه الآيات بالوصية بالمنهج السوي الذي لا يزيغ من تمسك به، ولا يضل من اهتدى بنوره.

الرابعة: وبين الفاتحة والختام؛ تنضح قضية التوحيد وتنضح أهمية المنهج، وأنها صمام الأمان، وحادي الهدى، وسفينة النجاة، وطوق الحياة.
وهكذا كانا في كل مراحل التاريخ لم تتخلف عن ذلك رسالة رسول، ولم ينفصلا في دعوة نبي من لدن آدم عليه الصلاة والسلام حتى محمد ﷺ.

ولما كانت العقيدة أولاً والتوحيد هو البداية؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأما المنهج؛ فهو مسك الختام، ولذلك ختمت به أم الكتاب: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ و٧].
وكان من وصايا الرسول ﷺ الخاتمة؛ كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه؛ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب؛ فقال قائل: يا رسول الله؛ كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؛ فقال: «عليكم بالسمع والطاعة، وإن تأمر عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة، وعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، تمسكوا بها، وعصوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٨١٦)، وابن ماجه (٤٤)، وأحمد (٣٧٥ / ٢٨ / ١٧١٤٥) بإسناد صحيح لغيره.

وبالاستقراء علمنا أن هذا منهج الأنبياء وميراث آل إبراهيم: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢ و ١٣٣].

الخامسة: الآية الأولى فيها خمس وصايا كلها من نوع واحد، وهو المحرمات التي يرجع تحريمها إلى إصلاح الحالة الاجتماعية للأمة؛ بإصلاح الاعتقاد، وحفظ نظام الأسرة، والانكفاف عن الفواحش والمفاسد، وحفظ النوع الإنساني بترك القتل.

وختمت بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَا كَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾؛ لأن الوقوع في هذه المحرمات ينبي عن خسارة عقل؛ فلذلك حضهم على التعقل، ورُجي أن يعقلوا؛ لأنها ظاهرة جلية؛ فوجب تعقلها وتفهمها.

وكذلك؛ هذا التذييل موافق لمنهج القرآن في ربط الأوامر والنواهي بالأمر الناهي تقريراً لوحدة التشريع، وربطاً للأوامر والنواهي بأحقية الله بالحكم.

وذلك لأن العقل إذا عصم من مضلات الهوى يقتضي أن يكون الحكم لله وحده؛ لأن الذي خلق ورزق هو صاحب الأمر والتدبير: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

السادسة: والآية الثانية فيها أربع وصايا كلها ذات توجه واحد، وهو المحرمات التي ترجع إلى حفظ النظام العام لتعامل الناس بعضهم مع بعض، بحفظ أموال الآخرين وبخاصة الضعفاء منهم، والسداد في العمل وعدم التطفيف والتبخيس، والعدل في الأقوال في الرضا والغضب ولو على الأقربين، وحفظ عهد الله حتى



يبلغ أجله؛ لأن في ذلك استقرار المجتمع، وأمن النفوس.

وختمت بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَصَّنَكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن هذه المطالب الأربعة عرفت بين الناس بأنها محامد، وتواطأت الأجيال على أنها فضائل، لكنها مع ذلك قد تدق وتخفي؛ فلا بد فيها من الاجتهاد والفكر الكثير حتى يقف المرء على حد الاعتدال؛ وهو: التذكر.

السابعة: والآية الثالثة فيها وصية واحدة؛ لأنها الأصل الجامع لمعالم الهدى فيما تقدم؛ وهو: اتباع الكتاب والسنة بفهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان، والتحرز من الخروج عنه إلى سبل الضلال، وطرق الهوى.

وختمت بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَصَّنَكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ لأن هذه السبيل تحتوي على ترك المحرمات، وتزيد بما تحتوي عليه من فعل الصالحات؛ فإذا اتبعها السالك فقد صار من المتقين؛ لأن التقوى: فعل المأمور وترك المحذور، على بصيرة في منهج الله، ونور من الله.

ولذلك لما كان هذه الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف الشرعية، وأمر الله باتباعه، ونهى عن اتباع غيره من الطرق المضلة ختم ذلك بالتقوى التي هي اتقاء النار، واتقاء غضب الله، فمن اتبع صراط الله نجّاه النجاة الأبدية، وحصل على نعيم الحياة السرمدية.

الثامنة: الآية الثالثة تضمنت وصية واحدة؛ لأنه تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين تفصيل ما وصى به أجمل في آخره إجمالاً يقتضي دخول ما تقدم فيه، واختصار ما فصل فيه.

وأن الدين مهما كثرت تفاصيله، وتعددت شرائعه، وتنوعت شعائره؛ هو دين واحد، وصراط مستقيم لا يتعدد ولا يتبدد.

التاسعة: وفي تتابع هذه التذييلات التي عقبته تلك الوصايا: ﴿لَعَلَّكُمْ نَعْقُونَ﴾ و ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ و ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تنبيه على عوامل اليقظة الإيمانية لدى العبد، ومدارج العبودية للمجتمع والفردي؛ فالتعقل مفتاح ذلك كله: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الملك: ١٠ و ١١]، والتذكر محركها الذي يولد البصيرة الإيمانية.

واعلم أن التعقل والتذكر أصل الهدى والصلاح، وحادي أهل الفلاح، وهما قطبا السعادة الأبدية المفضية إلى الحياة السرمدية؛ فما زال أهل العلم وأرباب المعرفة يعودون بالتعقل على التذكر، وبالتذكر على التعقل، ويناطقون القلوب حتى نطقت؛ فإذا لها أسمع وأبصار.

ومعلوم أن التعقل طلب القلب ما ليس بحاصل له من العلوم بأمر هو حاصل منها؛ فإنه لو لم يكن علوماً تكون مواد للتعقل وموارد للتفكير لاستحال التعقل ولم يحصل التفكير؛ لأن التعقل والتفكير بدون متعلقات سابقة تصلح للتفكير والتعقل فيها محال.

فإذا علم هذا؛ فإن المتعقل والمتفكر ينتقل من المقدمات التي بين يديه، والمبادئ التي عنده إلى المراد الذي يريده، والمطلوب الذي يقصده؛ فإذا ظفر به حصل له تذكر، وأبعد مواقع الفعل والترك، وما ينبغي إثارة، وما ينبغي تركه؛ فالتذكر هو مقصود التعقل وثمرته.

وإذا تزوج التعقل والتفكير بالتذكر عاد بالتذكر على التعقل والتفكير؛ فاستخرج ما لم يكن حاصلًا عنده؛ فاستنارت بصيرته، واستقرت على الهدى، واستمرت على منهج الله ورسوله، وذلك هو التقوى، ولذلك كانت خاتمة الوصاية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ لأنها مناط الاعتقاد والعمل والقول، وهي التي تفيء بالقلوب إلى سبيل



الله ﷻ، وثبتتها على منهجه^(١).

العاشرة: كذلك ورد قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ﴾ في الآيات الثلاث لما في هذه اللفظة من اللطف، والرأفة، والرحمة؛ مما يقرب هذه التكاليف إلى القلب، وتظفر بالقبول.

وهذا يدل على أن الرحمة هي أساس هذا الدين المتين: فالله سبحانه وتعالى سبقت رحمته غضبه، فخلق الخلق؛ ليرحمهم، ويدخلهم الجنة إلا من أباى.

قال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

وقال جل ثناؤه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

وكذلك دينه دين الرحمة ورسوله رسول الرحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولذلك امتن على رسوله بأنه مبعوث برحمة الله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].



(١) انظر- تفضلاً- «مفتاح دار السعادة» للإمام ابن قيم الجوزية (٢/ ٦٧-٦٨).



قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾

وفاتحة هذه الوصايا متصلة بسبقها اتصالاً لا ينفصم في حرف من حروفه، ولا يتخلف في كلمة من كلماته؛ فإن الله سبحانه وتعالى لما أبطل دين المشركين كله أصولاً وفروعاً في الإشراف، وبين فساد بالدلائل النيرة في التحليل والتحريم والتشريع؛ ناسب أن يخبرهم بالصراف المستقيم والدين القويم مما فصله الرب الذي له الخلق والأمر والملك والحكم؛ فقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

وقد تضمنت هذه الفاتحة المباركة لطائف؛ منها:

الأولى: ﴿قُلْ﴾ كلمة عجيبة تبطل كل الدعاوى المنحرفة عن الصراط المستقيم، أو المشككة في المنهج القويم؛ لأنها دالة على أنها ليست من كلام البشر؛ لأن البشر لا يأمر نفسه، ولذلك؛ فرسول الله ﷺ يبلغ كلاماً إلهياً لا يمكن أن يكون من تلقاء نفسه، ومن المحال أن يتقوله على ربه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا نُوْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾

[الحاقة: ٤٠ - ٤٧].

الثانية: وعجيبة أخرى لهذه الكلمة: أنها في صلب الرسالة المأمور رسول الله

ﷺ بتبليغها، والدعوة إليها، وإعلانها على رؤوس الأشهاد، ولذلك؛ فهي تدل على أن النبي ﷺ وأتباعه لا يستخفون بدعوتهم، ولا يستترون بمنهجهم، ولا ينقصون حرقاً، ولا يتصرفون أي تصرف فيه من تلقاء أنفسهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الثالثة: وعجبية ثالثة لهذه الكلمة: أنها تدل على أن رسول الله ﷺ هو الواسطة بين الحق والخلق في تلقي المنهج، والتبليغ عن الله؛ مما يبطل المنهج الصوفي المنحرف الذي يقوم على (حدثني قلبي عن ربي).

الرابعة: ابتدأت هذه الآية بأمر رسول الله ﷺ بفعل القول، وذلك استدعاء للإسراع والانصات؛ لأن ما يخبرهم به ويأمرهم به نبأ عظيم.

الخامسة: ثم عقب بفعل ﴿تَعَالَوْا﴾ اهتماماً بالعرض المتقل إليه، وأنه أنفع لهم، وأجدى عليهم من سفاسف الأمور التي اهتموا بها، وانشغلوا بها، وكانت سدًا منيعًا في وجه قبول الحق.

السادسة: وأصل كلمة ﴿تَعَالَوْا﴾ من التعالي يقوله من هو في مكان عال لمن هو أسفل منه، والمراد: أن المشركين في حضيض الجهل، وأنهم إذا سمعوا ما يقال لهم ترقوا إلى ذروة العلم، وقنة العز؛ يوضحه.

السابعة: أن افتتاحه بطلب الحضور دليل على أن الخطاب للمشركين الذين كانوا معرضين عن الحق الذي جاءهم به رسول الله ﷺ؛ فقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾؛ أي: أقبلوا إلي صاعدين من حضيض الجهل، والتقليد، وسوء المذهب إلى أوج العلم، ومحاسن الأعمال.

الثامنة: ثم بين ما دعاهم إليه ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾ حيث ذكرت فيما حرم الله عليه أشياء ليست من قبيل اللحوم والأطعمة؛ إشارة إلى أن الاهتمام بالمحرمات

والفواحش أولى، وفيه تعريض؛ بأن همة المشركين -ومن تشبه بهم- في بطونهم وفروجهم، وأنهم ضيعوا تزكية نفوسهم، وكف مفاستهم عن الناس.

التاسعة: ثم ذكر المحرمات بعضها بصيغة النهي وبعضها بصيغة الأمر الصريح أو المؤول؛ لأن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده؛ ليعين للمخاطبين أن هذه المحرمات قطعات لا شبهة فيها، ولا تأويل لاستحلالها، ولذلك؛ لم تنسخ في شريعة قط، بل هي من ميراث النبوة الأولى؛ كما تقدم.

العاشرة: ثم بين أن الذي حرماها؛ هو: ﴿رَبُّكُمْ﴾، وتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم؛ لأنه أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتفاء عن هذه المحرمات، ولا يضره كون المتلو محرماً على الكل كما لا يخفى.

حادي عشر: ولما كان بيان المحرم أهم قدمه؛ فقال: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، ثم قال: ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

ثاني عشر: وحصر التحليل والتحريم في الله بيان لحق الله في الحكم والتشريع والقوامة والتربية والتوجيه؛ فالذي يحلل ويحرم ويشرع هو الله وحده، وهو وحده الذي يجب أن يكون رباً لجميع الخلق، ومعبوداً بحق لهم؛ فالذي خلقهم ورزقهم وأمورهم كلها بيده هو المستحق للعبودية، وكل معبود سواه باطل.

وهذا هو أصل الدين الذي بعثت به الرسل، وأنزلت من أجله الكتب، وقوتل بسببه الكفار، وخلق من أجله الجنة والنار.



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الوصية الأولى:

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

هذه الوصايا آياتها مرتبة جملها أحسن ترتيب، فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك؛ إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل، وأن النقية بالحمية قبل الدواء^(١).

وتحت ذلك مسائل:

الأولى: أول وصية هي التحذير من الشرك، وهذه البداية هي المناسبة لذلك، ولا يسد غيرها مسدها؛ للوجوه الآتية:

١- إنها كذلك في جميع القرآن؛ كما في آية الحقوق: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وبها بدأ لقمان وهو يعظ ولده: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

(١) انظر «نظم الدرر» (٢/٧٤١)



٢- التوحيد أعظم الحقوق الواجبة على العبد وأولاهما؛ كما بينها رسول الله ﷺ عندما سأل معاذ بن جبل: «يا معاذ»، فقال: لبيك رسول الله وسعديك! قال: «هل تدري ما حق الله على عباده؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ». قلت: لبيك رسول الله وسعديك. فقال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم»^(١).

٣- إن حق الله هو الدافع للعبد أن يؤدي الحقوق لأصحابها، وأن يعطي كل ذي حق حقه، وذلك لأمرين عظيمين:
الأول: أن الله سبحانه هو الذي أوجب هذه الحقوق على العباد؛ فإذا أطعت الله أدت ما أوجبه عليك.

فإذا أدت حق الله، ولم تؤد حق بدنك ونفسك عليك؛ فأنت عاص.
وإذا أدت حق الله، ولم تؤد حق زوجك؛ فأنت عاص.
وإذا أدت حق الله، ولم تؤد حق ضيفك؛ فأنت عاص.
وإذا أدت حق الله، ولم تؤد حق جارك؛ فأنت عاص.

وبالجملته، فالشرك هو المحرم الأكبر؛ لأنه يجر إلى جميع المحرمات، والمنكر الأعظم الذي يجر جميع الخطايا والذنوب، ولذلك يجب حشد الإنكار كله عليه.
ومنه يعلم أن التوحيد هو أصل الفضائل وحاديها الذي يعطيها أبعادها الشرعية التي وضعت من أجلها.

الأخير: إنه لا يصحّ التقرب إلى الله بجميع الحقوق الواجبة عليك إلا إذا كنت مؤمناً محتسباً، ولذلك قيدت كثير من الطاعات بقوله ﷺ: «إيماناً واحتساباً».

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٢) ومسلم (٣٠).

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»^(١).

ولن يكون العبد مؤمناً محتسباً وهو لم يقيم بحق الله عليه، فتدير.

٤- وابتدئت بالنهي عن الإشراك؛ لأن إصلاح الاعتقاد هو باب الهدى، ومفتاح باب الإصلاح في العاجل، والفلاح في الآجل، ولذلك عندما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن أوصاه؛ فقال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله (وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله)؛ فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم؛ فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٢).

فهذا الحديث صريح الدلالة: أن التوحيد مفتاح الإصلاح في العاجل والفلاح في الآجل.

٥- وبدأ سبحانه بالنهي عن الشرك؛ لأنه أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر. وقد ورد في ذلك جملة أحاديث صحيحة تدل على تواتر هذا الأمر في السنة؛ منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وماهن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩).



وعن أبي بكرة رضي الله عنه؛ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» (ثلاثاً). قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً، فقال: ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك».

قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] (٢).

الثانية: ولما كان الشرك بالله منافياً بالذات لمقصود الخلق وغايته، وهو أن الله سبحانه خلق الخلق لتوحيده وعبادته كان أكبر الكبائر على الإطلاق؛ يوضحه:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأمرهم بهذا الحق العظيم؛ فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

فالغاية من خلق الخلق؛ هو: أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً.

١ - من أجل هذا الحق العظيم خلق الله السماوات والأرض وخلق كل

شيء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦).

الْعَرْشِ يَذُرُّ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ - أي: اعبدوه - ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤ و ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٢- ومن أجل هذا الحق العظيم - وهو عبادة الله وحده لا شريك له - أرسل الله الرسل وأنزل الكتب.

قال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٣- ومن أجل هذا الحق خلق الله الجنة والنار؛ فمن أدى حق الله دخل الجنة، ومن ضيع حق الله دخل النار.

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الدِّينُ فَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا



الَّذِينَ اسْتَكْفَرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢ و ١٧٣].

ولذلك قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:

«فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسائه وصفاته، ويعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط؛ وهو: العدل الذي قامت به السماوات والأرض؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فأخبر سبحانه: أنه أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط؛ وهو: العدل، ومن أعظم القسط التوحيد؛ وهو: رأس العدل وقوامه، وإن الشرك ظلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فالشرك أعظم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود؛ فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقةً لهذا المقصود؛ فهو أوجب الواجبات، وأفرض الطاعات.

فتأمل هذا الأصل حق التأمل، واعتبر به تفاصيله؛ تعرف به حكمة أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، فيما فرضه على عباده، وحرمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي.

فلما كان الشرك بالله منافياً بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرّم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيداً لهم؛ لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً، أو يقبل فيه شفاعة، أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها

عثرة، فإن المشرك أجهل الجاهلين، حيث جعل له من خلقه ندأ، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلم ربه، وإنما ظلم نفسه^(١).

الثالثة: ولذلك لا بد من بيان حقيقة الشرك؛ كما قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «وإذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك الجواب عن السؤال المذكور؛ فنقول، ومن الله وحده نستمد الصواب:

حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله؛ فعكس من نكس الله قلبه، وأعمى عين بصيرته، وأركسه بلبس الأمر، وجعل التوحيد تشبيهاً، والتشبيه تعظيماً وطاعةً، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية: التفرد بملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، فمن علق ذلك بمخلوق؛ فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً - فضلاً عن غيره - شبيهاً لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات. ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم

(١) «الداء والدواء» (ص ١٩٦-١٩٧).



والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوبة والتوكل والاستعانة، وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكون له وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكون لغيره، فمن جعل شيئاً من ذلك لغيره؛ فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيهه لا ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم؛ أخبر سبحانه عباده: أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغيره؛ فقد شبهه به في خالص حقه، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم، وأفسدتها عليهم، واجتالتهم عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنی، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرتهم وعقولهم، فازدادوا بذلك نوراً على نور: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

إذا عرف هذا؛ فمن خصائص الإلهية السجود؛ فمن سجد لغيره؛ فقد شبهه المخلوق به.

ومنها: التوكل؛ فمن توكل على غيره؛ فقد شبهه به.

ومنها: التوبة؛ فمن تاب لغيره؛ فقد شبهه به.

ومنها: الحلف باسمه تعظيماً وإجلالاً له؛ فمن حلف باسمه؛ فقد شبهه به،

هذا في جانب التشبيه.

وأما في جانب التشبيه به: فمن تعاضم وتكبر، ودعا الناس إلى إطرائه في المدح، والتعظيم؛ والخضوع، والرجاء، وتعليق القلب به خوفاً ورجاءاً والتجاء واستعانة؛ فقد تشبه بالله، ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه.

وفي «الصحيح»^(١) عنه ﷺ؛ قال: «يقول الله ﻋَﻠَﻴْكَ: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي؛ فمن نازعني واحداً منهما عذبتة».

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالتشبيه بالله في الربوبية والإلهية؟ كما قال النبي ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون؛ يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»^(٢).

وفي «الصحيح»^(٣) عنه ﷺ: أنه قال: «قال الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ومن أظلم ممن ذهب لخلق خلقاً كخلقني؛ فليخلقوا ذرةً، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرةً». فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر.

والمقصود: أن هذا حال من تشبه به في صنعه صورة؛ فكيف حال من تشبه به في خواص ربوبيته وإلهيته؟ وكذلك من تشبه في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده؛ كملك الأملاك، وحاكم الحكام، ونحوه.

وقد ثبت في «الصحيح»^(٤) عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن أضع الأسماء عند الله رجل يسمى: بشاهان شاهٍ - أي: ملك الملوك - لا ملك إلا الله».

(١) رواه مسلم (٢٦٢٠) بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٥٦٠٧)، ومسلم (٢١٠٨).

(٣) رواه البخاري (٧١٢٠)، ومسلم (٢١١١).

(٤) رواه البخاري (٥٢٥٣)، ومسلم (٢١٤٣).



وفي لفظ^(١): «أغیظ رجل على الله؛ رجل یسمى: بملك الأملاك».

فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه في الاسم الذي لا ینبغي إلا له، فهو سبحانه ملك الملوك وحده، وهو حاكم الحکام وحده، فهو الذي یحکم على الحکام کلهم، ویقضي علیهم لا غیره^(٢).

الرابعة: ومن هنا نعلم أن الشرك فساد لنظام الكون في الخلق والأمر والقدر؛ فإذا تأملت الخلق والأمر وجدت أنها بنيا على الشيء وضده، ولذلك لا یكفي في التعبد الاقتصار على معرفة السنة فقط، بل لابد من معرفة ما یناقضها من البدع، كما لا یكفي في الإیمان التوحید دون معرفة الشرك، وإلى هذه الحقيقة العظيمة أشار العلي العظيم في قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهذا الأمر أصل بعث الرسل لتحقيقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهو أمر حققه المؤمنون في حياتهم، قال جل جلاله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ [الزمر: ١٧].

وأكده رسوله الله ﷺ بقوله: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دونه، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»^(٣).

فلم یكتف الله ورسوله بالتوحید، بل ضم إليه الكفر بما سواه، وذلك یرتبط معرفة الشرك والكفر، وإلا وقع فيه من حيث لا یشعر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [یوسف: ١٠٦].

(١) رواه مسلم (٢١٤٣).

(٢) «الداء والدواء» (ص ٢٠٨-٢١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣).

وكذلك القول في السنة والبدعة ولا فرق، وهو واضح في وصية رسول الله ﷺ لأصحابه التي نقلها لنا العرباض بن سارية رضي الله عنه:

«... فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»^(١).
حيث أمرهم بالتزام السنة، واجتناب البدع.

وكذلك القول في المنهج، فقد أمرنا باتباع سبيل المؤمنين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ أَجَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ونهيانا عن اتباع سبيل المجرمين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النساء: ١١٥].
والمجرمين ﴿[الأنعام: ٥٥].

وهذا أمر مشهود في الواقع؛ فإنه لا تتم معرفة الشيء إلا بنقيضه، قال الإمام ابن قتيبة الدينوري رحمته الله.

«... ولن تكمل الحكمة والقدرة إلا بخلق الشيء وضده؛ ليعرف كل واحد منهما بصاحبه، فالنور يعرف بالظلمة، والعلم يعرف بالجهل، والخير يعرف بالشر، والنفع يعرف بالضر، والحلو يعرف بالمر؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]

والأزواج: الأضداد والأصناف؛ كالذكر والأنثى، واليابس والرطب.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]»^(٢).

وهو واضح في الشهادتين: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»:

(١) مضي تخريجه (ص ١٤).

(٢) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٤).



فالشهادة الأولى سلب وإيجاب، ونفي وإثبات، سلب الألوهية ونفيها عن غير الله؛ لأنه لا يستحقها، وإثباتها لله؛ فهو وحده الإله المعبود بحق.

والشهادة الثانية سلب الاتباع لغير رسول الله ﷺ، وإثباته للنبي ﷺ؛ فهو المتبوع بحق.

إذا؛ فالشهادة الأولى تعني: «لا معبود بحق إلا الله»، والشهادة الثانية تعني: «لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ».

قال يحيى بن معاذ الرازي: «اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول، فلكل واحد منها ضد، فمن سقط عنه؛ وقع في ضده: التوحيد وضده الشرك، والسنة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية»^(١).

وعلى هذا الأصل قامت الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالدعوة إلى التوحيد والسنة أمر بالمعروف، والتحذير من الشرك والبدع نهي عن المنكر، وبهذا السبيل استحققت الأمة المحمدية المرحومة أن تكون خير أمة أخرجت للناس، وأن تكون أفضل الأمم، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال الإمام أبو شامة المقدسي:

«وقد حذر النبي ﷺ وأصحابه - فمن بعدهم - أهل زمانهم من البدع ومحدثات الأمور، وأمروهم بالاتباع الذي فيه النجاة من كل محذور.

(١) «الاعتصام» (١/٩١).

وجاء في كتاب الله تعالى في الأمر بالاتباع بما لا يرتفع معه الترك قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهذا نص فيما نحن فيه^(١).

الخامسة: وقوله تعالى: ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق العموم؟ فتعم كل أنواع الشرك كبيره وصغيره، ظاهره وخفيه، ولذلك لن يبرأ العبد من الشرك حتى يعلم أنواعه.

وقد بين الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله أنواع الشرك بيانًا حسنًا؛ لم يدع لبسًا إلا وضحها، ولم يترك غموضًا إلا كشفه؛ فقال:

«الشرك شر كان:

شرك يتعلق بذات المعبود، وأسمائه، وصفاته وأفعاله.
 وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد: أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.
 والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل؛ وهو: أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، وقال تعالى مخبرًا عنه أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنْ أَبْنِي لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِّبًا﴾ [غافر: ٣٦ و ٣٧].

والشرك والتعطيل متلازمان؛ فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك،

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص ١١).



لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرًّا بالخالق سبحانه وصفاته، ولكنه عطل حق التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها؛ هو: التعطيل، وهو ثلاثة أقسام: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.

وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس؛ بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله. وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد.

ومن هذا: شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثم خالق ومخلوق ولا ها هنا شيئا، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه.

ومنه: شرك الملاحدة القائلين بقدوم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلًا، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها، ويسمونها: بالعقول والنفوس.

ومن هذا: شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة، فلم يثبتوا له اسمًا ولا صفةً، بل جعلوا المخلوق أكمل منه؛ إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها.

النوع الثاني: شرك من جعل مع الله إلهًا آخر، ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته؛ كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهًا، وأمه إلهًا.

ومن هذا: شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة!

ومن هذا: شرك القدرية القائلين: بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته، ولهذا كانوا أشباه المجوس.

ومن هذا: شرك الذي حاج إبراهيم في ربه: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ فهذا جعل نفسه نداً لله تعالى، يحيي ويميت بزعمه، كما يحيي الله ويميت، فألزمه إبراهيم أن طرد قوله أن يقدر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي بها الله منها، وليس هذا انتقالاً؛ كما زعم بعض أهل الجدل، بل إلزاماً على طرد الدليل إن كان حقاً.

ومن هذا: شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها أرباباً مدبرةً لأمر هذا العالم؛ كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم.
ومن هذا: شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم.
ومن هؤلاء من يزعم: أن معبوده هو الإله على الحقيقة!

ومنهم من يزعم: أنه أكبر الآلهة!

ومنهم من يزعم: أنه إله من جملة الآلهة! وأنه إذا خصه بعبادته، والتبتل إليه، والانقطاع إليه، أقبل عليه، واعتنى به!

ومنهم من يزعم: أن معبوده الأدنى يقربه إلى المعبود الذي هو فوقه! والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه، حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه، فتارةً تكثر الآلهة والوسائط، وتارةً تقل!!

وأما الشرك في العبادة: فهو أسهل من هذا الشرك، وأخف أمراً؛ فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولكن لا يخص الله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارةً، ولطلب الدنيا تارةً، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارةً؛ فله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب!



وهذا حال أكثر الناس، وهو: الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة» قالوا: كيف ننجو منه يا رسول الله؟ قال: قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»^(١).

فالرياء كله شرك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أُحَدِّثُ﴾ [الكهف: ١١٠].

أي: كما أنه إله واحد، لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يتفرد بالعبودية.

فالعامل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة.

وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً»^(٢).

وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنه ينزله منزلة من لم يعمل؛ فيعاقب على ترك الأمر، فإن الله سبحانه إنما أمر بعبادته عبادةً خالصةً؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيئاً غير الذي

(١) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/١٣٠)، والضياء في «المختارة» (٦٢ و ٦٣)، وأبو يعلى (٥٨) من طريقين يقوى بعضهما بعضاً عن أبي بكر رضي الله عنه. وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عند أحمد (٤/٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٤٩٤٠).

وفي الباب عن عائشة، وابن عباس رضي الله عنهما. وبالجملة؛ فالحديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١١٨).

أمر به، فلا يصح، ولا يقبل منه، ويقول الله: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري؛ فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء»^(١).

وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور وغير مغفور، وأكبر وأصغر.

والنوع الأول: ينقسم إلى كبير وأكبر، وليس شيء منه مغفوراً؛ فمنه: الشرك بالله في المحبة والتعظيم؛ فإن يجب مخلوقاً كما يجب الله؛ فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال أصحاب هذا الشرك لأهنتهم وقد جمعهم الجحيم: ﴿تَأَلَّفُوا بَيْنَ كُنُوفِهِمْ﴾ [الشعراء: ٩٧ و ٩٨].

ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق، والإماتة والإحياء، والملك والقدرة، وإنما سووهم به في الحب والتأله، والخضوع والتذلل لهم، وهذا غاية الجهل والظلم؛ فكيف يسوى التراب برّب الأرباب؟

وكيف يسوى العبيد بملك الرقاب؟

وكيف يسوى الفقير بالذات، الضعيف بالذات، والعاجز بالذات، المحتاج بالذات، الذي ليس له من ذاته إلا العدم، بالغني بالذات، القادر بالذات، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته؟!

فأي ظلم أقبح من هذا؟

وأي حكم أشد جوراً منه؟ حيث عدل من لا عدل له بخلقه؛ كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



يَعْدُلُونَ ﴿ [الأنعام: ١]؛ فعدل المشرك من خلق السماوات والأرض وجعل
الظلمات والنور، بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في
الأرض؛ فياله من عدلٍ تضمن أكبر الظلم وأقبحه!!
ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه في الأفعال، والأقوال، والإرادات،
والنيّات:

فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس
عبوديةً وخضوعاً لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود.
وتقبيل القبور واستلامها، والسجود لها.

ولقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى الله فيها؛
فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدها من دون الله؟
ففي «الصحيحين»^(١) عنه ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا
من قبور أنبيائهم مساجد».

وفي «الصحيح»^(٢) -أيضاً- عنه ﷺ: «إن من شرار الناس من تدرّكهم
الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد».

وفي «الصحيح»^(٣) -أيضاً- عنه ﷺ: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون
القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

(١) رواه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) هو من معلقات البخاري (١٤/١٣) مختصراً.

ووصله -بتامه - غيره، وانظر (ص ٤٦).

(٣) «أخرجه مسلم» (٥٣٢).

وقال ﷺ: «اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).

وقال ﷺ: «إن من كان قبلكم كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»^(٢).

فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر، فكيف حال من سجد للقبر نفسه؟!

وقد قال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»^(٣).

وقد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد أعظم حماية، حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لئلا تكون ذريعة إلى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسدَّ الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر والصبح؛ لاتصال هذين الوقتين بالوقتتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس.

وأما السجود لغير الله؛ فقال ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحدٍ إلا لله»^(٤).

(١) أخرجه مالك (٤٥٢ - بتحقيقي)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٤٠-٢٤١) مرسلًا عن عطاء بن يسار.

وهو مرسل صحيح الإسناد.

ووصله البزار (١/٢٢٠ / ٤٤٠ - كشف الأسناد)، ومن طريقة ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/٤٢-٤٣) عن أبي سعيد الخدري وإسناده ضعيف.

لكن له شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (٢/٢٤٦)، وابن سعد (٢/٢٤١-٢٤٢)، والحميدي (١٠٢٥)، وأبو يعلى (٦٦٨١) وغيرهم بسند صحيح.

وبالجمل؛ فالحديث صحيح، وقد صححه شيخنا الإمام الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» (ص ٢٥) و«أحكام الجنائز» (ص ٢١٧).

(٢) جزء من حديث «لعن الله اليهود والنصارى» الذي تقدم تخريجه (ص ٤٠).

(٣) رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

(٤) أخرجه الترمذي (١١٥٩)، وابن حبان (٤١٦٢)، والبزار (٤٦٦)، والحاكم (٤/١٧١)، والبيهقي (٧/٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو صحيح؛ كما في «الإرواء» (١٩٩٨).



وإنما تجيء «لا ينبغي» في كلام الله ورسوله ﷺ للذي هو في غاية الامتناع شرعاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٠) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ [الشعراء: ٢١٠ و ٢١١]، وقوله عن الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: ١٨].

ومن الشرك به سبحانه: الشرك به في اللفظ، كالحلف بغيره، كما قال الرسول ﷺ: «من حلف بغير الله؛ فقد أشرك»^(١).

ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت؛ كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده»^(٢).

وهذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة؛ كقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]؛ فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، أو يقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذراً لله ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله ولفلاناً، ونحو ذلك؟

فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش! يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله الله نداً بها؛ فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٣٤/٢ و ٨٦)، وابن حبان (١١٧٧)، والحاكم (٢٨/١ و ٢٩٧/٤) وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، (٧٨٣)، وابن ماجه (٤١٧)، وأحمد (٢١٤/١ و ٢٢٤ و ٢٨٣ و ٣٤٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٥) وهو صحيح.

- بل لعله أن يكون من أعدائه - ندًا لرب العالمين.

فالسجود، والعبادة، والتوكل، والإنابة، والتقوى، والخشية، والتحسب، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعًا وتعبدًا، والطواف بالبيت، والدعاء، كل ذلك محض حق لله، لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وأما الشرك في الإرادات والنيات؛ فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو به، فمن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشرك في نيته وإرادته.

والإخلاص: أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي امر الله بها عبادة كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها؛ فهو من أسفه السفهاء^(١).

السادسة: وأسباب الشرك كثيرة؛ أهمها وأكثرها انتشارًا: الغلو في الصالحين، والمبالغة في الإعجاب بالأشخاص وتعظيمهم.

ومن هذا السبب نشأ أكثر الشرك في تاريخ البشرية؛ كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك:

أن الناس مكثوا على التوحيد بعد آدم عليه الصلاة والسلام عشرة قرون.

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «كان بين نوح و آدم عشرة قرون، كلهم على شريعة

(١) «الداء والدواء» (ص ١٩٨-٢٠٨) باختصار.



الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»^(١).

وهذا يبطل قول جهلة أهل الكتاب الذين زعموا: أن أولاد آدم عليه الصلاة والسلام انحرفوا عن التوحيد، وعبدوا النار.

ويرد على زنادقة الفلاسفة الذين يدعون: أن الأصل في الإنسان الشرك، وأن التوحيد طارئ عليه.

فإذا تبين هذا فمن الضروري أن يعلم المسلم كيف حدث الشرك على الناس.

قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي مَعْصُونِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَنْدُرُكَ الْهَتَكُ وَلَا نَنْدُرُكَ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢١ - ٢٣].

عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَنْدُرُكَ الْهَتَكُ وَلَا نَنْدُرُكَ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، وانتسخ العلم عبدت»^(٢).

فهذه النصوص صريحة في أن أول شرك حدث في العالم، وأول انحراف دخل على عقيدة الناس في التوحيد كان بسبب الغلو في الصالحين، واتخاذ تصاوير وتمائيل لهم؛ فزين الشيطان لأتباعهم عبادتها، واتخاذها آلهة من دون الله.

(١) أخرجه ابن جرير (١/١٩٤)، والحاكم (٢/٥٤٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وأقرهما شيخنا الإمام الألباني.

وله شاهد عن قتادة بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٦).

وكذلك وقع الشرك عند اليهود والنصارى بسبب غلوهم في أنبيائهم وصالحهم.

قال الله سبحانه مخبراً عن اليهود والنصارى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وكذلك أخبر الله عنهم أنهم انحرفوا في قضية الحاكمية والتشريع بسبب تقديسهم لأخبارهم ورهبانهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

ولقد بين رسول الله ﷺ ذلك، وبذلك لعنهم، وحذر منهم:

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: فلو لا ذلك أبرز^(١) قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٣).

(١) قال الحافظ في «فتح الباري» (٣/٢٠٠): «أي: لكشف قبر النبي ﷺ، ولم يتخذ عليه الحائل، والمراد: الدفن خارج بيته، وهذا قالته عائشة قبل أن يوسع المسجد النبوي، ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة: حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي جهة القبر مع استقبال القبلة».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).



عن عائشة وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ قالوا: لما نزل ^(١) برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق ^(٢) يطرح خميصة ^(٣) له على وجهه؛ فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر مثل الذي صنعوا ^(٤).

عن الحارث النجراني رضي الله عنه؛ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» ^(٥).

عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه؛ قال: آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ^(٦).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد» ^(٧).

(١) الموت وحضرت الملائكة الكرام.

(٢) أخذ.

(٣) كساء له أعلام.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥ و ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٥) أخرجه أحمد (٢٠٤/٥)، والطبراني في «الكبير» (٣٩٣ و ٤١١) بإسناد فيه ضعف، لكن أحاديث الباب تشهد له.

(٦) أخرجه أحمد (١٩٥/١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٧٦٢)، وأبو يعلى (٨٧٢) بإسناد صحيح.

(٧) أخرجه أحمد (٤٠٥/١ و ٤٣٥)، وابن حبان (٢٣٢٥)، وابن خزيمة (٧٨٩)، وأبو يعلى (٥٣١٦)، وابن أبي شيبة (١٤٠/٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/١٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤١٣)، والبيزار (٣٤٢٠) بإسناد حسن. وله طرق أخرى يرتقي بها إلى درجة الصحة.

عن عائشة رضي الله عنها: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة، وفيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»^(١).

عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه؛ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ^(٢) إلى الله أن يكون لي منكم خليل^(٣)؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»^(٤).

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال في مرضه الذي مات فيه: «أدخلوا علي أصحابي»؛ فدخلوا عليه وهو متقنع ببردة معافري^(٥)، فكشف القناع، فقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٦).

وما عبدت الملائكة والجن إلا بسبب الغلو فيهم وتقديسهم؛ فزعم العابدون لهم أنهم أبناء الله وبناته: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْنَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) امتنع من هذا وأنكره.

(٣) المنقطع إليه، فنفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون انقطاعه وحاجته إلى غير الله تعالى.

(٤) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٥) برود يمنية، منسوبة إلى قبيلة معافر.

(٦) أخرجه أحمد (٢٠٤/٥)، «والطبراني في الكبير» (٣٩٣ و ٤١١) بإسناد فيه ضعف؛ لكن

أحاديث الباب تشهد له.



وكذلك ما عبدت الشمس والقمر إلا بسبب تعظيمها وتقديسها: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وكذلك دخل الشرك على العرب أبناء إسماعيل في جزيرتهم بسبب الغلو في
الصالحين، وطاعتهم لزعمائهم المتبوعين، وقد ورد في ذلك روايات تاريخية:

١- قال ابن الكلبي: «إن إسماعيل بن إبراهيم - عليها السلام -، لما سكن
مكة وولد له بها أولاد كثير، حتى ملأوا مكة، ونفوا من كان بها من العماليق،
ضاقت عليهم مكة، ووقعت بينهم الحروب، وأخرج بعضهم بعضاً، فتفرقوا في
البلاد التماساً للمعاش، وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأصنام والأوثان، أنه كان
لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم،
وصباية بمكة، فحيثما حلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم
وصباية بالحرم وحباً له، ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما
كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، وصاروا إلى ما صارت إليه
الأمم قبلهم»^(١).

٢- ذكر الشهرستاني وابن إسحاق وغيرهما: «أن أول من غير دين إسماعيل
الطائفة فنصب الأوثان، وسيب السوائب، ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة، وحمى
الحامي؛ هو: عمرو بن لحي بن غالب الخزاعي، لما سار إلى مكة بقومه، واستولى
على أمر البيت، ثم سار إلى مدينة البلقاء بالشام، فرأى هناك قومًا يعبدون الأصنام،
فسألهم عنها، فقالوا: هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص
البشرية، نستنصر بها فننصر، ونستسقي بها فنسقي، ونستشفى بها فنشفى، فأعجبه

(١) «الأصنام» (ص ٦).

ذلك، وطلب منهم صنماً من أصنامهم، فدفعوا إليه (هبل)؛ فسار به إلى مكة، ووضعها في الكعبة، وكان معه إساف ونائلة على شكل زوجين، فدعا الناس إلى تعظيمها، والتقرب إليها، والتوسل بها إلى الله تعالى»^(١).

وجاء أيضاً: «أن عمرو بن لحي كان له رثي من الجن يكنى: أبا ثمامة، فقال له: عَجِّلْ بالمسير، والظعن من تهامة بالسعد والسلامة: ائت جدة، تجد فيها أصناماً معدة، ثم أوردتها تهامة، ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها، فأتى عمرو ساحل جدة؛ فوجد بها ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسراً، فاستثارها من تحت الأرض، وخرج بها إلى تهامة، وحضر الموسم، فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، فأجابه أشراف منهم فأخذوها منه، فكانت (ودًا) بدومة الجندل، وكانت (سواعًا) في بطن نخلة، وكانت (يغوث) بأرض مذحج باليمن، وكانت (يعوق) بهمدان، وكانت (نسراً) في حمير.

فلم تزل هذه الأصنام تعبد مع غيرها حتى بعث الله نبيه ﷺ، فأمر بهدمها»^(٢).
وقد بين رسول الله ﷺ: أن عمرو بن لحي الخزاعي هو الذي غير دين إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وأدخل الوثنية على أبنائه العرب، وفي ذلك جملة أحاديث؛ منها:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أول من سبب السوائب، وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاه في النار»^(٣).

(١) انظر «الملل والنحل» للشهرستاني (ص ٤٨٨)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤٨/٢٠)، و«سيرة ابن هشام» (١/١١١).

(٢) انظر تفاصيل ذلك في «سيرة ابن هشام» (١/١١١) و«الروض الأنف» للسهيلى، (١/١٠١)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢/١٥٠).

(٣) أخرجه أحمد (١/٤٤٦) بإسناد حسن لغيره.



عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه في النار، وكان أول من سيّب السوائب»^(١).

عن أبي بن كعب مرفوعاً: «وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام»^(٢).

عن ابن عباس مرفوعاً: «أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق أبو خزاعة»^(٣).

وهكذا عبد العرب الأصنام، وغيروا دين آبائهم إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام؛ لأنهم عظموا عمرو بن لحي، وأعجبوا به، كونه نشأ على الصدقة والمعروف والحرص على أمور الدين؛ فلما أدخل عليهم عبادة الأصنام أطاعوه واتبعوه.

ومن خلال استقراء التاريخ نجد أن الشرك طرأ على البشرية، وأفسد معالم التوحيد الذي كانت عليه بعد أبيها آدم عليه الصلاة والسلام بسبب الغلو في الصالحين، وتقديس الأولياء، وعمل تصاوير لهم، وبناء المشاهد على قبورهم واتخاذها مساجد.

السابعة: وقد بينت الشريعة أضرار الشرك، وحذرت من مخاطره من باب من عرف الشر فرّ منه وحذره؛ على حدّ قول الشاعر الحكيم:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وهذا أمر أساسه المنهج النبوي في التربية؛ لحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ قال:

«كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/٦٠٤-٦٠٥) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٨٠٨) بإسناد حسن.

يدركني»^(١).

١- الشرك يحرم على صاحبه الجنة، ويوجب له الخلود في النار:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»^(٢).

٢- يطفىء نور الفطرة:

قال تعالى مخبراً عن ذلك، مقررًا لهذه الحقيقة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ - ٦].

فلا يحافظ على الفطرة ويعيد لها نورها إلا التوحيد: ﴿فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٣- الشرك مهانة للإنسانية وذلة للبشرية:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ فإذا كانت العزة الحقيقية لأهل التوحيد؛ فإن المهانة للمشركين، والذلة على الكافرين.

٤- يجعل المشرك قابلاً للأباطيل، ومصدرًا للخرافات:

حيث يعتقد بوجود مؤثر في الكون نفعاً أو ضرراً غير الله؛ فتراه يعبد الجن، أو

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨١)، وسلم (٩٢).

الأشباح، أو الكواكب، أو الشجر، أو الحجر، وفي هذه البيئة؛ تروج بضاعة الكهنة والسحرة والمنجمين، ويكثر التعامل بالتهائم والرقى الشركية والتولة والسحر، ويتوجه الإنسان للقبور والأموات يطلب منهم المدد والعون.

بل زعم بعض القبوريين «أن ضريح علي الروبي أنقذ الفيوم من الدمار أثناء الحرب العالمية الثانية حيث حول مسار القنابل إلى البحر»^(١).

وزعم آخرون: «أن أهل القبور أهدوا ثلاثة مدافع لأحمد عرابي؛ ليحارب بها الإنجليز»^(٢).

ويزعم آخر من كبارهم في زمن الاحتلال الإنجليزي لمصر: «أن إبراهيم الدسوقي لو أراد خروج الإنجليز من مصر ما بقي إنجليزي واحد»^(٣).

٥- الشرك سبب المخاوف والرعب:

قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدِّثُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢].

٦- الشرك يبط الأفعال، ويسبب الخسران في الدنيا والآخرة:

وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال ﷺ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

(١) «موالد مصر المحروسة» (ص ٥٣)

(٢) «أفيون الشعوب الإسلامية» (ص ٧٩)

(٣) «الأضرحة وشرك الاعتقاد» (ص ١٢٠).

٧- الشرك يحرم صاحبه من مغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:

[٤٨].

وفي الحديث الإلهي: «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١).

٨- الشرك يجعل صاحبه شر البرية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

٩- المشرك نجس وخبث:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

١٠- وبالجمله؛ فالشرك ظلم:

قال تعالى: ﴿يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الثامنة: من أجل ذلك كانت رسالة الإسلام في التوحيد ومكملاته، والتحذير من الشرك وأسبابه وفروعه.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وغالب سور القرآن الكريم متضمنة لنوعي

التوحيد (توحيد الإثبات والمعرفة، وتوحيد الطلب والقصد)، بل كل سورة من القرآن الكريم، فالقرآن الكريم إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ وهو: التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه: فهذا التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا والآخرة؛

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (١٦٧/٥) بإسناد صحيح.

فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا والآخرة من النكال، وما يجلب بهم في العقبي من العذاب: فهذا جزاء من خرج من حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم^(١).

وقد جاء التحذير من الشرك بالله تعالى في نصوص القرآن الكريم، والسنة الشريفة على عدة أساليب وأوجه، منها:

١- الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

٢- الأمر بإفراده سبحانه بالعبادة، والنهي عن الشرك به: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

٣- النهي عن الشرك عموماً: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَوَحْدَهُ فَكُنْ مِنَ الْوَالِدِينَ عَلَيْهِ فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف: ١١٠].

٤- التحذير من الشرك ببيان قبح مفاصده، وخطورة آثاره، وشناعة أضراره: ﴿خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾ [الحج: ٣١].

٥- التبرؤ من الشرك وأهله: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

التاسعة: وأما رسول الله ﷺ فقد حرص كل الحرص على حماية جناب التوحيد، وحراسة السبيل الموصلة إليه، وقمع الشرك، وسد الذرائع الموصلة إليه، ومن ذلك:

١- النهي عن الألفاظ القادحة للتوحيد، ومن ذلك:

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/٤٢-٤٣ - ط الرسالة).

أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت؛ فقال: «أجعلتني لله ندا»^(١).
 أن يهودياً أتى النبي ﷺ؛ فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت،
 وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة،
 وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت^(٢).

٢- النهي عن الغلو في حقه ﷺ، ومن ذلك:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تطروني؛ كما أطرت النصارى
 ابن مريم؛ فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٣).
 وكذلك سد الذرائع الموصلة للغلو فيه، ومن ذلك:

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه؛ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله
 ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله» قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً،
 فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»^(٤).

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن
 خيرنا، وابن سيدنا؛ فقال: «أيها الناس بقولكم لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد
 عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ»^(٥).

٣- النهي عن تجاوز الحد المشروع في القبور، ومن ذلك:

(١) أخرجه أحمد (٢١٤ / ١) بإسناد صحيح. انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧١ / ٦) بإسناد صحيح، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (٢٥ / ٤) وهو
 حديث صحيح.

(٥) أخرجه أحمد (١٥٣ / ٣) و٢٤١ و١٤٩، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٥-٢٤٩)
 بإسناد صحيح.



أولاً: تحريم بناء المساجد عليها؛ ففي حديث عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: لولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً^(١).

ثانياً: تحريم الصلاة عند القبور أو إليها، ففي حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»^(٢).

وفي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى قبر، ولا تصلوا على قبر»^(٣).

ثالثاً: النهي عن البناء على القبور، ورفعها، وتخصيصها، والكتابة عليها؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، أو يكتب عليه^(٤).

رابعاً: النهي عن زيارة القبور زيارة شركية؛ فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها، ولا تقولوا هجرًا»^(٥).

خامساً: النهي عن اتخاذ القبور عيداً؛ ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ولا تجعلوا قبوري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»^(٦).

٤- الأمر بإزالة مظاهر الشرك، وإخفاء معالمه، وقطع وسائله وسد ذرائعه،

ومن ذلك:

- (١) مصى تخريجه (ص ٤٠).
- (٢) أخرجه مسلم (٩٧٢).
- (٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٥١)، وصححه شيخنا الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٠١٦).
- (٤) أخرجه مسلم (٩٧٠).
- (٥) أخرجه مسلم (٩٧٧).
- (٦) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٣٦٧/٢) وهو صحيح.

أولاً: الأمر بإزالة الأوثان وكل ما يعبد من دون الله؛ ففي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: كان بيت في الجاهلية، يقال له: ذو الخلصة، والكعبة اليمانية، والكعبة الشامية، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا ترينني من ذي الخلصة؟»، فنفرت في مائة وخمسين ركباً، فكسرناه، وقتلنا من وجدنا عنده، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فدعا لنا^(١).

وهذا أمر متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد هدم الأوثان، وكسر الأصنام التي كانت حول الكعبة، وهو يردد قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وأرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في ثلاثين فارساً لهدم العزى.

وأرسل عمرو بن العاص رضي الله عنه لهدم سواع صنم هذيل.

وأرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهدم الفلوس صنم طي؛ فهدمه، وأحرقه.

وبعث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لهدم اللات، فهدمها، وبها محقت الطواغيت في جزيرة العرب حيث طهرت من الأصنام، وحررت من الأوثان؛ بحيث لا يجتمع فيها دينان بعد ذلك.

ثانياً: الأمر بهدم القباب، وتسوية القبور؛ ففي حديث أبي الهياج الأشعري؛ قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(٢).

٥- النهي عن الذرائع المؤدية إلى الشرك؛ ففي حديث ثابت بن الضحاك

رضي الله عنه: أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «هل كان فيها وثن

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩).



من أو ثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا، قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟»، قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذكرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(١).

٦- النهي عن تعليق التمام والحروز، ولبس الحلقة والخيط ونحوها؛ لرفع البلاء ونحوه، وفي ذلك جملة أحاديث.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرقى والتائم والتولة شرك»^(٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة؛ فلا ودع الله له»^(٣).

وعن رويغ رضي الله عنه؛ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويغ لعل الحياة ستطول بك؛ فأخبر الناس: أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإن محمدًا بريء منه»^(٤).

وعن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسول الله ﷺ رسولاً، والناس في مبيتهم: «أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت»^(٥).

٧- النهي عن إتيان الكهان والعرافين، وفي ذلك جملة أحاديث؛ منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان؟ فقال: «ليس بشيء»

(١) أخرجه أبو داود (١٣١٣)، وأحمد (٤١٩/٣) وهو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠) وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٤/٤) وهو صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (١٠٨٤)، والنسائي (١١٧/٨) وهو صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

فقالوا: يا رسول الله! إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً! فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى؛ فيقرها في أذن وليه؛ فيخلطون معها مائة كذبة»^(١).

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان. قال: «فلا تأتوا الكهان»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً أو عرافاً؛ فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٣).

العاشرة: وتحذير الرب تبارك وتعالى من الشرك دليل على وقوعه حتى في المسلمين؛ لكن بعض الجاهلين بحقيقة التوحيد الذي بعث به محمداً ﷺ؛ زعموا: أن الشرك لا يقع في أمة محمد ﷺ.

والرد عليهم من وجوه:

١- أدلة إمكانية وقوع الشرك في أمة محمد ﷺ:

حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»^(٤).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب نساء دوس حول ذي الخلصة»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٩)، ومسلم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤٤٩/٢) وهو صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩) وهو صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٩٩)، ومسلم (٢٩٠٦).



وحديث عائشة رضي الله عنها؛ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»، فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]: أن ذلك تام. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة، فتوفى كل من كان من قلبه مثقال حبة من إيمان، فيبقى من لا خير فيه؛ فيرجعون إلى دين آبائهم»^(١).

فهذه الأحاديث الصحيحة دلالتها صريحة: أن طوائف من الأمة الإسلامية تلحق بالمشركين، وطوائف ستعبد الأصنام من دون الله - عيادًا بالله -.

٢- وأما أدلتهم التي تمسكوا بها؛ فهي:

أ- قول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهذه الآيات دليل عليهم لا لهم؛ فإنها تدل على خيرية الأمة الإسلامية بمجموعها، وعصمتها بكليتها، وهذا لا ينافي وقوع بعض أفرادها، أو طوائف منها في الشرك.

ويدل على ذلك وجود حدّ الردة فيمن بدل دينه، وفارق الجماعة، حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله جزاءً وفاقًا.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من بدل دينه؛ فاقتلوه»^(٢).

ويؤكد هذا ما وقع في حروب الردة؛ حيث ارتدت بعض القبائل إلى الشرك بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

وأمر آخر: أن هذه الآيات حرز لأهل الإيمان الخالص والتوحيد الصافي، أما أهل الشرك والنفاق والبدع؛ فليس لهم فيها نصيب؛ لأنهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]

ب- قوله ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»^(١).

والحديث يدل بمنطوقه ومفهومه: أن الشيطان يئس أن يجتمعوا كلهم على الشرك الأكبر؛ كما صرح بذلك الحافظان ابن كثير وابن رجب رحمهما الله.

وأمر آخر: أن هذا يأس من الشيطان، وهو ظن وتخمين منه لا عن علم جازم؛ لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله؛ فلا يلزم من يأس الشيطان أن لا يقع الشرك في جزيرة العرب!! كيف وقد وقعت الردة والشرك بعد موت رسول الله ﷺ؛ فرجعت قبائل من العرب إلى الأصنام، وصدقوا الأنبياء الكذبة.

ت- قوله ﷺ: «وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»^(٢).

وهذا حديث يخاطب الأمة كلها؛ أي: لست أخشى على مجموعكم؛ لأن ذلك وقع من بعضكم^(٣).

أو: أن الخطاب خاص بالصحابة ﷺ، ويقوي هذا الوجه: أن في الحديث إنذار بما سيقع بينهم؛ فوقع كما أخبر النبي ﷺ، بحيث أخبر أن الصحابة لا يشركون بعده؛ لكن يقع تنافس بينهم.

وهناك جواب ثالث؛ وهو: أن ذلك قبل أن يعلم النبي ﷺ؛ أن الشرك سيقع

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠١).

(٣) انظر «فتح الباري» (٣/٢١١).



في بعض الأمة، ويوحى إليه بأن طوائف منها سوف يعبدون الأصنام، أو يلحقون بالمشركين.

هذه أقوى أدلة المنكرين لوقوع الشرك في بعض الأمة الإسلامية، وهي أدلة تدحض حججهم؛ وتقوض بناءهم؛ فكيف إذا شهد التاريخ والواقع بعكس ما أصلوا، وخلاف ما قالوا؛ يوضحه:

٣- مراحل ظهور الشرك بين بعض الطوائف من أهل القبلة:

بعد وفاة رسول الله ﷺ، ارتدت بعض قبائل من العرب، ولحقت بالمشركين، واتبعوا الأنبياء الكذبة: مسيلمة الكذاب، وسجاح التميمية، والأسود العنسي وغيرهم.

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم، واجتمعوا على قتالهم؛ فقاتلوهم؛ حتى رجعوا إلى الامر الأول: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وعندما حصل الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم؛ ظهرت طائفة يتزعمها عبد الله بن سبأ اليهودي؛ غلت في علي بن أبي طالب؛ فزعموا: أن الله حلّ في علي رضوان الله عليه، وتبعتهم جماعة على ذلك، فقام علي رضوان الله عليه؛ فحرقهم بالنار، وهو يقول منشداً:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجمت ناراً ودعوت متنبراً

ثم ظهرت بدعة غلاة القدرية على يد معبد الجهني وغيلان الدمشي: الذين قال فيهم وفي أتباعهم ابن عمر رضوان الله عليهما: «ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله، وما أشركت قط إلا كان بدء إشراكها التكذيب بالقدر»^(١).

ثم ظهرت الجهمية القائلون بالتعطيل والجبر.

ثم ظهر زنادقة الفلاسفة الذين تشبعوا بالفلسفة اليونانية الوثنية.

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/٦٩٠).

ثم ظهرت طائفتان برز الشرك في أوساطهما لكل ناظر:
الطائفة الأولى: الروافض، وما تفرع عنهم من فرق باطنية: كالإسماعيلية،
والقرامطة، وإخوان الصفا، والعبّيين، والدروز، والعلويين.

الطائفة الثانية: المتصوفة الذين قالوا بالحلول والاتحاد، ونادوا بوحدة
الوجود، وبطلان التكليف، والمساواة بين الإيمان والكفر؛ بدعوى شهود الربوبية؛
كما في كتب الحلاج، وابن الفارض، وابن عربي.

٤- وما ينبغي التنبيه له في هذا الباب والتنبيه عليه: أن هذا الأمر وقع في
طوائف من الأمة، وأما الأمة بمجموعها؛ فهي محفوظة من الردة، ومعصومة من
الشرك؛ كما يدل على ذلك:

عن النبي ﷺ قال: «ولا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو
حتى يأتي أمر الله»^(١).

فهذا الحديث صريح في استمرار الأمة بمجموعها على التوحيد، وبقائها على
الطاعة، وأنها لا ترتد كلها، بل سيبقى منها طائفة على الاستقامة؛ وهي الطائفة
المنصورة، والفرقة الناجية.

وعن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة»^(٢).

فهذا الحديث يدل على أن أمة محمد ﷺ لا تجتمع بأكملها على ضلالة: من كفر
أو خطأ وإن وقع من بعضها، لكن يبقى فيها من هو على الحق حتى يأتي أمر الله،
وهو ما أخبر به رسول الله ﷺ، ومن ذلك:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه؛ قال النبي ﷺ: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين على

(١) أخرجه البخاري (٦٨٨٢)، ومسلم (١٩٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٧) وهو صحيح.



الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»^(١).

عن معاوية رضي الله عنه؛ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك»^(٢).

عن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك»^(٣).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي، يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة»^(٤).

عن عمران بن حصين رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»^(٥).

عن قرة بن إياس المزني رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا فسد أهل الشام؛ فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(٦).



(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) (١٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٢٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٢٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٤٨٤)، وأحمد (٤/٤٢٩ و ٤٣٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد

أهل السنة» (١٦٨ و ١٦٩)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٢٧)، والحاكم (٤/٤٥)

وهو صحيح.

(٦) أخرجه الترمذي (٢١٩٢) وأحمد (٣/٤٣٦ و ٥/٣٤ و ٣٥) وعلي بن الجعد في «مسنده»

(١١١١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٧٢)، وابن حبان (٦١)

بإسناد صحيح.



الوصية الثانية:

﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

بعد أن استوفى النص القرآني مقام الإحسان في العبادة؛ عبادة الله ﷻ كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك؛ بدلالة قوله تعالى ﴿شَيْئًا﴾ فالعبد لن يكون مُخْلِصًا وَمُخْلِصًا إِلَّا باستحضار مقامي القرب والمراقبة؛ فإن استحضار قربه، وأنه بين يديه؛ كأنه يراه، يقتضي الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويوجب النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها؛ وإتمامها وإكمالها، فإن شق عليه ذلك علم أن الله يراه ويطلع على سرّه وعلانيته، وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره. فمن شق عليه أن يعبد الله تعالى كأنه يراه، فليعبد الله على أن الله يراه، ويطلع عليه، فليستحيي من نظره إليه.

فمن تقلب بين هذين المقامين؛ فلن يشرك بالله شيئًا، ولو قُطِعَ، أو حُرِّقَ، أو حُمِّلَ على الدُّسْرِ.

بعد استيفاء هذا المقام انتقل إلى مقام الإحسان في البر؛ لأن ممارسة خصال البر سلوك، والدافع لهذه السلوكيات إحسان عبادة الرب سبحانه وتعالى، وأولى الخلق ببرهم هما والداك؛ فقال: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

وتحت ذلك مسائل:

الأولى: علاقة الإحسان إلى الوالدين بالسياق:

يرد الأمر بالإحسان إلى الوالدين عقب التحذير من الشرك بالله دائماً في سياق

واحد:

كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

[الإسراء: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:

٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي

عَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤ و ١٥].

الثانية: علاقة الإحسان إلى الوالدين بالسباق:

يقرن الله تعالى كثيراً بين توحيده وطاعته وبر الوالدين والإحسان إليهما

للووجه الآتية:

١- لأن نعمة الوالدين أعظم النعم على العبد بعد نعمة الله تعالى؛ لأن المؤثر

الحقيقي في وجود الإنسان هو الله ﷻ، والمؤثر في الظاهر هو الأبوان^(١).

٢- لأن ذلك من باب شكر المنعم؛ فالله المنعم بالإيجاد والإمداد، والأبوان

بالتربية والإعداد: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣]^(٢).

(١) انظر: «روح المعاني» (٨/٤١٣).

(٢) انظر: «نظم الدرر» (٢/٧٤١).

ولهذا يؤثر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ أنه قال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث؛ لا تقبل واحدة بغير قرينتها.

قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول ﷺ لم يقبل منه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾؛ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾؛ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يتقبل منه.

وعلى هذا يتفرع حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»^(١).

الثالثة: وهذا الاقتران يدل على عظم حق الوالدين ووجوب برهما، وأن عقوقهما من الكبائر.

ولهذا جاءت أحاديث في السنة النبوية: أن بر الوالدين من أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله بعد عبادة الله ﷻ؛ ومنها:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٢).

وقد جاء التحذير من عقوقهما في أحاديث؛ منها:

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢)، والترمذي (١٨٩٩) بإسناد صحيح. وانظر «السلسلة الصحيحة» لشيخنا الإمام الألباني (٥١٦).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٢٥)، ومسلم (٨٥).



عن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا». قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وجلس وكان متكئًا؛ فقال: «ألا وقول الزور» قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت^(١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «وإن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه». قيل: يا رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل؛ فيسب أباه، ويسب أمه؛ فيسب أمه»^(٢).

عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا ينظر الله ﷻ إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة والديوث.

وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بها أعطى»^(٣).

وهذه الأحاديث صريحة في جعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، ولذلك كل من صنف في الكبائر ذكرها بلا مثنوية.

وبوّب البخاري في «صحيحه» في كتاب الأدب بابًا بعنوان: عقوق الوالدين من الكبائر.

وقال القرافي: «نظام ود الآباء للأبناء، وود الأبناء للآباء، هو سياج عظيم عند الشرع حتى جعل خرقه من الكبائر»^(٤).

الرابعة: كثرة وصاية الله للأبناء بالإحسان للوالدين؛ لأن كلمة الإحسان أجمع كلمة تليق بمقام الوالدين للوجوه الآتية:

(١) مضي تخريجه (ص ٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٢٨)، ومسلم (٩٠).

(٣) أخرجه النسائي (٨/٥)، وأحمد (١٣٤/٢)، وهو حديث صحيح.

(٤) «الفروق» (٣/٨٨٤)

١- لأن برهما عبادة؛ فهو إحسان؛ لأن الإحسان أجمع كلمة في مراتب العبودية؛ كما في حديث جبريل عليه السلام، فعندما سأل رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال ﷺ: «أن تعبد الله؛ كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١).

٢- لأن الوالدين أحسننا لولدهما في صغره؛ فكان لزاماً أن يكون جزاءهما الإحسان إليهما في كبرهما؛ لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٣- لأن الأمر بالإحسان إليهما يفيد النهي عن ضده، وهو الإساءة إليهما، وبهذا الاعتبار وقع في عداد ما حرم الله، لأن المحرم هو الإساءة للوالدين. وإنما عدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناء بالوالدين؛ لأن الله أراد برهما، والبر إحسان، والأمر به يتضمن النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب (٢).

٤- لأن كلمة الإحسان تشمل جميع أنواع البر ومراتبه ابتداء من الاعتراف بحقهما، ومروراً بمقابلة ذلك بالشكر، وانتهاء بالقيام بذلك بكل انشراح صدر، وطمأنينة نفس، واستمرار على برهما بعد موتها.

الخامسة: هذه الوصية تدل على أن الله أرحم بالناس من الآباء والأبناء؛ لأنه يوصي الأبناء بالآباء؛ وأوصى الآباء بالأبناء.

عن المقدم بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب» (٣).

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) انظر «التحرير والتنوير» (١٥٨/٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (١٣٢/٤) وهو صحيح؛ كما في «السلسلة الصحيحة» (١٦٦٦).



ولاشك أن الموصي أرحم بالموصى به من الموصى؛ فإذا كان الله ﷻ يوصي الأبناء بالآباء؛ فهو أرحم بالآباء من أبنائهم. وهذا واضح جلي.

وعما ينبغي لفت النظر إليه؛ أن وصاية الله الأبناء بالإحسان إلى الوالدين وردت في آيات كثيرة، وأما وصية الآباء بالأبناء فتأتي لمامًا.

وهذا التركيز على بر الوالدين والإحسان لهما، والاقتصاد في الجانب الآخر له جملة من الحكم، منها:

١- أن رصيد الفطرة وغريزة الأبوة كافية لحمل الأبوين على العناية بالأولاد، وإيفائهم حقوقهم كاملة.

أما الإحسان إلى الأبوين وبر الوالدين فمن التكاليف التي تشق على النفس، وليس لها رصيد فطري ودافع غريزي، فكان لزامًا أن يؤكد عليها، ويهتم بها.

٢- ان بر الوالدين يتضمن جملة من مكارم الأخلاق، كالوفاء، وتقدير الجميل، وهي أخلاق لا يتخلق بها إلا الكمل من البشر، والخلص من العباد؛ لمشتقتها على النفس، ولذلك احتاج الإنسان أن يذكر بها، ويركز عليها.

٣- أن الوالدين يعتنيان بأولادهما وهما غير محتاجين لهن، بينما الأبناء لا يبدأ اهتمامهم بالآباء غالبًا إلا في مرحلة يكون الآباء بحاجة ماسة إلى رعاية الأبناء، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَارِئِيَانِي صَغِيرًا ﴿ [الإسراء: ٢٣ و ٢٤].

السادسة: وجاء حق الوالدين بالإحسان لهما وبرهما بعد حق الله تعالى لنكتة منهجية عظيمة؛ وهي أن حق الوالدين ينبغي ألا يتعارض مع حق الله؛ لأن حق الله يجب أن يقدم، وذلك للوجوه الآتية:



١- ورود النص في هذا الشأن: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].
 وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

٢- أن حق الوالدين فرع بالنسبة لحق الله تعالى؛ فلا يقدم الفرع على الأصل.

٣- أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله؛ لأن الطاعة في المعروف.

ولما كان مراد الشرع الإحسان إلى الوالدين في كل الحالات والأحيان؛ فإنه أمر الإنسان بتقديم حق الله ورسوله إذا تعارض مع طاعتها؛ فإنه أوصى أن يعاملا بإحسان في أمور الدنيا التي لا تتحدث حق الله ورسوله: ﴿وَإِذَا تَعَرَّضْنَا عَنْهُمْ تَتَّعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

وقد كان هذا هو منهج الأنبياء وأتباعهم في كل الأمم، ومن أمثلة ذلك:

أ- إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - مع أبيه آزر الكافر؛ كما أخبرنا الله ﷺ حيث كان عليه الصلاة والسلام يحرص على هداية والده، ويدعوه بالحسنى.

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمْنِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤١ - ٤٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ [الممتحنة: ٤ - ٦]

ولما علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن أباه عدو لله انتهى عن الاستغفار له: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنِ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

ب- وكذلك كان ورثة الأنبياء؛ فهذا أبو هريرة رضي الله عنه كانت أمه مقيمة على الكفر، وتؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانها، ومع ذلك يحسن إليها، ويعاملها بلطف مع حرصه على هدايتها.

قال: كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام، وهي مشركة؛ فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد أم أبي هريرة»، فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فصرت إلى الباب؛ فإذا هو مجافٌ، فسمعت أُمِّي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت، ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت يا رسول الله! أبشر، فقد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله، وأثنى عليه،

وقال خيراً^(١).

ت- عن أسماء بنت أبي بكر رضي عنها؛ قالت: قدمت عليّ أمي، وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت عليّ أمي، وهي راغبة -أي: طامعة فيما عندي تسألني البر والإحسان إليها- أفأصل أمي؟
قال ﷺ: «نعم صلي أمك»^(٢).

ث- وعن سعد بن أبي وقاص رضي عنه؛ قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله وصابك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد؛ فأنزل الله ﻋﻨﻚ في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥]^(٣).

السابعة: واستعمال المصدر ﴿إِحْسَنًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

يدل على وجوب استمرارية الإحسان إلى الوالدين في حياتهما وبعد موتها.

ونكته الباب: أن الوالد -الأب والأم- ليس مرحلة زمنية في حياة الأبناء؛ لأن الوالد أصله وجذره وبيئته التي ترعرع فيها، ولا ينقطع عن جذره أو ينفك عن أصله إلا الخبيث: ﴿وَمَثَلُ كِمَةٍ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] ولما كان البر كذلك ليس مرحلة زمنية في حياة العبد،

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩١)

(٢) أخرجه مسلم (١٧٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٧)، ومسلم (١٠٠٣).

فقد فرض الله على الأبناء صلة الآباء في حياتهم، ومن ذلك:

أن يخفض الجناح لهما، ولا يرفع صوته عليهما، ولا يقل لهما أف، ويحسن إليهما بكل معاني الإحسان استجابة لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿[الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما قال له أبوه إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ١٠٢﴾ قَالَ يَا بَتِ أِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿[الصافات: ١٠٢].

وما ذكر الله لنا ذلك إلا لتتعلم البر، ولتتعلم كيف نتعامل مع آبائنا.

ب- كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمه، تقول أمه: و عليك السلام ورحمة الله وبركاته، يقول أبو هريرة: رحمك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول له أمه: يا بني! وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيراً^(١).

ت- وطلبت أم مسعر ليلة من مسعر ماء، فقام فجاء بالكوز، فصادفها وقد نامت، فقام على رجله بيده الكوز إلى أن أصبحت فسقاها^(٢).

ث- ورأى رجل عقرباً في البيت الذي فيه أمه، فأراد أن يقتلها أو يأخذها، فسبقته فدخلت في حجر، فأدخل يده في الجحر؛ ليأخذها فجعلت تضربه - أي

(١) أخرجه البخاري، في «الأدب المفرد» (١٤) بإسناد حسن.

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/٢٠٧ / ٧٩٢٠).

تلدغه-، فقبل له: ما أردت إلى هذا؟ قال: خفت أن تخرج من الحجر، فتجيء إلى أمي فتلدغها^(١).

ج- ووضع رجل ثان خده على الأرض، ثم قال لأمه: قومي ضعي قدمك على خدي^(٢).

ح- ورجل آخر يقبل رأس أمه، ولا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالاً لها^(٣).

وكذلك حض الأبناء على مواصلة بر الآباء بعد موتها، ومن ذلك:

أ- اجتهاد الولد في طاعة الله وعبادته؛ أي: أن كل عمل صالح يعملها؛ فلا يوبه من الأجر مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء^٤.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

والولد من سعي أبيه ومن كسبه؛ كما قال ﷺ: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»^(٤).

فإن فعلت ذلك يا عبد الله! فلا يجوز لك أن تصلي وتصوم، وتقول: وهبت ذلك لوالدي، فالأجر يصل إليهما دون أن تهب، والذي تقوله لم يرد في السنة، ولم يرد عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

ب- ومن برّهما بعد الموت: الدعاء لهما، والاستغفار.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

(١) «حلية الأولياء» (٦/٢١١)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/٣١٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/٦٢٠).

(٣) «بر الوالدين» للطرطوشي (ص ٧٨).

(٤) أخرجه الترمذي (١٣٥٨)، وابن ماجه (٢٢٩٠)، وأحمد (٦/١٦٢) وهو صحيح.

وقال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

وقال ﷺ: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة؛ فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»^(٢).

ت- ومن برّهما بعد موتهما: إكرام صديقيهما، وصلة إخوانهما:

قال ﷺ: «أبر البر أن يصل الرجل وُدَّ أبيه»^(٣).

وقال ﷺ: «من أحب أن يصل أباه في قبره؛ فليصل إخوان أبيه من بعده»^(٤).
فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يضرب لنا أروع الأمثلة في ذلك:

كان ابن عمر إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروّح عليه إذا ملّ ركوب الراحلة، وعمامة يشدُّ بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذ مرَّ به أعرابي؛ فقال: ألسنت ابن فلان ابن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة قال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حملاً كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُد أبيه - أي أصحاب أبيه - بعد أن يولي» وإن أباه كان صديقاً لعمر رضي الله عنهما^(٥).

وزار ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً في المدينة، فقال له: أتدري لما أتيتك؟ قال: قلت:

لا. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يصل أباه في قبره؛ فليصل

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وأحمد (٥٠٩/٢) وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٧٥/٢)، وأبو يعلى (٣٧/١٠)، وهو صحيح.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

إخوان -أي: أصحاب أبيه- أبيه بعده»، وإنه كان بين أبي عمر وبين أهلك إخوان وود؛ فأحببت أن أصل ذاك^(١).

ث- ومن برهما بعد موتها التصديق عنهما، من علم، أو بناء مسجد، أو حفر بئر، أو سبيل، أو توريث مصحف.

وهذا هو المراد بالصدقات الجارية؛ ليصل الأجر منها إلى والده.

عن عائشة رضي الله عنها: «أن رجلاً قال: إن أمي افتلتت نفسها -أي: سلبت، أي: ماتت فجأة- ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ولي أجر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «نعم»، فتصدق عنها^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة توفيت أمه، وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله! إن أمي توفيت، وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها؟ قال: «نعم». قال: فإني أشهدك أن حائط المخراف -أي: المتمر- صدقة عليها^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبي مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال صلى الله عليه وسلم: «نعم»^(٤).



(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٧٥ / ٢)، وأبو يعلى «(٣٧ / ١٠)»، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٠٩)، ومسلم (١٠٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٣٠).



الوصية الثالثة:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

بعد ما بيّن الله حقوق الوالدين على أبنائهما، وقرر وجوب الإحسان إليهما بيّن حقوق الأبناء على الآباء؛ تنبيهًا للآباء: أن الأولاد لا يقومون ببر الآباء على الوجه الذي يرضاه الله إلا إذا تكلف الآباء مشقة التربية والإعداد لجيل رباني، يسهل عليه القيام ببر الآباء، لأن من زرع حصد؛ فمن زرع الرعاية لأبنائه، وقام على تربيتهم تربية ربانية، ووقاهم المعاصي، وأمرهم بعبادة الله واصطبر عليها؛ فلن يجني إلا البر والإحسان من أولاده، أما من عقها صغارًا؛ فسيحقونه كبارًا.

وبيان ذلك في جملة مسائل:

الأولى: علاقة النهي عن قتل الأولاد من إملاق بالسباق.

قال الحافظ ابن كثير: «لما أوصى تعالى بالوالدين والأجداد عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد»^(١).

وقال الألوسي: «وعقب سبحانه التكليف المتعلق بالوالدين بالتكليف المتعلق بالأولاد؛ لكمال المناسبة»^(٢).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٩٥).

(٢) «روح المعاني» ٤١٢/ ٨.



وقال الرازي: «فأوجب بعد رعاية حقوق الأبوين رعاية حقوق الأولاد»^(١)
الثانية: علاقة النهي عن قتل الأولاد من إملاق بالسياق.

قال البقاعي: «ولما أوصى بالسبب في الوجود، نهى عن التسبب في الإعدام، وبدأه بأشده؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، ولما كان النهي عامًا، وكان ربما وجب على الولد قتل؛ خص لبيان الجهة، فقال: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾؛ أي: من أجل فقر حاصل بكم»^(٢).

وقال أبو حيان: «ولما أمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين نهى عن الإساءة إلى الأولاد، ونهى على أن أعظم الإساءة للأولاد؛ هو: إعدام حياتهم بالقتل خوف الفقر»^(٣).

الثالثة: وصية الله للآباء بالأبناء تدل على أمور، منها:

- ١- أن كل إنسان مكلف عليه واجبات وله حقوق، فكما أوصى الله الآباء بالآباء وهذه واجبات، أوصى الآباء بالأبناء وهذه حقوق؛ فينبغي على كل مكلف أن يعرف ما عليه من واجبات، وما له من حقوق، ويعطى كل ذي حق حقه.
- ٢- الله ﷻ أرحم بالأبناء من آبائهم، حيث أوصى الآباء بأبنائهم مع قيام داعي الفطرة في نفوسهم، ومع ذلك يوصى بالأبناء مما يدل على أنه أرحم بالأولاد من آبائهم.

قال الحافظ ابن كثير: «وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ [النساء: ١١] أنه تعالى أرحم بخلقه

(١) «التفسير الكبير» (٧/٢٤٥).

(٢) «نظم الدرر» (٢/٧٤١).

(٣) «البحر المحيط» (١٤/٢٥١).

من الوالدة بولدها؛ حيث أوصى الوالدين بأولادهم؛ فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح: وقد رأى امرأة من السبي فرق بينها وبين ولدها، فجعلت تدور على ولدها، فلما وجدته في السبي أخذته، فألصقت به صدرها وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أترون هذه طارحة ولدها في النار، وهي تقدر على ذلك؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فوالله الله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

وقال -أيضاً-: «هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده؛ لأنه ينهى عن قتل الأولاد؛ كما أوصى في الميراث»^(٢).

٣- أن الأبناء نعمة عظيمة تدوم بالشكر.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَكُنْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ نَبِينَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ لِيُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

بل هم من أفضل النعم على العباد، فهم زينة الحياة الدنيا: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال ﷺ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

٤- ولذلك فالوالدان مسؤولان عند الله عن أولادهما:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/٤٦٨).

(٢) المصدر السابق (٣/٤١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسؤول راع عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتهما، والخادم في مال سيده، وهو مسؤول عن رعيته»^(١).

٥- ولذلك؛ فالأولاد فتنة للآباء: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وقال ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

وعن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا؛ فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»^(٢).

ولما كان الأبناء فتنة للآباء جاء التحذير من الله ﷻ للآباء من فتنة الأبناء.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَّهُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٤] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤ و ١٥].

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١١٠٩)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائي في «المجتبى» (١٤١٣)، وفي «الكبرى» (٥٣٥/١)، وأحمد في «المسند» (٣٥٤/٥) وهو صحيح.

ومن ذلك أنه بين للآباء أن الأبناء لن يغنوا عنهم من الله شيئاً يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ ءَاتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]

الرابعة: إبطال سنن الجاهلية، وبيان ما كان عليه العرب قبل الإسلام من جهل مركب، وضلالة عمياء، ومن ذلك: وأد الأولاد وهم أحياء:

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠]»^(١).

١- بين الله أن هذا تزيين من الشيطان، حيث خيل لهم أن فيه فوائد وقرباً بأن يلقوا إليهم مضرة الاستجداء والعار في النساء، وأن النساء لا يرجى منهن نفع للقبيلة، وأنهن يجعلن الآباء يجبنوا عند لقاء العدو، ويؤثرن أزواجهن على آبائهن، فقتلن أصلح وأنفع من استبقائهن، ونحو هذا من الشبه والتمويهات ذات المعاني التي تروج عندهم، فإن العرب كانوا مفرطين في الغيرة والجموح من الغلب والعار؛ كما يقال النابغة:

حذاراً على أن تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرنا

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَنَدَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٤).

وهذا التزيين نشأ لهم عن إشاعة كبرائهم فيهم قوانين صنعوها، وخضع لها أفراد المجتمع بحكم الضغوط الاجتماعية السائدة في ذلك العصر، وبحكم الموارث الجاهلية البائدة^(١).

٢- وهذا التزيين المبني على الأوهام التي لم تغن عنهم مما خافوه شيئاً، بل أوقعتهم فيما فروا منه، وقادتهم إلى ما هربوا منه، فحق عليهم الخسران المبين: قال الله تعالى مبيناً نتيجة ضلالهم وثمره جهلهم: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وهذا التحقيق المشتمل على بيان ضلالهم في قتل أولادهم، وعميتهم عما هم فيه من الخسران؛ وهذا هو الخسران المبين، وأنهم باءوا بعكس ما عملوا من أجله، وذلك: أنهم قتلوا أولادهم نفعاً لأنفسهم بالتخلص من أضرار في الدنيا محتمل لحاقها بهم من جراء بناتهم؛ فوقعوا في أضرار محققة في الدنيا والآخرة، فإن النسل نعمة من الله على الوالدين يأنسون به، ويجدون له لكفاية مهماتهم، ونعمة على القبيلة تكثر وتعزز، وعلى العالم كله بكثرة من يعمره، وبما ينتفع به الناس من مواهب النسل وصنائه، ونعمة على النسل نفسه بما يناله من نعيم الحياة وملذاتها.

ولتلك الفوائد وغيرها اقتضت حكمة الله إيجاد نظام التناسل حفظاً للنوع، وتعميراً للعالم، وإظهاراً لما في الإنسان من مواهب تنفعه وتنفع قومه، على ما في عملهم من اعتداء على حق البنت الذي جعله الله لها؛ وهو: حق الحياة إلى انقضاء الأجل المقدر لها، وهو حق فطري لا يملكه الأب؛ فهو ظلم بين؛ لرجاء صلاح لغير المظلوم ولا يضر بأحد لينتفع غيره.

(١) انظر: «التحرير والتنوير» (١١٢/٨).

فلما قتل بعض العرب بناتهم بالوآد كانوا قد عطّلوا مصالح عظيمة محققة، وارتكبوا به أضرارًا حاصلة، من حيث أرادوا التخلص من أضرار طفيفة غير محققة الوقوع، فلا جرم أن كانوا في فعلهم كالتاجر الذي أراد الرّبح فباء بضباع أصل ماله.

ولأجل ذلك سمّى الله فعلهم: سفهًا؛ لأنّ السّفه هو خفة العقل واضطرابه. وفعلهم ذلك سفه محض، وأي سفه أعظم من إضاعة مصالح جمّة، وارتكاب أضرار عظيمة، وجناية شنيعة؛ لأجل التخلص من أضرار طفيفة قد تحصل وقد لا تحصل.

وتعريف المسند إليه بالموصولية للإيحاء إلى أنّ الصّلة علّة في الخبر؛ فإنّ خسرانهم مسبّب عن قتل أولادهم.

وقال: ﴿يَغْيِرُ عِلْمٍ﴾ مع أن السفه لا يكون إلا بغير علم؛ فإنهم لما فعلوا القتل كانوا جاهلين بسفاهتهم، وبشناعة فعلهم، وبعاقة ما قدّروا حصوله لهم من الضرّ، إذ قد يحصل خلاف ما قدّروه، ولو كانوا يزنون المصالح والمفاسد لما أقدموا على فعلتهم الفظيعة.

والمقصود من الإخبار عن كونه بغير علم؛ بعد الإخبار عنه بأنّه سفّه: التنبيه على أنّهم فعلوا ذلك ظنًا منهم أنّهم أصابوا فيما فعلوا، وأنّهم علموا كيف يرأبون ما في العالم من المفاسد؛ وينظمون حياتهم أحسن نظام، وهم في ذلك مغرورون بأنفسهم، وجاهلون بأنهم يجهلون: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] (١).

٣- وأنه اعتداء على حق الأولاد في الحياة، وهو حق فطري وهبه الله لهم،

(١) المرجع السابق (٨/ ١١٤-١١٥).

لا يملكه الأب ولا غيره، ولا يحق لأحد أن يسلبه إلا بإذن من الله ﷻ واهب الحياة، ولما كان لا يوجد سبب شرعي يؤدي إلى قتل الأولاد؛ قرّعهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۗ﴾ [التكوير: ٩٨]؛ مما يدل على أن من أفضع الاعتداء: إزهاق الأرواح من أجسادها، وبخاصة اعتداء الآباء على نفوس أطفالهم بالوآد، وهم الذين ينبغي ان يكونوا أحرص الخلق على حياة أولادهم لما جعل الله في الفطرة من حرص الآباء على استحياء أبنائهم، بل جعلهم الله سبب إيجاد الأبناء.

ولذلك كان توجيه السؤال إلى الموءودة: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۗ﴾؟ فيه تعنيف شديد على من وأدها، وإدخال الروح على نفسه، وتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي وأدها، وليكون جوابها شهادة على من وأدها، فيكون استحقاقه للعقاب أشد وأظهر.

وتوجيه السؤال لها عن تعيين الذنب الذي قتلت به مع تحقق الوائد الذي يقرع سمعه هذا السؤال أن لا ذنب لها؛ فيه إشعار للوائد بأنه غير معذور فيما صنع بها، وأنه معتد على حق الله وحق الأبناء، وظالم لنفسه مبین، فأى عذر له يحول بينه وبين العذاب؟ أو أي حيلة له تمنعه من العقاب في يوم الحساب؟! (١).

٤- وبلغ القرآن في بيان جهلهم مبلغاً يعجز اللسان عن وصفه، فهم متناقضون في حكمهم، حيارى في فعلهم، مسيئون في اختيارهم: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۗ﴾ (٥٧) ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۗ﴾ (٥٨) ﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْرِ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ ۖ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۗ﴾ [النحل: ٥٧-٥٩].

(١) انظر «التحرير والتنوير» (١٥/١٤٦) بتصرف وزيادة.

فأما تناقضهم؛ فجعلوا الإناث بنات الله، ثم كرهوا ما جعلوه لربهم، ولم يرضوه لأنفسهم، وهذا غاية؛ التناقض الدال على جهلهم المركّز؛ فقد جهلوا قدر الله ﷻ، وما قدروه حق قدره فهو المنزه عن الصاحبة والولد.

ثم كرهوا ما اختاروه لربهم، فلو كانوا صادقين لرضوا لأنفسهم ما جعلوه لربهم!!

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل: ٦٢]

ثم حكموا فيه حكماً سيئاً يسوؤهم، ولذلك قال الله فيهم: ﴿أَلَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ لأنه جور عظيم تماماً عليه، وفساد عريض درجوا عليه.

وأمر آخر يلزمهم بالتناقض في فعالهم، كما ألزمهم الأول التناقض في أقوالهم؛ وهو: أنهم في جاهليتهم الجهلاء وضلالتهم العمياء، وظلمهم الكبير وبغيهم العريض: معاملتهم للمرأة معاملة من لو كانت ولادة الذكور باختيارها... فلماذا لا يغضب أحدهم على نفسه إذ يلحق امرأته بأثني؟!.

قالت إحدى نسائهم تذكر زوجها وقد هجرها؛ لأنها تلد البنات:

ما لأب الزلفاء لا يأتينا وهو في البيت الذي يلينا

يغضب إن لم نلد البنينا وإنما نعطي الذي أعطينا

وهذا أمر يؤكده القرآن الكريم، ويؤيده علم الوراثة: أن تحديد جنس المولود يرجع - بعد قضاء الله وقدره - إلى الرجل نفسه؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّن مِّمِّي يَعْنِي ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٦ - ٣٩].

فالله خلق الزوجين: الذكر والأثني من المنى؛ وهو: ماء الرجل.



وأما من الناحية العلمية، فالصبغ الذكوري (الكروموسوم) موجود عند الرجل (XY)، وأما المرأة فعندها الصبغ الأنثوي (XX).

إذًا؛ فهم متناقضون في أقوالهم، متناقضون في فعالهم، وهذا غاية الجهل ونهاية السفه، ولذلك جعل الله لهم مثل السوء: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

فإن قيل: لو كان المراد بالقتل هنا الوأد لذكر البنات؛ لأن الوأد مشهور في الإناث، ولم تعرف العرب وأد الذكور.

فالجواب: أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم شياطينهم ذلك؛ فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار، ولهذا ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] ^(١).

الخامسة: استدل بعض العلماء بهذه الآية وأمثالها على منع العزل:

قال القرطبي: «وقد يستدل بهذا من يمنع العزل؛ لأن الوأد يرفع الموجود والنسل، والعزل منع أصل النسل فتشابهها؛ إلا أن قتل النفس أعظم وزراً وأقبح فعلاً» ^(٢).

وقال الشنقيطي: «وأخذ بعض أهل العلم من هذه الآية منع العزل؛ لأنه وأد خفي» ^(٣).

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٩٥)، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه مضي تخريجه (ص ٢٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ٧/١٣٢.

(٣) «أضواء البيان» (٢/٢٧٨).

وقد حرر هذه المسألة شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ؛ فقال:

«جواز العزل: ويجوز له أن يعزل عنها ماءه، وفيه أحاديث:

الأول: عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ، فلم ينهنا»^(١).

الثاني: عن أبي سعيد الخدري؛ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن لي وليدة^(٢)، وأنا أعزل عنها، وأنا أريد ما يريد الرجل، وإن اليهود زعموا: أن الموءودة الصغرى العزل، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت يهود، كذبت يهود، لو أراد الله أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه»^(٣).

الثالث: عن جابر أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمنا وسانيتنا^(٤)، وأنا أطوف عليها^(٥)، وأنا أكره أن تحمل، فقال:

«اعزل عنها إن شئت؛ فإنه سيأتيها ما قدر لها»، فلبث الرجل، ثم أتاه؛ فقال: إن الجارية قد حبلت! فقال: «قد أخبرتك إنه سيأتيها ما قدر لها»^(٦).

الأولى ترك العزل: ولكن تركه أولى لأمر:

الأول: أن فيه إدخال ضرر على المرأة لما فيه من تفويت لذتها^(٧)، فإن وافقت عليه؛ ففيه ما يأتي؛ وهو:

(١) رواه البخاري (٢٥٠/٩)، ومسلم (٤/١٦٠)، والرواية الثانية له.

(٢) يعني: جارية.

(٣) رواه النسائي في «العشرة» (٨١/١-٢)، وكذا أبو داود (١/٢٣٨)، والطحاوي في «المشكّل» (٢/٣٧١)، والترمذي (٢/١٩٣)، وأحمد (٣/٣٣ و ٥١ و ٥٣) بسند صحيح.

(٤) أي: التي تسقي لنا النخل؛ كأنها كانت تسقي لهم عوض البعير. «نهاية»

(٥) أي: أجامعها، وأكره حملها مني بولد.

(٦) رواه مسلم (٤/١٦٠).

(٧) ذكره الحافظ في «الفتح».



الثاني: أنه يفوت بعض مقاصد النكاح؛ وهو تكثير نسل أمة نبينا ﷺ، وذلك قوله ﷺ: «تزوجوا الودود الودود؛ فإنني مكاثر^(١) بكم الأمم»^(٢).
ولذلك وصفه النبي ﷺ بالوَاد الخفي حين سأله عن العزل، فقال:
«ذلك الوَاد الخفي»^(٣).

(١) أي: أغلب بكم الأمم السابقة في الكثرة، وهو تعليل للأمر بتزويج الودود الودود، وإنما أتى بقيدين؛ لأن الودود إذا لم تكن ولوداً لا يرغب الرجل فيها، والولود غير الودود لا تحصل المقصود؛ كذا في «فيض التقدير».

(٢) رواه أبو داود (١/٣٢٠)، والنسائي (٢/٧١) من حديث معقل بن يسار وهو حديث صحيح.
(٣) أخرجه مسلم (٤/١٦١) عن عائشة عن جذامة بنت وهب.

وقد توهم بعضهم: أنه معارض لحديث أبي سعيد المتقدم بلفظ: «وأن اليهود زعموا: أن الموءودة الصغرى العزل، فقال ﷺ: «كذبت يهود، لو أراد الله أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه». ولا معارضة بينهما؛ كما بينه المحققون من العلماء، وأحسن ما قيل في الجمع بينهما قول الحافظ ابن حجر (٩/٢٥٤): «وجمعوا بين تكذيب اليهود في قولهم: «الموءودة الصغرى»، وبين إثبات كونه وأداً خفياً في حديث جذامة بأن قولهم: «الموءودة الصغرى» يقتضي أنه وأد ظاهر؛ لكنه صغير بالنسبة إلى دفن المولود بعد وضعه حياً، فلا يعارض قوله: «إن العزل وأد خفي»، فإنه يدل على أنه ليس في حكم الظاهر أصلاً، فلا يترتب عليه حكم، وإنما جعله وأداً من جهة اشتراكها في قطع الولادة، قال بعضهم: قوله: «الوَاد الخفي»، ورد على طريق التشبيه؛ لأنه قطع طريق الولادة قبل مجيئه، فأشبهه قتل الولد بعد مجيئه».

وقال ابن القيم في «التهذيب» (٣/٨٥): «فاليهود ظنت أن العزل بمنزلة الوَاد في إعدام ما انعقد بسبب خلقه؛ فكذبهم في ذلك، وأخبر: أنه لو أراد الله خلقه ما صرفه أحد، وأما تسميته: وأداً خفياً؛ فلأن الرجل إنما يعزل عن امرأته هرباً من الولد، وحرصاً على أن لا يكون، فجرى قصده ونيتة وحرصه على ذلك مجرى من أعدم الولد بؤده، لكن ذلك وأد ظاهر من العبد فعلاً وقصداً، وهذا وأد خفي منه، إنها أراده ونواه عزماً ونية، فكان خفياً». فأفاد التشبيه المذكور في الحديث كراهة العزل، وأما الاستدلال به على التحريم؛ كما فعل ابن حزم؛ فقد تعقبوه بأنه ليس صريحاً في المنع، إذ لا يلزم من تسميته: وأداً خفياً على طريق التشبيه أن يكون حراماً؛ كما في «الفتح» أيضاً.

وقد روى ابن خزيمة في «حديث علي بن حجر» (ج ٣ رقم ٣٣ - بنزيمي) عن العلاء عن أبيه أنه قال: سألت ابن عباس عن العزل، فلم ير به بأساً. وسنده صحيح.

ولهذا أشار النبي ﷺ إلى أن الأولى تركه في حديث أبي سعيد الخدري -أيضاً- قال: «ذكر العزل عند رسول الله ﷺ، فقال: «وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ؟!» - ولم يقل: فلا يفعل ذلك أحدكم؟ - فإنه ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها». (وفي رواية): «وإنكم لتفعلون، وإنكم لتفعلون، وإنكم لتفعلون؟ ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة»^(١)»^(٢).

السادسة: ومن المسائل المعاصرة التي لها صلة بهذه القضية ما أطلق عليه: تنظيم الأسرة، أو تنظيم النسل، أو ضبط النسل، أو تحديد النسل، وكلها مترادفات

(١) رواه مسلم (٤/١٥٨ و ١٥٩) بالروایتين، والنسائي في «العشرة» (١/٨٢)، وابن منده في «التوحيد» (٢/٦٠) بالأولى، والبخاري (٩/٢٥١-٢٥٢) بالأخرى.

قال الحافظ في «الفتح» في شرح الرواية الأولى:

«أشار إلى أنه لم يصرح لهم بالنهي، وإنما أشار إلى أن الأولى ترك ذلك؛ لأن العزل إنما كان خشية حصول الولد، فلا فائدة في ذلك؛ لأن الله إن كان قدر خلق الولد لم يمنع العزل ذلك، قد يسبق الماء ولا يشعر العازل، فيحصل العلق ويلحقه الولد، ولا راد لما قضى الله». قلت: وهذه الإشارة إنما هي بالنظر إلى العزل المعروف يومئذ، وأما في هذا العصر، فقد وجدت وسائل يستطيع الرجل بها أن يمنع الماء عن زوجته منعاً باتاً مثل ما يسمى اليوم: بربط المواسير، وكيس الكاوتشوك الذي يوضع على العضو عند الجماع، ونحوه، فلا يرد عليه حيثئذ هذا الحديث وما في معناه، بل يرد ما ذكر في الأمرين الأولين، وخاصة الثاني منهما، فتأمل.

وعلى كل حال، فالكرهية عندي فيما إذا لم يقترن مع الأمرين أو أحدهما شيء آخر؛ هو من مقاصد أهل الكفر في العزل، مثل خوف الفقر من كثرة الأولاد، وتكلف الإنفاق عليهم وتربيتهم، ففي هذه الحالة ترتفع الكراهية إلى درجة التحريم؛ لالتقاء العازل في نيته مع الكفار الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية الإملاق والفقر؛ كما هو معروف. بخلاف ما إذا كانت المرأة مريضة، يخشى الطبيب أن يزداد مرضها بسبب الحمل، فيجوز لها أن تتخذ المانع مؤقتاً، أما إذا كان مرضها خطيراً يخشى عليها الموت، ففي هذه الحالة فقط يجوز، بل يجب ربط المواسير منها، محافظة على حياتها، والله أعلم».

(٢) «آداب الزفاف» (ص ٥٨-٦٥).



عند دعائها مؤادها تقليل النسل؛ بدعوى: أن النسل يتزايد ويتكاثر، والموارد الغذائية تقل وتضيق، ولذلك أصبح ما تنتجه هذه الموارد لا يتكافأ مع الزيادة المستمرة في السكان بنسبة عالية، إذاً فلا بد من حلّ... والحل موجود؛ وهو: وقف النمو المتزايد في عدد السكان، وذلك بجعل عدد النسل على قدرٍ ما يكفي من الموارد.

هذا قولهم بأفواههم، وما تخفي صدورهم أعظم، وقد جندوا للترويج لهذه الحملة جمعيات ذات أصول كنسية؛ لأن هذه الدعوى تعد تنفيذًا أمينًا لنظرية القسيس الإنجليزي (مالتوس) حينما نشر أفكاره في (١٧٩٨م) تحت عنوان (تزايد السكان وتأثيره في تقدم المجتمع في المستقبل).

وملخص نظريته: أن زيادة السكان تتم بنسبة متوالية هندسية (١، ٢، ٤، ٨) في حين أن زيادة الغذاء تتم بنسبة متوالية حسابية (١، ٢، ٣، ٤).

١- وإذا استمر النسل بصورته الفطرية؛ فسيأتي يوم تضيق الأرض بمن عليها من البشر، وعندها لا تعود وسائل الرزق ومصادره تكفي لسد حاجات البشر، فتعيش في ضنك وضيق.

وعلى هذا الأساس؛ دعا مالتوس إلى الحد من النسل، وإيجاد الطرق الكفيلة بذلك، من أجل تنظيم عملية الإنجاب، بحيث تتماشى زيادة السكان مع إمكانيات العيش ووسائله المتاحة؛ وذلك حفاظًا على الرفاه المادي والاقتصادي، ويتم هذا الأمر عن طريقين:

الأولى: ألا يتزوج الأفراد إلا بعد أن يتقدم بهم السن.

الثانية: أن يحاولوا التغلب على أهواء النفس من نزواتها في الحياة الزوجية إذا

تزوجا.

إن أفكار (مالتوس) قد لقيت تجاوبًا وصدىً في أوروبا لعوامل منها:

- الثورة الصناعية وما صاحبها من هجرة السكان إلى المدن، ومن غلاء الأسعار، وصراع على لقمة العيش؛ مما حدا بالفرد - في تلك الحياة المادية - أن يكرس اهتمامه في إنفاق ما يكسبه على نفسه فقط، وأن يقلل عدد الشركاء فيه.

- خروج المرأة للعمل لكسب عيشها - بعد أن تخلى الرجل عن هذه المهمة - وهذا الأمر دفعها لترك وظيفتها الفطرية في إنجاب الأولاد؛ لعدم تفرغها لهم.

- الاختلاط بين الجنسين في العمل وغيره؛ جعل المرأة تزدرى وظيفتها الأمومة، وتوجه جل اهتمامها إلى العناية بقوامها ومظهرها الذي ترى في الإنجاب ما يشينه ويسيء إليه.

- الفلسفات المادية والمناهج الإلحادية التي لا تؤمن إلا بما في الحوزة من المال، وتنكر وجود إله تكفل برزق كل مخلوق.

مع مرور الزمن وتعاقب تجارب الأمم والدول؛ ثبت بطلان هذه النظرية وما دعا إليه أصحابها، بل ثبت خلاف ما تدعو إليه هذه النظرية، فقد تضاعف سكان أوروبا منذ أن أقدم (مالتوس) على نظريته عدة مرات، ومع ذلك لم تصب إنكلترا، ولا أوروبا، ولا الولايات المتحدة بالمسغبة والمجاعات التي كان ينذر بها (مالتوس). بل على العكس من ذلك زاد الإنتاج زيادة رهيبية، حتى إن الفائض من الطعام في أوروبا والولايات المتحدة بلغ جبالاً من القمح والجنين واللحم، وأنهاراً من اللبن والزبد. ومن أجل ذلك؛ قامت حكومات هذه الدول بحرق الفائض، أو رميه في البحر؛ حتى لا ينخفض السعر في السوق العالمي!!!

ولأجل ما سبق، أصبح كثير من الدول تدعو إلى زيادة النسل والإنجاب، وتحث عليه، وتزيل الأسباب التي تعوق ذلك.



فهذه إيطاليا تصدر قانوناً ضد منع الحمل المراقب، فقد صدرت رسالة بابوية عام (١٩٦٨م) تمنع ذلك.

وهذه إسبانيا تحظر بيع وسائل منع الحمل.

وهذه ألمانيا تحذر من انقراض الألمان في القرن القادم - أي القرن الحالي -، إن لم يحصل توازن بزيادة عدد المواليد.

وهذا الرئيس اليوناني يحض على إنجاب المزيد من الأبناء؛ لإقامة قوات مسلحة ضخمة لمواجهة القوات التركية وتهديداتها.

وهذه زوجة رئيس فرنسا اختارت الأمهات المثاليات - على مستوى الدولة - من اللواتي أنجبن نحو ثلاثة عشر مولوداً.

بعد ما تبين خطأ الدعوة - المالتوسية - إلى تحديد النسل، وموقف الدول - السابقة الذكر - من هذه النظرية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تُرَوِّج دعوى تحديد النسل من قبل الدول الغربية ومن يسير في فلكها - من خلال هذه المؤتمرات وغيرها من الآليات - في أوساط الدول الإسلامية والعربية، وتقدم المعونات المالية - التي تصل إلى بلايين الدولارات -، والطبية، والمادية، والفنية؛ من أجل تنفيذ برامج تحديد النسل، والدعوة إلى انتشار هذه الوسائل، وجعلها أكثر أمناً، وأرخص ثمناً، وتيسير الوصول إليها من قبل العملاء في هذه الدول؟!!

إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في تصاريح أعداء المسلمين:

فقد عمل (ديستان) الرئيس الفرنسي السابق مقارنة هادفة بين سكان فرنسا وسكان الجزائر والمغرب، فقال سنة (١٩٦٠م) مقابل ٥٢ مليون ساكن في فرنسا، كان سكان الجزائر ١٠ ملايين، والمغرب ٦ و١١ مليون؛ أي في المجموع أقل من سكان فرنسا!. وفي عام (١٩٩٠م) تعداد الجزائر ٤ و٢٥ مليون ساكن، والمغرب

٢٥١ مليون؛ أي في مجموع فرنسا!! وفي عام (٢٠٢٥م) يكون في الجزائر ٥٠ مليون ساكن، وفي المغرب أكثر من ٤٥ مليوناً؛ أي ما يعادل فرنسا مرتين!! وحسبها أوضح لي علماء السكان؛ فإن شعوب المغرب العربي تتجاوزها ١١٠ ملايين نسمة، تفوق قدرة استيعاب أرضها ومواردها.

وهذا الكلام السابق ناضح بمدى تخوف الإدارة الفرنسية من النمو السكاني الإسلامي على الشاطئ الآخر للبحر المتوسط؛ خشية أن يتمدد المسلمون نحو أوروبا!! وهذا التخوف كفيلاً بأن يجعل الغرب الصليبي كله يحسب ألف حساب للنمو السكاني الإسلامي، فيقدم كل ما يستطيع من فكرة وطريقة وأموال للحد من ذلك النمو كما وكيفاً، بحجة قلة الموارد، وعدم استيعاب الأرض لهذه الأعداد من المسلمين.

جاء في إحدى النشرات الأمريكية:

«إن الدعوة إلى تحديد النسل في مصر وسوريا تخدم التوسع الصهيوني في إسرائيل، وفي الوقت الذي تبدي فيه الأمم المتحدة قلقها من زيادة السكان في الدول النامية، فإنها تدق أجراس الخطر منادية باتخاذ إجراءات لزيادة السكان في الدول الصناعية؛ لأنها تواجه خطر الانقراض».

وأخيراً؛ فهذا (ميك كارل) يوضح حقيقة الأمر بجلاء، فيقول: «إن أهل الشرق سوف لا يلبثون إلا قليلاً حتى يطلعوا على حقيقة هذا الدجل - أي الدعوة إلى تحديد النسل -، ثم لا يغتفرونه لأهل الغرب؛ لأنه استعمار من نوع جديد يهدف إلى دفع الأمم غير المتقدمة - ولاسيما الأمم السوداء - إلى مزيد من الذل والخسف؛ حتى تتمكن الأمم البيضاء من الاحتفاظ بسيادتها».

ومن خلال هذه التصريحات من الغربيين أنفسهم ندرك لماذا تصدر إلى الشرق



الإسلامي دعاوى تحديد النسل - أو ما يسمونه تضليلاً: تنظيم النسل - بينما يشاع في أوساط الغربيين الدعوة إلى زيادة النسل، وتشجيعه بكافة الوسائل الممكنة^(١). ولما عجزت كثير من هذه الجمعيات الكنسية في مهمتها، وفشلت في حملتها؛ عمدت الدول الغربية الصليبية إلى فرض هذه التوصيات على دول العالم، وبخاصة الدول العربية الإسلامية من خلال المؤتمرات العالمية للمرأة التي تبناها هيئة الأمم المتحدة.

جاء في تقرير المؤتمر العالمي عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم / كوبنهاجن (١٩٨٠م):

- ينبغي للمنظمات غير الحكومية: أن تساند جهود الحكومة بالقيام بتشجيع قبول الجمهور لتنظيم الأسرة.

- كفالة سهولة حصول جميع النساء على تنظيم الأسرة.

وجاء في تقرير المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات «عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم / نيروبي (١٩٨٥م):

- تشكل قدرة المرأة على التحكم في خصوبتها أساساً للتمتع بالحقوق الأخرى، وطبقاً لما سُلِّم به في خطة العمل العالمية للسكان، وأعيد التأكيد عليه في المؤتمر الدولي المعني بالسكان، لكل زوجين ولكل الأفراد الحق الإنساني الأساسي في أن يقرروا بحرية وعلى بيئة عدد أطفالهم، وفترات مباحة الحمل، كما ينبغي توفير المعلومات وتقديم الخدمات المتعلقة بتنظيم الأسرة، وينبغي للحكومات أن تشجع الانتفاع بتلك الخدمات بغض النظر عن سياساتها السكانية، ويجب أن تؤدي تلك الخدمات بمشاركة المنظمات النسائية لتكفل لها النجاح.

(١) من مقال: «ماذا تعرف عن تحديد النسل؟» للدكتورة ست البنات خالد.

- ينبغي للحكومات أن توفر - بصفة عاجلة - المعلومات والتعليم، وسبل مساعدة الرجل والمرأة على اتخاذ القرارات فيما يتعلق بعدد الأطفال الذي ترغب فيه. وبغية ضمان الاختيار الحر والإرادي ينبغي أن تشمل المعلومات والتعليم والوسائل في ميدان تنظيم الأسرة جميع طرق تنظيم الأسرة الملائمة والمعتمدة طبيًا، وينبغي إشراك المنظمات النسائية في هذه البرامج؛ لأنها أنجع واسطة لحفز الناس على هذا المستوى.

- وتسليمًا بأن الحمل الذي يحدث للمراهقات - سواء المتزوجات منهن أو غير المتزوجات - له آثار معاكسة بالنسبة لأمراض ووفيات الأم والطفل، يهاب بالحكومات أن تضع سياسات لتشجيع التأخير في إنجاب الأطفال.

- ينبغي لجميع الحكومات أن تكفل إتفاق وسائل وعقاقير التحكم في الخصوبة مع المستويات الكافية من الجودة والفعالية والسلامة، وينبغي أن ينطبق هذا - أيضًا - على المنظمات المسؤولة عن توزيع هذه الوسائل وإعطائها. وينبغي أن توفر للنساء معلومات عن أدوات منع الحمل.

وجاء في تقرير المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة / بكين (١٩٩٥م):

- إن الاعتراف الصريح بحق جميع النساء في التحكم في جميع الأمور المتعلقة بصحتهن - وخاصة تلك المتعلقة بخصوبتهن -، وتأكيد هذا الحق مجددًا، أمر أساس لتمكين المرأة.

- حق الرجال والنساء في أن يكونوا على معرفة بالوسائل المأمونة، والفعالة، والممكنة، والمقبولة، التي يختارونها لتنظيم الأسرة، فضلًا عن الوسائل الأخرى التي يختارونها لتنظيم الخصوبة، ولا تتعارض مع القانون، وسهولة الوصول إلى هذه الوسائل.

- إن النساء الأكثر فقرًا والأصغر سنًا هن اللاتي يتعرضن - في المقام الأول



- لأعلى المخاطر. ومن الممكن اتقاء معظم هذه الوفيات والمشاكل الصحية والإصابات، من خلال تحسين إمكانية الحصول على خدمات الرعاية الصحية الكافية - بما في ذلك الأساليب المأمونة والفعالة لتنظيم الأسرة.

وجاء في تقرير المؤتمر الدولي المعني بالسكان/ مكسيكو (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م):

- إن الخصوبة العالية غير المطلوبة تؤثر بصورة ضارة على صحة ورفاه الأفراد والأسر - وخاصة في الأوساط الفقيرة-، وتشكل عائقًا خطيرًا أمام التقدم الاجتماعي والاقتصادي في الكثير من البلدان. والنساء والأطفال هم الضحية الرئيسية للخصوبة غير المنظمة. فالزيادة الكبيرة في عدد مرات الحمل، وزيادة التقارب بينها، وكذلك الحمل في سن مبكرة جدًا، أو متأخرة جدًا، تشكل كلها أحد الأسباب الرئيسية لوفيات الأمهات والرضع والأطفال، وإصابتهم بالأمراض.

- في البلدان التي تكون فيها معدلات الخصوبة مرتفعة، تشكل ضخامة العدد المطلق والنسبي للأطفال عبئًا مستمرًا على التنمية الاجتماعية والاقتصادية - بما في ذلك التنمية التربوية.

وورد في تقرير المؤتمر الدولي للسكان والتنمية / القاهرة (١٩٩٤م):

- خلال عقد التسعينيات: سيزيد عدد الأزواج في سن الإنجاب بحوالي ١٨ مليون زوج في السنة. ولتلبية احتياجاتهم، وسد الثغرات الكبيرة القائمة في مجال الخدمات، سوف يلزم توسيع تنظيم الأسرة، وإمدادات وسائل منع الحمل بصورة كبيرة خلال السنوات العديدة المقبلة. وبرامج تنظيم الأسرة تؤدي دورها على أفضل وجه عندما تكون جزءًا من برامج أوسع للصحة الإنجابية.

- جعل خدمات تنظيم الأسرة - ذات النوعية الجيدة - في المتناول ومقبولة، مع تيسير الحصول عليها لمن يحتاجونها ويريدونها، ومع المحافظة على السرية.

- تحسين نوعية خدمات إسداء المشورة، والمعلومات، والتثقيف، والاتصال، والإرشاد، في مجال تنظيم الأسرة.

- كما يجب أن تتضمن برامج الأسرة توفير المعلومات الكاملة والدقيقة، التي ييسر الحصول عليها عن مختلف طرق تنظيم الأسرة - بما في ذلك المخاطر الصحية لهذه الطرق، وفوائدها، وآثارها الجانبية المحتملة، وفعاليتها في منع انتشار فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز، وغير ذلك من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي.

- جعل خدمات تنظيم الأسرة أكثر أمناً، وأرخص ثمنًا، وأكثر ملاءمة، وأقرب منالاً للعملاء، والقيام بكفالة توفير إمدادات كافية ومستمرة من وسائل منع الحمل الأساسية، وذات النوعية العالية، وينبغي كفالة الخصوصية والسرية.

- ضمان توفير الرعاية اللاحقة بشكل ملائم - بما في ذلك العلاج من الآثار الجانبية لاستخدام وسائل منع الحمل.

وجاء في تقرير المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية ريو دي جانيرو (١٩٩٢م):

- تنفيذ تدابير - على وجه الاستعجال، وطبقاً لظروف البلدان الخاصة -؛ لكفالة أن يكون للمرأة والرجل نفس الحق في القيام بحرية وبمسؤولية، بتحديد عدد أطفالهما، والمساعدة فيما بين الولادات، والحصول على المعلومات، والتعليم، والوسائل - حسب الاقتضاء-؛ لتمكينهم من ممارسة هذا الحق بما يتفق مع حريتهم، وكرامتهم، وقيمهم الشخصية.

ويمكن تلخيص إجراءات تحديد النسل -السابقة- بما يلي:

١- قيام الحكومات والمنظمات غير الحكومية -خاصة المنظمات النسائية- بتشجيع قبول الناس لتنظيم الأسرة.

٢- إدراج المعلومات الخاصة بتنظيم الأسرة في المناهج الدراسية للفتيات



والفتيان، حتى يتمكن الرجل والمرأة من تحمل مسؤولية تنظيم الأسرة، وتمكن المرأة من حق تحديد عدد الأطفال، والفترات الفاصلة بينهم، وتوقيت إنجابهم.

٣- تقديم الخدمات المتعلقة بتنظيم الأسرة، وتسهيل الوصول إليها، وتشجيعها من قبل الحكومات، بغض النظر عن سياساتها السكانية.

٤- الاعتراف بحق النساء في التحكم بخصوبتهن.

٥- الاعتراف بحق الأفراد في تنظيم الأسرة.

٦- إن من أساليب اتقاء وفيات صغيرات السن تمكينهن من خدمات الرعاية الصحية الكافية؛ ومنها: الأساليب المأمونة والفعالة لتنظيم الأسرة.

٧- جعل خدمات تنظيم الأسرة في المتناول ومقبولة، وأن يكون الحصول عليها يسيرًا، وأن تكون رخيصة الثمن، مع المحافظة على السرية والخصوصية.

٨- أن تتضمن برامج تنظيم الأسرة المخاطر الصحية لهذه الطرق، وفوائدها، وآثارها الجانبية، وفعاليتها في منع انتشار الإيدز.

٩- ضمان توفير العلاج من الآثار الجانبية لاستخدام وسائل منع الحمل.

وبعد كل هذا هل يمكن أن نصدق بأن جهود منظمات الأمم المتحدة تسعى لتنظيم عدد أفراد الأسرة داخل نطاق الأسرة الشرعية؟ أم أنهم يسعون إلى توفير هذه الخدمات لفئة الشباب والمراهقين لضمان ما يسمى بالجنس الآمن لهم، وفي الوقت نفسه تنفيرهم من الزواج المبكر، وتأخير سن الزواج، وبالتالي تأخير الإنجاب، وحد النسل، ودمار الأسرة والمجتمع؟^(١).

لقد أدرك العلماء المعاصرون والفقهاء المعتبرون هذا الكيد الصليبي؛ فانفقوا على تحريم تحديد النسل وفروعه، وذلك في فتوى صادرة عن المجمع الفقهي الإسلامي:

(١) من مقال: «تحديد النسل ومؤتمرات المرأة» للدكتورة ست البنات خالد.

القرار الأول:

الحكم الشرعي في تحديد النسل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه. وبعد: فقد نظر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في موضوع تحديد النسل، أو ما يسمى تضليلاً بـ (تنظيم النسل).

وبعد المناقشة وتبادل الآراء في ذلك قرر المجلس بالإجماع ما يلي:

نظرًا إلى أن الشريعة الإسلامية تحض على تكثير نسل المسلمين وانتشاره، وتعتبر النسل نعمة كبرى، ومنّة عظيمة من الله بها على عباده، وقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية: من كتاب الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ، ودلت على أن القول بتحديد النسل، أو منع الحمل، مصادم للفظرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، وللشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله تعالى لعباده، ونظرًا إلى أن دعاة القول بتحديد النسل، أو منع الحمل، فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين؛ لتقليل عددهم بصفة عامة، وللأمة العربية المسلمة والشعوب المستضعفة بصفة خاصة، حتى تكون لهم القدرة على استعمار البلاد واستعباد أهلها، والتمتع بثروات البلاد الإسلامية، وحيث إن في الأخذ بذلك ضربًا من أعمال الجاهلية، وسوء ظن بالله تعالى، وإضعافًا للكيان الإسلامي المتكون من كثرة اللبنة البشرية وترابطها.

لذلك كله؛ فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي يقرر بالإجماع: أنه لا يجوز



تحديد النسل مطلقاً، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق؛ لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، أو كان ذلك لأسباب أخرى غير معتبرة شرعاً: أما تعاطي أسباب منع الحمل، أو تأخيره في حالات فردية؛ لضرر محقق ككون المرأة لا تلد ولادة عادية، وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين؛ فإنه لا مانع من ذلك شرعاً. وهكذا إذا كان تأخيره لأسباب أخرى شرعية أو صحية يقرها طبيب مسلم ثقة. بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرر المحقق على أمه، إذا كان يخشى على حياتها منه بتقرير من يوثق به من الأطباء المسلمين.

أما الدعوة إلى تحديد النسل، أو منع الحمل بصفة عامة: فلا تجوز شرعاً، للأسباب المتقدم ذكرها؛ وأشد من ذلك في الإثم والمنع إلزام الشعوب بذلك، وفرضه عليها، في الوقت الذي تنفق فيه الأموال الضخمة على سباق التسليح العالمي للسيطرة والتدمير، بدلاً من إنفاقه في التنمية الاقتصادية والتعمير، وحاجات الشعوب.

نائب الرئيس

محمد علي الحرکان

رئيس المجمع الفقهي الإسلامي

عبد الله بن محمد بن حميد

الأعضاء:

عبد العزيز بن عبد الله بن باز	محمد محمود الصواف	صالح بن عثيمين
سالم عبد الودود	حسنين محمد مخلوف	مصطفى الزرقاء
مبروك العوادى	د. محمد رشيد قباني	محمد بن عبد الله السبيل
محمد الشاذلي النيفر	أبو بكر جومي	أبو الحسن الندوي
د. محمد رشيدى	خطاب الهاشمي	اللواء محمود شيت

وفي فتوى (٢٢٢١) للجنة الدائمة ما يلي:

السؤال: هل يجوز للمسلم تنظيم أسرته باتباع الوسائل المختلفة لتحديد النسل؟

الجواب: لقد سبق أن بحث مجلس هيئة كبار العلماء هذه المسألة؛ فأصدر قرارًا مضمونه ما يأتي:

نظرًا إلى أن الشريعة الإسلامية ترغب في انتشار النسل وتكثيره، وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة، مَنْ الله بها على عباده، فقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله، مما أوردته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في بحثها المعد للهيئة، والمقدم لها.

ونظرًا إلى أن القول بتحديد النسل، أو منع الحمل مصادم للفطرة الإنسانية التي فطر الله الخلق عليها، وللشريعة الإسلامية التي ارتضاها الرب تعالى لعباده، ونظرًا إلى أن دعاة القول بتحديد النسل، أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين بصفة عامة، وللأمة العربية المسلمة بصفة خاصة، حتى يكون لهم القدرة على استعمار البلاد واستعمار أهلها، وحيث إن الأخذ بذلك ضرب من أعمال الجاهلية وسوء الظن بالله تعالى، وإضعاف للكيان الإسلامي المتكون من كثرة اللبنة البشرية وترابطها، لذلك كله؛ فإن المجلس يقرر بأنه لا يجوز تحديد النسل مطلقًا، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق؛ لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

أما إذا كان منع الحمل لضرورة محققة؛ ككون المرأة لا تلد ولادة عادية، وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد، أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان؛ فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل أو تأخيره عملاً بما جاء

في الأحاديث الصحيحة، وما روي عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم من جواز العزل، وتمشيًا مع ما صرح به بعض الفقهاء من جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة قبل الأربعين، بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرورة المحققة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرئيس عبد العزيز بن باز
 نائب الرئيس عبد الرزاق عفيفي
 عضو عبد الله بن غديان
 عضو عبد الله بن قعود

السابعة: قتل الأولاد يفوت مقصدًا عظيمًا من مقاصد النكاح؛ وهو: تكثير سواد أمة محمد ﷺ حيث نهى عن الزواج من المرأة العقيم التي لا تلد، وأمر بالولود الودود؛ لتكثير الأمة الإسلامية.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحببت امرأة ذات حسب وجمال، وإنما لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم»^(١).

وما يؤكد أن تكثير عدد المسلمين غاية شرعية يحبها الله ورسوله: أن الله شرع تعدد الزوجات، ومن مقاصده: تكثير النسل الذي ينفع الله به البلاد والعباد، وبالكثرة تقوى الأمة، وتهاب بين الأمم، وتكتفي بذاتها عن غيرها.

وقد يفهم بعض المسلمين أن كثرة المسلمين ناحية سلبية في حياتهم وواقعهم،

(١) مضي تخريجه (ص ٩٠).

ويستدل بما فهمه بادئ بدء من حديث تداعي الأمم، وفيه: «... بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن» قالوا: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكرهية الموت»^(١).

وهذا الفهم خاطئ من وجوه متعددة:

١- أن السلبية في هذا الحديث في نوعية الكثرة وكيفيتها، ولذلك وصفت هذه الكثرة بالعثائية.

٢- وأما كثرة المسلمين من حيث هي إذا قارنها بالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح والعلم النافع؛ فلاشك أنها مقصد عظيم من مقاصد البعثة النبوية.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الودود؛ فإنني مكاثر الأنبياء يوم القيامة»^(٢).

٣- هذا وقد تحققت كثرة المسلمين في زماننا بشكل ملحوظ مما يجعل حديث تداعي الأمم علماً من أكلام النبوة مرة أخرى، فقد أصدر (منتدى بيو حول الدين والحياة العامة) تقريراً خطيراً: أن عدد المسلمين في العالم (١, ٥٧) مليار نسمة، وقد أظهر هذا التقرير حقائق لم تكن في الحسبان:

الأولى: انتهاء فكرة أن العرب هم المسلمون، والمسلمون هم العرب فقط، مما أكد عالمية الإسلام.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٧٨/٥) وهو حديث صحيح؛ كما بيته في كتاب مستقل: «بدائع الحكم شرح حديث تداعي الأمم».

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٠٢٨)، والبزار (١٤٠٠ - كشف الأستار)، والبيهقي (٨٢-٨١/٧) بإسناد حسن.



الثانية: مدى حجم المسلمين، ومدى انتشارهم في العالم، وأنه لا تخلو منهم دولة من دول العالم؛ حيث تمت عملية الإحصاء للمسلمين في (٢٣٢) دولة وإقليمًا، وهذا إرهاب لأن يبلغ الدين الإسلامي ما بلغ الليل والنهار، وإرهاب لأن يبلغ ملك المسلمين مشارق الأرض ومغاربها.

الثالثة: أن معدل نمو المسلمين هو الأكثر بين شعوب الأرض، وهذا يؤهلهم حسب الدراسات العلمية لمراكز البحث العالمية في الاستمرار، ويعطيهم القدرة في المستقبل القريب على سيادة العالم من جديد بإذن الله.

الرابعة: ولما كانت أمة الإسلام يزيد عددها على ربع البشرية، ومنتشرون في جميع قارات العالم؛ فإن هذه الكثرة رغم وهنها وضعفها، وأنها ليست النوعية التي ستؤثر في مجرى التاريخ، فإنها تشكل مصدر إزعاج لكثير من الأمم، وتخيف أعداء المسلمين؛ فهذا هي تقاريرهم تشهد على ذلك.

والذي يخيفهم: أن الكثرة في حد ذاتها نعمة؛ لأنها من شروط التفوق الاقتصادي والحضاري، ولهذا تسعى كثير من الأمم إلى تعويض قلة أعدادها بالتكثف فيما بينها.

ولذلك امتنَّ الله على عباده؛ فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

أ- قال هانوتو - وزير خارجية فرنسا -:

«لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده، وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر»^(١).

ب- قال أشعيا بومان:

(١) «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» (ص ١٨).

«إن شيئاً يجب أن يسيطر على العالم الغربي، لهذا أسباب؛ منها: أن الإسلام منذ ظهوره في مكة لم يضعف عددياً، بل أتباعه يزدادون باستمرار. من أسباب الخوف: أن هذا الدين من أركانه الجهاد»^(١).
ت- ويقول لورد بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر»: «إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب؛ بل بسبب الإسلام.

يجب محاربة الإسلام؛ للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب؛ لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره. إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية»^(٢).

الثامنة: إبطال حجة المشركين في قتل أولادهم

بينت هذه الوصية حجة الكافرين في قتل أولادهم؛ وهو: الإملاق، ثم كرت على هذه الحجة المتهاففة؛ فهدمت عالي بنيانها، ونسفت راسخ أركانها؛ بوجوه متعددة؛ منها:

١- أن هذه الحجة المزعومة لا أساس لها من علم، بل هي جهل متناقض، وسفه متعارض، ولذلك؛ فهي باطلة؛ لأنها أسست على باطل.

٢- وكذلك حججهم التي تترسوا خلفها أقبح من ذنبهم؛ لقد جعلوا الفقر عذراً لقتل أولادهم، والفقر لا يصلح أن يكون داعياً لقتل النفس.

٣- كيف يخافون الفقر على أولادهم وعدم إتيان الرزق معهم وهم يرزقون صباح مساء، ولهذا إن كان الخوف من الافتقار عذراً لجواز القتل؛ فليقتلوا أنفسهم؛

(١) «التبشير والاستعمار» (ص ١٣١).

(٢) «الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي» (ص ١٩).



لأنهم لا يضمنون رزقهم، وإن كانوا لا يقتلون أنفسهم؛ لأنهم يرزقون، فالذي رزقهم يأتي بالرزق لأولادهم.

وهذا ظاهر في نقض دعواهم وإفحامهم، ولذلك:

أ- عدل الرب تبارك وتعالى عن طريق الغيبة الذي جرى عليه الكلام من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إلى طريق المتكلم بضمير العظمة ﴿تَحْنُ نَزُوقُكُمْ﴾ وَإِيَّاهُمْ ﴿تَذَكِيرًا﴾ بالذي أمر بهذا القول كله، حتى كأن الله أقحم كلامه بنفسه - وحاشاه - أثناء كلام رسوله الذي أمره به، فكلم الناس بنفسه، تأكيداً لهذه القضية المنهجية، وتصديقاً لرسوله ﷺ^(١).

ومسألة الرزق دائماً يباشرها الله ﷻ بنفسه؛ لنكت كثيرة؛ منها:

الأولى: أن الله ﷻ أوجب رزق العباد على نفسه بنفسه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

الثانية: أن مسألة الرزق مرتبطة بمسألة الخلق؛ فالذي خلق هو الذي يرزق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

الثالثة: أن الله ﷻ تكفل بأزراق العباد كما أنطقهم: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢ و ٢٣].

وقد استفاضت الأحاديث النبوية في هذه القضية، منها:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه؛ إن روح القدس نفث في روعي: إن نفساً لا تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في

(١) انظر «التحرير والتنوير» (١٥٨/٥)

الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته»^(١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه؛ كما يهرب من الموت؛ لأدركه رزقه؛ كما يدركه الموت»^(٢).

ب- ذكر رزق الأبناء مع رزق الآباء؛ ليذكرهم أن الذي رزق الآباء يرزق الأبناء؛ فكما أنكم ترزقون؛ فكذلك أولادكم يرزقون.

ت- قدم رزق الآباء للإشارة أنه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعاً كذلك يرزق الأبناء فلن يموتوا جوعاً، وكذلك؛ فالفقر وقع على الآباء فلم يقتل لأجله الأبناء؟!؟

ث- تم تقديم المسند إليه وهو الضمير (نحن) على المسند الفعلي، وهو لإفادة الاختصاص؛ أي: أن الله هو ﴿نَزَّزْنَاكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الرزاق ذو القوة المتين؛ فهو الذي يرزق الآباء والأبناء.

وهذه الحجة الجاهلية الداحضة لا يزال مشركو هذا الزمان ومن تشبه بهم يكررها؛ حيث زعموا: أن مشاكل العالم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بسبب النمو السكاني المتزايد، ومن أجل حلها اقترحوا كبح تكاثر السكان والحد من النسل هو المفتاح لحل مشكلات العالم، ولذلك لا بد من تنظيم الأسرة، وتحديد النسل.

وهم يدندنون حول هذه القضية لأهداف عدة وغايات متعددة:

أولاً: أصبحت هذه القضية أداة بيد الدول الكبرى يتم عن طريقها وضع

(١) «السلسلة الصحيحة» (٢٨٨٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٩٠ و ٢٤٦) بإسناد حسن لغيره، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٩٥٢).



الخطط التي تخدم مصالح تلك الدول، وبخاصة بعد أن ضمنت لنفسها وضعا اقتصاديا متقدما.

ثانياً: أصبحت قضية التكاثر السكاني المنفذ الوحيد الذي تدخل منه الدول الكبرى كثيراً مفاهيمها وأفكارها وثقافتها والشور المتعلقة بها إلى المجتمعات، وبخاصة العربية الإسلامية التي أصبحت مهددة بنسف قيمها، وتفكيك مجتمعاتها، وتقويض مشروعها الحضاري.

ولابد للمسلمين بعامة والعرب منهم بخاصة: أن يتنبهوا لخطورة هذا الغزو الغربي الحضاري الذي يظهر بمظهر المشفق على الشعوب العربية المسلمة، وأنه جاء ليخلصهم من فقرهم وتخلفهم وجهلهم!!

إن هذا الطرح الغربي لهذه القضية يتنافى من كل الوجوه مع الفهم الإسلامي الصحيح:

يزعم دعاة هذه القضية من الغربيين: أن تنمية شخصية الإنسان، وتلبية رغباته، وحفز نشاطه لا يكون إلا بالطعام.

وبما أن زيادة السكان تفوق الزيادة في الإنتاج، فلا بد من حد النمو السكاني بتخفيض النسل وتحديدته!!

وهذا الطرح لا يقره الإسلام من أي وجه من الوجوه، ولذلك من الخطيئة الكبرى أن يحاول أناس إيجاد مستند إسلامي لهذا الطرح الغربي الكافر.

١- إن التكاثر والتناسل في الإسلام أمر فطري عند الإنسان، حيث يبحث عن التناسل، ويطلب الذرية، بل يعد الإسلام ذلك إحدى الضروريات الخمس للإنسان التي جاء لحفظها، وهي: الدين، العقل، المال، النفس، والنسل.

ولاشك أن بقاء النسل واستمراره يتوقف عليه استمرار الجنس البشري

وبقاءه؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاتَّقِنَ بُشْرُوهُنَّ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٨٧﴾.

والشاهد هو قوله: ﴿وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: من حصول النسل والولد.

٢- إن الأولاد هبة الله للأباء، وهبة الله لا تكون إلا خيراً محضاً، ولذلك امتن على العباد بها: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئِنَّهَا وَهَبٌ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُرْجِيهِمْ ذَكَرْنَا وَإِنشَاءً وَجَعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿الشورى: ٤٩ و ٥٠﴾.

وعندما تستقري كلمة (الهبة) في القرآن لا تجد إلا الخير والسعادة والصلاح كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿إبراهيم: ٣٩﴾.

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿مريم: ٥٣﴾.

وقوله: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَدِيعِينَ ﴿الأنبياء: ٨٩ - ٩٠﴾.

وعليه؛ فإن قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَهَبٌ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾



يقتضي بمنهج القرآن: أن الأولاد خير محض، وسعادة دائمة، وصلاح مستمر.
 بينما نجد أنه عندما تكلم عن عدم وجود الأولاد قال: ﴿وَجَعَلَ مِنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾؛ لأن الجعل قد يكون خيرًا وقد يكون شرًا:

فمثال الأول: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

وأما مثال الثاني: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢ و ٨٣].

وعليه؛ فإن الحد من الإنجاب، ووقف النسل شر يراد بالمسلمين.

٣- وإذا كان التكاثر ضروريًا للجنس البشري، وخيرًا للإنسان؛ فإنه أشد ضرورة للمسلمين لبقاء أمتهم؛ لتقوم بلوازم الاصطفاء الرباني حيث اصطفاهم الله لأمرين:

الأول: الخيرية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

الآخر: الشهادة على الناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ولن تحقق الأمة الإسلامية هذين الأمرين اللذين اصطفاهما الله من أجلها إلا بثلاثة أمور:

الأول: أرض (دار) يقفون عليها، ويفيئون إليها.

الثاني: الحصانة العقديّة والمنهجية الضامنة لبقائهم بتميزهم، وأنهم أمة دون

الناس.

الثالث: العدد الكبير من الناس.

وقد بشر رسولنا الكريم ﷺ باستمرار ذلك كله؛ فملك المسلمين سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها، ولن تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم أو ناوهم حتى يأتي أمر الله، ورسولنا ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة.

ولذلك، فإن الكثرة العددية مطلوبة محبوبة للأمة الإسلامية، وقد امتن الله على المسلمين بذلك: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

وقد طلبها رسول الله ﷺ لأمته وحضهم عليها وأمرهم بالزواج من الولود الولود.

ومن نافلة القول أن ننبه إلى قضية منهجية؛ وهي: إن كان الأصل في الكثرة القوة، وفي القلة الضعف إلا أن ذلك ليس هو العامل الوحيد وبخاصة بالنسبة للمسلمين؛ فإن الكثرة إذا لم تكن على المنهج القويم، والصرائط المستقيم؛ فلن تغني عنهم شيئاً، كما تقدم في حديث تداعي الأمم، بل إذا حصل الاغترار بالكثرة؛ فإنها تكون سبباً للهزيمة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر الأمة من الاغترار بالكثرة والتخاذل عن أمر الله: «إنني لا أخاف عليكم لا كثرة العدد وقلته، بل أخاف عليكم الذنوب؛ لأننا نتصر على عدونا بطاعتنا لله، ومعصيته له، فإذا تساوينا في المعاصي كانت الغلبة لهم علينا».

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنا نعادي عدونا ونتصر عليهم لمعصيتهم، ولو لا ذلك لم يكن من قوة بهم؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإذا استوبنا نحن وهم في المعاصي، كانوا هم أفضل منا في العَدَدِ والعُدَدِ».

فإذا تبين لنا أهمية التكاثر، وعدم تحديد النسل للمسلمين، وأن زيادة السكان ليست مشكلة تواجه المسلمين وتطلب حلاً، بل إن الإسلام وضع الضمانات التي يراهن عليها أعداء الدين لكي لا يستطيعوا اختراق المسلمين من هذه الناحية؛ وهي:

١- ما تحتويه الأرض من ثروات كافية لجميع سكانها كافرهم ومؤمنهم فاجرهم وبرهم؛ لأن قضية الرزق ليست مرتبطة بالكفر والإيمان، وإنما مرتبطة بالخلق فلما كان جميع البشر خلق الله؛ فقد تكفل برزقهم، ولو كانت متعلقة بالكفر والإيمان لحرم الكافر الرزق، ولما سقاه شربة ماء.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيِّنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيْلين﴾ [فصلت: ٩ و ١٠].

ففي هذه الآية: يخبرنا الله ﷻ: أنه عندما خلق الأرض وضع فيها أقواتها، وقدر فيها أرزاقها التي تكفي من درج عليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وإلى جانب ذلك، فقد وضع فيها البركة، وأكثر خيرها ومنافعها، ولا يفسد ذلك إلا بما كسبت أيدي الناس.

ولذلك؛ فإن الأرزاق التي خلقها الله، وأودعها في هذه الأرض كافية وافية لكل سكانها؛ فهي متصلة في الماضي، ومتجددة في الحاضر، ولن تتوقف في المستقبل.

٢- وما أودعه الله في الأرض إنما هو نقطة من بحر بالنسبة لخزائن السماوات والأرض، ومهما استفند منها الإنسان؛ فإن ما عند الله لا ينفد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقوله ﷻ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وفي حديث أبي ذر الإلهي؛ قال رسول الله ﷺ فيما يخبر عن ربه «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد؛ فسألوني؛ فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر»^(١).

٣- إن معالجة المشاكل الاقتصادية وبخاصة الفقر الذي يعاني منه الناس يكمن في معرفة الأسباب الحقيقية لذلك، وقد بين القرآن الكريم أن السبب الرئيس في ذلك هو الإنسان نفسه، وليس نقص الموارد الطبيعية، أو عدم توافرها، أو عدم كفايتها، أو زيادة النسل وتكاثر السكان كما يدعى الجاهليون، وتدبر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشِّمَارَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

فالإنسان هو الذي يصنع المشكلات بجشعه، وظلمه، واستثثاره، وإسرافه، وتبذيره، وحبه للسيطرة، واكتناز الأموال، واحتكار الثروة، وسوء توزيع الخيرات، وحرمان الفقراء والمساكين، وسوء استغلال كنوز الأرض.

وهذا الإنسان الجهول الظلوم الكنود يخبر عنه رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١).

ولذلك؛ فالحل لهذه المشاكل كلها عند الإنسان نفسه؛ فإذا طبق منهج الله في ذلك عاش هو وبنو جنسه في رفاة وسعادة، ولن يكون للفقر أو الجوع عليهم سبيلاً.

وأضرب على ذلك مثلاً من واقع المسلمين المعاصر؛ حيث فرض الله الزكاة في أموال الأغنياء؛ لترد إلى الفقراء والمساكين، وتصرف في مصارفها... فلو طبقت فريضة الزكاة تطبيقاً شرعياً لما بقي في العالم الإسلامي فقير أو محروم؛ لأن هذه الصدقات حق معلوم للسائل والمحروم؛ فإذا بين الله أنها حقهم؛ فإنها كفيلة بكفائتهم، واجتثاث الفقر من أصوله في العالم الإسلامي؛ لأن الزكاة الواجبة في أموال العالم الإسلامي تقدر سنوياً بـ (٣٠٠) مليار دولار... هذا الرقم الفلكي يكفي لاجتثاث الفقر من العالم كله بله العالم الإسلامي.

٤- ناهيك أن الرسول ﷺ قدم ضمناً لأمته من الفقر.

عن عمرو بن عوف رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بهال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة؛ فوافوا صلاة الفجر مع النبي ﷺ. فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء؟». قالوا: أجل يا رسول الله. قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، ما الفقر أخشى عليكم،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٦).

ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا؛ كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج لكم من بركات الأرض» قيل: ما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا»، قال رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أنه ينزل عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه قال: «أين السائل؟» قال: أنا. قال: «لا يأتي الخير إلا بالخير، وإن هذا المال خضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم، إلا آكلة الخضر أكلت، حتى إذا امتدت خاصرتها ما استقبلت الشمس؛ فاجترت وثلثت وبالت، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال خضرة حلوة، من أخذه بحقه، ووضعها في حقه؛ فنعم المعونة هو، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال «إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم، أي قوم أنتم؟».

فقال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله صلى الله عليه وسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوغر ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»^(٣).

التاسعة: يذكر المفسرون عند هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ويقارنوا

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨). ومسلم (٢٩٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٢)، ومسلم (١٠٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٤).

بينهما مظهرين روائع من الإعجاز القرآني البياني الذي ينبىء أن كل لفظة في هذا القرآن المجيد وضعت في مكانها المناسب بموازين إلهية، ومن ذلك:

١- في آية سورة الانعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وفي آية سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

ففي آية سورة الأنعام قدم رزق الآباء على رزق الأبناء: ﴿نَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وفي آية سورة الإسراء قدم رزق الأبناء على رزق الآباء: ﴿نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾. وهذا التقديم في الموضوعين هو المناسب للحال:

ففي سورة الأنعام الكلام موجه إلى الآباء الفقراء المتلبسين بالفقر ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾؛ ولهذا فهم يقتلون أولادهم من الفقر المدقع الواقع بهم، لا أنهم ينتظرونه أو يخشونه؛ فأوجبت البلاغة القرآنية تقديم رزق الآباء على رزق الأبناء تطميناً للآباء على رزقهم؛ لئلا يدفعهم الفقر إلى قتل أولادهم.

وأما آية سورة الإسراء؛ فالخطاب موجه للآباء الموسرين الذين يخافون الفقر إذا جاءهم: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، ولذلك فهم يبادرون إلى قتل أولادهم كموقف احتياطي خشية الفقر؛ أي: أنهم يخافون أن تسلبهم النفقة على أولادهم ما بأيديهم؛ فوجب تقديم رزق الأبناء على رزق الآباء، فيأمنون ما خافوا من الفقر.

٢- ذكر الله سبحانه في آية سورة الإسراء لفظ ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ ولم يأت بلفظ الخوف؛ لأن المقام ليس مقام خوف من الفقر فقط، وإنما تهويل لأمره، وتضخيم لشأنه، مما جعلهم يقتلون أولادهم حذر الفقر القادم، والجوع المتوقع؛ فكانت كلمة ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ هي المناسبة لوصف حالهم، والإخبار عما يدور في نفوسهم.

٣- ورد في الآيتين لفظة ﴿إِمْلَاقٍ﴾ ولم يرد لفظة (الفقر)؛ لأن المقام ضمان

الرزق حيث تكفل الله به؛ فلا يتصور وقوع الإملاق، ولا حصول مقدماته إلا من جهلة المكلفين، وذلك بسوء التصرف في الثروة، أو الخلل في توزيعها.

والمراد: لا تقتلوا أولادكم من فقر أو خشية فقر؛ لأن هذا الفقر ليس سببه تخلف الرزق، أو عدم وجوده، أو كفايته بل أنتم سببه بسوء تصرفكم؛ لأننا تكفلنا برزقكم ورزق أولادكم.

٤- فصلت الآيتان بين رزق الآباء ورزق الأبناء، ولم يقل الله: نرزقكم جميعاً: لأن الله ﷻ يريد أن يعلمنا: أن كل إنسان له رزقه المستقل عن الآخرين في هذه الحياة.

وهذا الرزق قسمه الله بين العباد؛ فلا يستطيع إنسان أن يأخذ رزق إنسان آخر، أو يمنعه، أو يؤخره... ولذلك؛ فالولد لا يأخذ من رزق أبيه شيئاً، فلا يقسم رزق الوالد بينه وبين ولده، بل رزق المولود يأتي معه، ولذلك؛ فإن قتل الأولاد لا يزيد في رزق الوالد، ولا يوفر له رزقاً إضافياً.

٥- دلت هاتان الآيتان: أن مسألة الرزق هي الشغل الذي يشغل الإنسان الذي لا يفكر بادئ بدء إلا بنفسه؛ فهي تشكل ضغطاً نفسياً قد يشغل الإنسان عن ربه، فيقع في خطايا لا حصر لها، وحتى تطمئن نفس الإنسان لقضية الرزق، فقد أكدها القرآن الكريم بكل أنواع التأكيد: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

ولله در القائل:

اقنع بما ترزق يا ذا الفتى فليس ينسى ربنا نمله
إن أقبل الدهر فقم قائماً وإن تولى مدبراً نم له

وفي هاتين الآيتين يتجلى الإعجاز النفسي في القرآن في أوضح الصور وأبهى المعاني؛ حيث الاعتراف بالحاجات الأساسية للأفراد، ثم ضمن لهم الأمن الغذائي، وجعله في مقدمات احتياجات الإنسان، وهذا منهج القرآن في غير ما موضع؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

فالإسلام يعترف أن حاجات الإنسان الأساسية يجب أن تتوفر له حتى يحقق الإنسان إنسانيته، ومن ثم ليقوم بخلافة الأرض، وإقامة منهج الله فيها.

العاشرة: وهذه الوصية ترتبط ارتباطاً عقدياً وثيقاً بوصية النهي عن الإشراك بالله؛ لأن قتل الأولاد من الإملاق أو خشيته فيه نوع إشراك في الربوبية؛ نتج عن سوء الظن بالله في مسألة الرزق، ولولاه ما قبل الآباء أن يقتلوا أولادهم؛ الذين هم جزء منهم، ولذلك أسند الأولاد إليهم ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾؛ ليذكرهم بهذا، ولذلك كيف تقتلونهم؟! لكن هذا القتل نتج عن الإشراك في مسألة الرزق الذي سببه سوء الظن بالله ﷻ.

ومن أجل ذلك ارتبطت مسألة الرزق بالخلق، وأن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها؛ فمن آمن بذلك كان مهيباً ليكون عبداً لله؛ لأن موجبات العبودية متحركة مستجيبة لنداء الفطرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ و ٢٢].

جمع الله سبحانه وتعالى في هذا النداء الكريم إلى الناس كلهم موجبات العبودية: فهو ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم، وهو ربهم الذي يرزقهم، ربهم الذي تفرد بالخلق والرزق؛ فوجب أن يتفرد بالعبودية.

١- الله جل جلاله خالقنا؛ فهو وحده يستحق العبادة.

لقد خلق الله بني آدم في أحسن تقويم، وكرمهم وفضلهم على كثير مما خلق تفضيلاً، وأراد لهم أن يكونوا على أفضل صورة مختارة من صور البشرية... صورة العابدين لله... المتقين له الذين أدوا مقتضى الربوبية الخالقة؛ فعبدوا الخالق وحده.

ولقد خاطب الرب الكريم الناس بهذا الموجب في غير موضع فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وبه احتج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، كما قال تعالى مخبراً عنهم:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤].

٢- الله هو رزاقنا؛ فهو وحده يستحق العبادة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

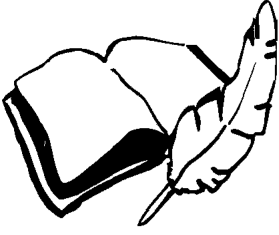
فالله وحده هو الذي يغدو العبد بنعمه، فينبغي على العبد أن يكون شاكرًا

لأنعمه، مقرًا بحكمته.

وقد احتج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بهذا الموجب على أقوامهم؛ كما

قال الله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].





الوصية الرابعة:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

أكرم الله أمة الإسلام بدينه، وأعزها برسالته التي قامت على قواعد متينة، ودعائم راسخة؛ ومن ذلك: تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وحتى تكفل شريعة الله للأمة الإكرام والعزة، وتضمن لها الأمن والأمان والاستقرار؛ نهى الله عباده عن قرب الفواحش ما ظهر وما بطن؛ كما في هذه الوصية التي تمثل المنهج الوقائي في الإسلام.

وتحت هذا المنهج جملة مسائل:

الأولى: علاقة النهي عن الفواحش بالسباق.

جاءت هذه الوصية: النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن في موضعها المناسب؛ فلما كان قتل الأولاد من أفحش الفواحش بعد الشرك بالله، أتبعه النهي عن مطلق الفواحش، وهي ما غلظت قباحته^(١).

وهذه الوصية هي القاعدة التي تقوم عليها الأسرة والمجتمع، وهي النظافة

(١) انظر: «نظم الدرر» (٢/ ٧٤١)

والطهر والعفاف، فهي وصية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنهي عن قتل الأولاد الذين هم ثمرة الأسرة، وزينتها واستمرارها.

وأما ارتباطها بالوصية الأساس؛ فإن الاقتراب من الفواحش تدنيس للعقيدة.

الثانية: علاقة النهي عن الفواحش بالسياق.

قال الألوسي: «وجه توسيط هذا النهي بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقاً عليه باعتبار أن الفواحش بهذا المعنى مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد؛ فإن أولاد الزنا في حكم الأموات»^(١).

الثالثة: والنهي عن الفواحش جاء بلفظ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾.

قال ابن عاشور: «وهو أبلغ في التحذير من النهي عن ملاستها؛ لأن القرب من الشيء مظنة الوقوع فيه.

ولما لم يكن للإثم قرب وبعد كان القرب مراداً به الكناية عن ملاسة الإثم أقل ملاسة؛ لأنه من المعارف أن يقال ذلك في الأمور المستقرة في الأمكنة إذا قيل لا تقرب منها؛ فهم النهي عن القرب منها؛ ليكون النهي عن ملاستها بالأحرى، فلما تعذر المعنى المطابق هنا تعينت إرادة المعنى الإلزامي بأبلغ وجه»^(٢).

واستخدام لفظ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ ينبه العقل على إدراك الأمور جيداً؛ لأن النهي عن مجرد الاقتراب من هذه الفواحش؛ فتتعمق في نفس العاقل فظاعة هذه الفواحش التي بمجرد الاقتراب منها تلوث السمعة، وتدنس الكرامة، وتثير الشبه، وتطلق العنان للتهم؛ لأن من دخل مداخل السوء اتهم... فأبي عاقل بعد

(١) «روح المعاني» (٨/٤١٣).

(٢) «التحرير والتنوير» (٨/١٥٩-١٦٠).

هذا الاستنفار يفكر في الاقتراب من الفواحش فضلاً عن الوقوع في مستنقعها الآسن؟

ولذلك؛ فإن لفظ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ أبلغ في النهي عن الفعل؛ لأنه يفيد وجوب ترك كل ما يقرب من هذه الفواحش من مقدمات توصل إليها، وتسهل الوقوع فيها، ويهيج النفوس إليها، ويبعث الفكر فيها، وذلك أن جميع الجوارح تتأثر بما تفعل به، وتفضي إلى القلب؛ فتتعقد العزيمة، وتتوجه الإرادة لفعل ما تأثر به القلب.

ولذلك حرمت كل مقدمات الزنا قبل النهي عن الزنا:

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين: النظر، وزنا اللسان: النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه^(١)».

وكذلك لفظ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ يفيد أن الشرع المطهر أراد لأتباعه الصحة والعافية والحماية من الأمراض الخطيرة التي تسببها الفواحش، وصدق من قال: نظرة... فابتسامة... فمكالمة... فموعد... فلقاء... فأيدز طول العمر... يدنيك من القبر... لتقلب على الجمر... إن لم تبادر بتوبة نصوح لتصحيح الأمر!!

الرابعة: الفواحش: كل ما تجاوز الحد، واستنكرته العقول، واستفحشته النفوس من المعاصي.

وقد ذكر الله عز وجل ثلاث معاص - عياداً بالله - ووصفها بالفاحشة؛ وهي:

١ - الزنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له.



٢- نكاح المحرمات، وبخاصة زوجات الآباء: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

٣- عمل قوم لوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النِّسَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ و ٨١].

لاشك أن هذه فواحش؛ فإن كل ذي عقل سليم يستقبحها ويستعظمها، فإنها تفسد الأخلاق، وتوجد الأمراض، وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة المحرمات، وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته وأمه، وفي ذلك خراب العالم، ولهذا قرنها الله سبحانه في كتابه بمفسدة القتل، وكذلك رسول الله ﷺ في سنته.

وقد أخبر الله عن فحشه في نفسه، وهو القبيح الذي تنهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول، وارتكز بغضه في الفطر حتى عند كثير من الحيوان.

عن عمرو بن ميمون الأودي؛ قال: «رأيت في الجاهلية قرذاً زنى بقردة؛ فاجتمع القروء عليها؛ فرجوهما حتى ماتا»^(١).

ثم أخبر الله جل جلاله عن غايته أنه ساء سيلاً، فإنه سبيل هلكة، وبوار، وافتقار، وعار في الدنيا، وسبيل عذاب، وخزي، ونكال، ونار في الآخرة.

ولما كان نكاح زوجات الآباء من أقبحه خصه بمزيد الذم، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤٩).

وأما عمل قوم لوط؛ فهو أشدها تحريماً وأغلظها عقوبة، ومن تأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] وقوله في عمل قوم لوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] تبين تفاوت ما بينهما، وأنه سبحانه نكّر الفاحشة في الزنا؛ فهو فاحشة من الفواحش، وعرفها في عمل قوم لوط، وذلك يفيد أنه جامع لمعاني اسم الفاحشة، وأن فحشه استقر عند كل أحد؛ فهي لظهور فحشها وكمالها غنية عن ذكرها، بحيث لا ينصرف الاسم إلى غيرها.

ثم أكد سبحانه شأن فحشها بأنها لم يعملها أحد من العالمين قبلهم؛ فقال: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، ثم زاد في التأكيد بأن صرح بما تشمئز منه القلوب، وتنبو عنه الأسماع، وتنفّر منه الطباع أشد نفرة، وهو إتيان الرجل رجلاً مثله ينكحه كما ينكح الأنثى، فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ثم نبه على استغنائهم عن ذلك، وأن الحامل لهم عليه ليس إلا مجرد الشهوة لا الحاجة التي لأجلها مال الذكر إلى الأنثى، من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع، وحصول المودة والرحمة التي تنسى المرأة لها أبيها وتذكر بعلها، وحصول النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي هو أشرف المخلوقات، وتحصين المرأة وقضاء وطرها، وحصول علاقة المصاهرة التي هي أخت النسب، وقيام النساء على الرجال، وخروج أحب الخلق إلى الله من جماعهن كالأنبياء والأولياء والمؤمنين، ومكاثرة النبي ﷺ والأنبياء بأمته، إلى غير ذلك من مصالح النكاح، والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله، وتربّي عليه بما لا يمكن حصر فساده، ولا يعلم تفصيله إلا الله.

ثم أكد قبح ذلك بأن اللوطية عكسوا فطرة الله التي فطر عليها الرجال، وقلبو الطبيعة التي ركبها الله في الذكور - وهي شهوة النساء دون شهوة الذكور - فقلبو



الأمر، وعكسوا الفطرة والطبيعة، فأتوا الرجال شهوة من دون النساء؛ ولهذا قلب الله عليهم ديارهم؛ فجعل عاليها سافلها، وكذلك قلوبهم، ونكسوا في العذاب على رؤوسهم.

ثم أكد سبحانه ذلك عليهم؛ بقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وسأهم: مفسدين في قول نبيهم: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

وسأهم: ظالمين في قول الملائكة لإبراهيم: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات، ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات، ولما جادل فيهم خليله إبراهيم الملائكة وقد أخبروه بإهلاكهم قيل له: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦].

وتأمل خبث اللوطية، وفرط تمردهم على الله حيث جاءوا نبيهم لوطاً لما سمعوا بأنه قد طرده أضياف، هم من أحسن البشر صوراً، فأقبل اللوطية إليه يهرولون، فلما رآهم؛ قال لهم: ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]، ففدى أضيافه ببنته يزوجهم بهن؛ خوفاً على نفسه وأضيافه من العار الشديد، فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]؛ فردوا عليه، ولكن رد جبار عنيد: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]؛ فنفت نبي الله نفثه مصدور، خرجت من قلب مكروب عميد؛ فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]؛ فنفس له رسل الله، وكشفوا

له عن حقيقة الحال، وأعلموه: أنهم ليسوا ممن يوصل إليهم، ولا إليه بسبب، فلا تخف منهم، ولا تعبأ بهم، وهون عليك، فقالوا: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]، وبشروه بما جاءوا به من الوعد له ولقومه من الوعيد المصيب، فقالوا: ﴿فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، فاستبطأ نبي الله موعد هلاكهم وقال: أريد أعجل من هذا، فقالت الملائكة: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]؟

فوالله ما كان بين إهلاك أعداء الله ونجاة نبيه وأوليائه إلا ما بين السحر وطلوع الفجر، وإذا بديارهم قد اقتلعت من أصولها، ورفعت نحو السماء، فنزل المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل إلى عبده ورسوله جبرائيل، بأن يقبلها عليهم؛ كما أخبر به محكم التنزيل، فقال عز من قائل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]؛ فجعلهم آية للعالمين، وموعظة للمتقين، ونكالا وسلفا لمن شاركهم في أعمالهم من المجرمين، وجعل ديارهم بطريق السالكين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ (٧٥) ﴿وَلِئَلَّا يَسْتَبْسِطُوا وَيُكَبِّرُوا﴾ (٧٦) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥ - ٧٧]، أخذهم على غرة وهم نائمون، وأجاءهم بأسه وهم في سكرتهم يعمهون، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، فقلبت تلك اللذات آلاما، فأصبحوا بها يعذبون.

مآرب كانت في الحياة لأهلها عذابا فصارت في الممات عذابا

ذهبت اللذات، وأعقبت الحسرات، وانقضت الشهوات، وأورثت الشقوات، تمتعوا قليلا، وعذبوا طويلا، رتعوا مرتعا وخيما؛ فأعقبهم عذابا أليما، أسكرتهم خمرة تلك الشهوة؛ فما استفاقوا منها إلا في ديار المعذبين، وأرقدتهم تلك الغفلة فما

استيقظوا منها إلا وهم في منازل المهالكين، فندموا والله أشد الندامة حين لا ينفع الندم، وبكوا على ما أسلفوا بدل الدموع بالدم، فلو رأيت الأعلى والأسفل من هذه الطائفة، والنار تخرج من منافذ وجوههم وأبدانهم وهم بين أطباق الجحيم، وهم يشربون بدل لذيذ الشراب كؤوس الحميم، ويقال لهم - وهم على وجوههم يسحبون-: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

وقد قرب الله مسافة العذاب بين هذه الأمة وبين إخوانهم في العمل^(١)، فقال مخوفاً لهم أن يقع الوعيد: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]. وقال الشاعر:

فيا ناكحي الذكران تهنيكم بشرى فيوم معاد الناس إن لكم أجرا
كلوا واشربوا وازنوا وأبشروا فإن لكم زفأ إلى الجنة الحمرا
فإخوانكم قد مهّدوا الدار قبلكم وقالوا إلينا عجلوا لكم بشرى
وها نحن أسلاف لكم في انتظاركم سيجمعنا الجبار في ناره الكبرى
فلا تحسبوا أن الذين نكحتموا يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا
ويلعن كل منكم لخليله ويشقى به المحزون في الكرة الأخرى

(١) وقد انتشرت هذه الفاحشة في الغرب الصليبي انتشار النار في الهشيم؛ حتى اضطروا إلى وضع قوانين تبيحها، وتدافع عن مرتكبيها، وتجعل لهم حقوقاً.. وهذا من الإرهاصات المبشرة بسقوط هذه الجاهلية الغربية، ودنو أجل هذه المدنية المادية. ولكن العجب أن يصل هذا الانتشار إلى مجتمعاتنا المسلمة.. ولذلك أسباب كثيرة؛ منها: سوء التربية، وعدم متابعة الوالدين لأولادهم، والجهل المطبق بعقوبات هذه الفاحشة في الدنيا والآخرة، وثورة الاتصالات التي انتشر من خلالها الأفلام الإباحية التي تجمل هذه الفاحشة؛ فحري بمجتمعاتنا أن تستيقظ قبل الطوفان... ﴿وَرَكَّأَ فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧]، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].

يعذب كل منهما بشريكه كما اشتركا في لذةٍ توجب الوزر»^(١)
 ولا شك أن المعنى المراد من الفواحش في هذه الآية؛ هو: الفواحش الجنسية؛
 لأن المجال تعيين محرمات بعينها، وبذلك تكون الفواحش الجنسية واحدة منها
 بذاتها؛ وإلا فكل ما نهي عنه في هذه الآيات؛ فهو فواحش، ومن كبائر الإثم،
 ولذلك؛ فتخصيص الفواحش هنا بالفواحش الجنسية أولى بالسياق.

«وكذلك الزنى قرين الشرك، وقتل النفس كما في الآية التي في الفرقان، ونظير
 حديث ابن مسعود في تفسير الآية، وكذلك في حديثه عن النبي ﷺ: «لا يحل دم
 امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه
 المفارق للجماعة»^(٢).

فبدأ بالأكثر وقوعاً، والذي يليه؛ فالزنا أكثر وقوعاً من قتل النفس، وقتل
 النفس أكثر وقوعاً من الردة.

وأيضاً؛ فإنه انتقال من الأكبر إلى ما هو أكبر منه»^(٣).

فإن قيل: إذا كان المعنى المراد في هذا الموضع الزنى، أو نكاح زوجات الآباء،
 أو عمل قوم لوط فلم جاء بصيغة الجمع؟
 فالجواب: جاء بصيغة الجمع لعدة أمور:

أ- أن هذه الفاحشة ذات مقدمات توصل إليها، وكلها فاحشة مثلها؛ فالتبرج،
 والتهتك، والاختلاط، والنظرات المحركة، والابتسامات المثيرة، والضحكات
 الفاجرة... كلها فواحش توصل إلى فاحشة الزنى، أو عمل قوم لوط.

(١) انظر «الدار والدواء» (ص ٢٣٠-٢٦٧) باختصار وتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٣) انظر «الدار والدواء» (ص ٢٥٠) بتصرف.



ب- كلها فواحش منها ما ظهر ومنها ما بطن؛ فمنها المستتر في الضمير، ومنها الظاهر على الجوارح، منها المخبوء، ومنها المعلن.

ت- كذلك كل فاحشة جنسية تتكون من فواحش متعددة متباينة في الجريمة، ومختلفة في الإثم، والله أعلم.

الخامسة: واعلم أن تخصيص الفواحش في هذه الوصية على الموبقات الجنسية لا تنفي النهي عن عموم الفواحش، ولذلك فسر أهل العلم هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

قال الحافظ ابن كثير: «والصحيح: أن الآية عامة في ذلك كله، وهي كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾؛ أي: سواء كان ظاهراً أم خفياً؛ فإن الله سيجزيهم عليه»^(١).

وإنما قال: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ للوجوه الآتية:

١- أن كل فاحشة لها ظاهر وباطن؛ لأنها قد تحدث في العلن، وقد تؤتى في السر، ومن هذا الباب فسرت بالزنا حيث كان أهل الجاهلية، يرون أن الزنا حلالاً إذا كان بالسر مع العشيقة والخليفة، وحراماً إذا كان بالعلن مع ذوات الرايات.

٢- أن الفاحشة لا يقارفها البدن وهي ما ظهر منها حتى يعقد عليها قلبه من مخالفه أمر الله فيما أمر ونهى، وهي ما بطن منها.

٣- أن الفاحشة لا تقع حتى تسبقها نية، فما ظهر؛ أي: ما عملتم، وما بطن؛ أي: ما نويتم.

٤- أن المراد ترك الفواحش من جميع جهاتها.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٧٤).

٥- أن النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن بيان أنها لا تخرج عن كونها فواحش بسبب ظهورها أو كتمانها وإخفائها.

٦- أنه قال: ﴿وَمَا بَطَّنْ﴾ ليظهر بذلك أن الداعي على ترك المعاصي والفواحش هو الخوف من الله لا الخوف من الناس.

السادسة: وإنما حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ لأنه لا أحد أغير من الله.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله؛ من أجل ذلك حرم الفواحش: ما ظهر منها، وما بطن»^(١).

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه؛ قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ؛ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش: ما ظهر منها، وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»^(٢).

السابعة: تدل هذه الوصية على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر؛ لأن الفواحش لا تطلق إلا على الكبائر بدلالة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وتقسيم الشريعة الإسلامية الذنوب إلى كبائر وصغائر صحيح نقلاً وعقلاً، ومناسب شرعاً وعرفاً.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٤) ومسلم (٢٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩).



أما النقل والشرع: فقد جاءت النصوص المتكاثرة من الكتاب على تقرير التفريق بين الكبائر والصغائر، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

قال الطوفي: «فيه انقسام السيئات إلى كبائر وصغائر»^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

وجماهير المفسرين في السلف والخلف على أن اللمم: صغائر الذنوب، فنصت الآية بمنطوقها ومفهومها على التفريق^(٢).

وقال السفاريني - بعد إيراد الآيتين السابقتين -: «الصحيح التقسيم»^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿وَكُرْهُ الْيَتْمَ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

قال القرافي: «فجعل المعصية رتباً ثلاثاً: كُفْرًا وفسوقاً - وهو الكبيرة - وعصيائناً - وهو الصغير -، ولو كان المعنى واحداً؛ لكان اللفظ في الآية مكرراً، لا بمعنى مستأنف، وهو خلاف الأصل»^(٤).

وأما السنة الصحيحة؛ فالأحاديث الصريحة في هذا الباب متواترة، ومن ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهما إذا اجتنب الكبائر»^(٥).

(١) «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية» (٢/٢٢).

(٢) المرجع السابق (٢/٢٣-٢٤).

(٣) «الذخائر بشرح منظومة الكبائر» (ص ١٠٥).

(٤) «الفروق» (٤/١١٩٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٣).



عن عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وركوعها وسجودها؛ إلا كانت له كفارة لما مضى من الذنوب ما لم يأت الكبائر»^(١).

(١) أخرجه البيهقي (١٠/١٨٧)، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٢٨).

قال شيخنا الإمام الألباني رحمته الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٦٣-٢٦٤) متعباً الإمامين عياض والنووي - رحمهما الله - : «قال النووي - رحمه الله تعالى - في «شرح مسلم»: معناه: أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر، فإنها لا تغفر، وليس المراد: أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة، فإن كان لا يغفر شيء من الصغائر، فإن هذا وإن كان محتملاً؛ فسياق الحديث يأباه.

قال القاضي عياض رحمته الله: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة، وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة، أو رحمة الله - تعالى - وفضله. والله أعلم.

قلت - أي: الألباني - : هذا الحصر ينافي الاستفهام التقريري في هذا الحديث الذي قبله: «هل يبقى من درنه شيء؟» كما هو ظاهر؛ فإنه لا يمكن تفسيره على أن المراد به الدرر الصغير، كما لا يخفى، وفي الباب أحاديث أخرى لا يمكن تفسيرها بالحصر المذكور؛ كقوله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع من ذنوبه؛ كيوم ولدته أمه».

فالذي يبدو لي - والله أعلم - أن الله - تعالى - زاد في تفضله على عباده، فوعد المصلين منهم بأن يغفر لهم الذنوب جميعاً وفيها الكبائر، بعد أن كانت المغفرة خاصة بالصغائر، ولعل مما يؤيد هذا قوله - تعالى - : ﴿إِنْ جَحْتَبْتُمْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] فإذا كانت الصغائر تكفر بمجرد اجتناب الكبائر، فالفضل الإلهي يقتضي أن تكون للصلاة وغيرها من العبادات فضيلة أخرى تتميز بها على فضيلة اجتناب الكبائر، ولا يبدو أن ذلك يكون إلا بان تكفر الكبائر. والله أعلم.

ولكن ينبغي على المصلين أن لا يغتروا، فإن الفضيلة المذكورة لاشك أنه لا يستحقها إلا من أقام الصلاة، وأتمها وأحسن أداءها؛ كما أمر، وهذا صريح في حديث أبي أيوب: «من توضأ كما أمر، وصلى كما أمر، غفر له ما تقدم من عمل» وأنى لجماهير المصلين أن يحققوا الأمرين المذكورين، ليستحقوا مغفرة الله وفضله العظيم؟! فليس لنا إلا أن ندعو الله أن يعاملنا برحمته، وليس بما نستحق بأعمالنا».

قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: «ففي هذه الأخبار وما جانسها من التخليط في الكبائر، والتكفير عن الصغائر ما يؤكد قول من فرق بينهما».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وهو مروى - أيضًا - عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها، قال الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «البيسط في المذهب»: إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقه، وقد فهمنا من مدارك الشرع، وهذا الذي قاله أبو حامد قد قاله غيره بمعناه، ولا شك في كون المخالفة قبيحة جدًا بالنسبة إلى جلال الله - تعالى -، ولكن بعضها أعظم من بعض»^(١).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: «وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة: على أن الذنوب كبائر وصغائر»^(٢).

وقعد العلامة الصنعاني التفريق بين الكبائر والصغائر، فقال: «ثم أعلم: أن الله - سبحانه - قسم المعاصي في كتابه العزيز إلى ثلاثة أقسام، وميز كل قسم منها بحكمه الذي أخبر أنه يفعله لصاحب ذلك القسم.

فالقسم الأول: هو الشرك، وهو أكبر الكبائر، ولا يغفر إلا بالتوبة منه، وهذا القسم ميزه تعالى عن سائر الكبائر بأنه لا يغفر لصاحبه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦].

والقسم الثاني: هو الكبائر غير الشرك، وهذا القسم ميزه تعالى بأنها أخبر به من أن صاحبه تحت المشيئة، فقال بعد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وهذا اللفظ عام.

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/١١٢).

(٢) «الداء والدواء» (ص ١٩٢).

القسم الثالث؛ أعني: الصغائر. وكان صاحبها داخلاً تحت المشيئة إلا أن قوله تعالى - مبيناً لها ولحكم صاحبها - : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] ميّزها وصيّر لها قسمًا مستقلاً، وهو: الثالث من الأقسام، وقد أخبر تعالى أنه يغفرها ألبتة إذا انفردت عن الكبائر، فصاحبها قد أخرج من النار وأدخل الجنة بوعد الرب الكريم، وظاهر هذه الآية يدل على أن الكبائر مميّزة عن الصغائر بالذات، لا كما قيل: إن كلّ سيئة؛ فهي بالنسبة إلى ما فوقها صغيرة، وبالنسبة إلى ما دونها كبيرة؛ لأنه لا يتصور حينئذ اجتناب الكبائر إلا بترك جميع المنهيات سوى واحدة هي دون الكل، وأنى للبشر ذلك، فلما كان كذلك نظر العلماء بتمييز الكبيرة عن الصغيرة»^(١).

تكميل:

ذهب بعض أهل العلم ممن يُلحَق بالإشاعرة؛ كابن فورك، وأبي إسحاق الشيرازي، وابن القشيري، والجويني، وابن السبكي، والقاضي عبدالوهاب^(٢): إلى كراهية تسمية بعض المعاصي صغائر، نظرًا إلى عظمة الله ﷻ وإجلالاً له، ولذلك قرروا: أن جميع الذنوب كبائر.

وهذا خلاف لفظي؛ لما يأتي:

١- أقرروا بوجود الصغائر ضمناً حيث قالوا: تسميتها صغائر هو بإضافتها إلى غيرها مما هو أكبر منها.

٢- اتفاق أهل العلم: أن المعاصي منها ما يقدر في العدالة، ومنها لا يقدر؛ فسموا القادح: كبائر، وما لا يقدر: صغائر^(٣).

(١) «إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة» (ص ٤٨٣-٤٨٤).

(٢) انظر «روح المعاني» (١٨/٥).

(٣) انظر الفروق (٤/١١٩٩)، و«البحر المحيط» (٤/٢٧٥-٢٧٦)، و«البيان والتحصيل»

(١٠/٥٨١)، و«روضة الطالبين» (١١/٢٢٢).



٣- ما قرره العلماء من أن الخلاف لفظي:

قال الزركشي: «والظاهر: أن الخلاف لفظي؛ فإن رتبة الكبائر تتفاوت قطعاً»^(١).

قال القرافي: «فالخلاف حيثئذ إنما هو في الإطلاق فقط»^(٢).

وقال الألويسي: «لا خلاف بين الفريقين في المعنى، وإنما الخلاف في التسمية والإطلاق»^(٣).

وأما العقل والعرف؛ فباعتبار أمور:

١- الأفعال ليست رتبة واحدة، ولذلك تمايز العباد في الطاعة والمعصية.

٢- تمايز أهل الصلاح فيما بينهم؛ فمنهم: السابق بالخيرات، والمقتصد، والظالم لنفسه.

٣- تمايز أهل الفساد فيما بينهم.

٤- المعاصي وإن اتحد جنسها، فهي ليست على وزان واحد، ولذلك اتفق أهل السنة على كفر دون كفر، وشرك دون شرك، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم، وحرام دون حرام، ونفاق دون نفاق.

وبالجملة؛ فالنقل والعقل يدلان على تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر، وأن الذنب نفسه يتفاوت في المرتبة إذ احتفت به أمور فصلها الشرع، وأقرها العقل.

الثامنة: هذه الوصية تدل دلالة قطعية على وجوب خشية الله في السر والعلانية؛ فمن اجتنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ فإنه يخشى الله في السر

(١) البحر المحيط (٤/٢٧٦).

(٢) الفروق (٤/١١٩٩).

(٣) روح المعاني (٥/١٨).

والعلن بلا مشنوية.

وهذا الحال يجب أن يستصحبه العبد في كل أحواله، لأنه يحتاجه، وهو يواجه المعاصي في السر والعلانية.

قد يواجه الإنسان معصية العلقن بشيء من مجاهدة النفس بينما معصية السر أشد صعوبة؛ لكن من امتلأ قلبه بخشية الله في السر والعلن تغلب على دواعي المعصية، وردها مذمومة مخذولة، ولذلك أوصى الرسول ﷺ معاذاً عندما أرسله إلى اليمن؛ فقال: «يا معاذ اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالت الناس بخلق حسن»^(١).

وما ذلك إلا لأن خشية الله في السر والعلن من أعظم سبل النجاة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والغضب»^(٢).

وخشية الله لها فضل عظيم لكن خشيتها في السر أعظم قدرًا، وأكثر أجرًا، وأعمق نفعًا، ولهذا خصها الله ﷻ في جملة من الآيات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

وقال جل جلاله: ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣].

- (١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) وأحمد (٢٢٨/٥ و ٢٣٦) وهو حسن بمجموع طرقه.
وله شواهد من حديث أبي ذر الغفاري، وأنس بن مالك يرتقي بها إلى درجة الصحة.
وانظر تحريجها في «الوصية الصغرى» (ص ٩-١١ - بتحقيقي)
(٢) انظر «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢).



وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨].

ولقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً شروداً لتقوى الله في السر والعلن: رجل مؤمن امتلأ قلبه بخشية الله يواجه امرأة بلغت أعلى مراتب الحسن والجمال والجاه، وهيات كل ما يثير الرغبة، ويهيج النفس، وأخذت تدعوه لنفسها قائلة: (هيت لك) لقد أتاحت له كل السبل للوصول إليها، وأسقطت الحواجز التي تحول بينهما، ولكنها نسيت حاجزاً واحداً؛ هو: (معاذ الله)، وغلقت الأبواب كلها إلا باب: «إني أخاف الله».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال؛ فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة؛ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(١).

وأما أولئك الذين يخافون الله في العلن، ويتنكبون محارمه في السر؛ فقد أضروا بأنفسهم وأعمالهم.

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة، بيضًا، فيجعلها الله هباء منثورًا».

قال ثوبان: يا رسول الله! صفهم لنا، جلّهم لنا؛ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم.

قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»^(١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار في رحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنها كم عن المنكر وآتية»^(٢).

وبالجملة؛ فللنفس مع المعاصي أحوال؛ تتوقف على نتيجة المدافعة بين دواعي التقوى في القلب ودواعي الشهوة في النفس؛ فأيهما كان حضوره أقوى كانت الغلبة له.

وأعلم أن المعصية لا تهجم إلا من أبواب أربعة: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات؛ فإن الحوادث مبدؤها من النظر؛ كما أن معظم النار من مستصغر الشرر؛ فتكون نظرة، ثم خطوة، ثم خطوة، ثم خطيئة.

ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

ولذلك ينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة؛ يلازم

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥) بإسناد صحيح؛ صححه البوصيري، وشيخنا الإمام الألباني رحمته الله كما في «السلسلة الصحيحة» (٥٠٥)

(٢) البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).



الرباط على ثغورها، فمنها يدخل عليه العدو؛ فيجوس خلال الديار، ويتبر ما علا
تتيراً^(١).

التاسعة: ودلت هذه الوصية على وجوب كره الفواحش وبغضها؛ لأن من
أبغضها فرّ منها، ولم يقربها، ومن لم يكرها كالراعي يرمى حول الحمى يوشك أن
يقع فيه، ومن واقعها أحب أن تشيع في المجتمع؛ كما قال عثمان رضي الله عنه: «ودت الزانية:
أن جميع النساء زواني».

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وقد جعل الله الوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين؛ لأن ذلك يستحق
العذاب الأليم؟ فهذه المحبة الشيطانية تدل على خبث النية، وفساد الطوية نحو
المؤمنين، ثم لا يلبث صاحبها إلا ويصدر عنه ما يحبه، ويدعو إليه، وما تها
لفعله.

ولإشاعة الفاحشة بين المؤمنين طرق كثيرة، وأساليب متعددة؛ منها:

١- وسائل الإعلام المرئية من فضائيات، ومواقع إباحية على الشبكة
العنكبوتية (الإنترنت) تخصصت بنشر الفاحشة، واستغلت في إثارة الغرائز؛ بل
أصبحت عراباً لجمع الخبيثين والخبيثات، واجتماعهم، وتواصلهم.

وكذلك وسائل الإعلام المقروءة من مجلات، وجرائد، وكتب التي تروج
للزنى، وعمل قوم لوط، والمساحقة، وتنشر القصص في ذلك، أو تذكر الفضائح
التي تقع في المجتمع.

وكذلك وسائل الإعلام المسموعة التي تبث الأغاني الهابطة التي تشيع

(١) انظر «الداء والدواء» (ص ٢٣٢).

العري، والتبرج، وتصف مفاتن المرأة، وتحرض على العشق.

٢- وسائل الاتصال؛ كالهواتف النقالة سواء عبر المكالمات الهاتفية، أو الوسائل المرئية، أو الرسائل المقروءة.

٣- المجالس والنوادي ودور اللهو التي تفتح أبوابها للغناء والرقص والمسرحيات التي تتكتشف فيها العورات، ويختلط فيها الرجال بالنساء.

٤- الألسنة التي تستطيل في الأعراس، وتقذف المحصنات، وتروج الاتهامات، وتجرح البريئين والبريئات.

هذه بعض وسائل إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وهي جرائم يستحق فاعلوها العذاب الأليم في الدنيا قبل عقوبة الآخرة.

ومن العقوبات الإلهية التي نزلت بساحة أهل الفواحش، والمروجين لها، والمحبين لإشاعتها: انتشار الأمراض الجنسية التي لم تعهد في زمن السلف الأول مصداقاً لما أخبر عنه الصادق المصدوق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ قال: أقبل رسول الله ﷺ: فقال: «يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا الكيل والميزان؛ إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم؛ إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(١).

(١) سيأتي تحريجه - إن شاء الله - (ص ١٨٦).

وهذه الأوبئة الناتجة عن تفشي جريمة الزنا والإعلان بها أوبئة خطيرة تحصد الأنفس كالطواعين؛ ولذلك وصفت تارة بالطاعون، وأخرى بالموت؛ كما في حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه مرفوعاً: «ما نقص قوم العهد قط؛ إلا كان القتل بينهم، وما ظهرت فاحشة في قوم قط؛ إلا سلط الله عز وجل عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة؛ إلا حبس الله عنهم القطر»^(١).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن هذه الأحاديث من دلائل نبوته، وأعلام رسالته؛ ففي عصرنا يجمع الأطباء على أن الموبقات الجنسية سبب لمرض العصر: مرض فقد المناعة (الإيدز).

وهذا الوباء أصبح وباء عالمياً؛ ففي أحدث الدراسات لمنظمة الصحة العالمية: أن عدد حالات الأيدز في العالم تزيد على مئة مليون، وأنه يصيب سنوياً أكثر من سبعة ملايين شخص في العالم، وأن نسبة الموت بينهم تزيد على (٢٠٪).

أليس هذه المصيبة بسبب الزنا وعمل قوم لوط... فهل هم منتهون!
ولكن هل انتهت هذه الحرب الإلهية... وما هي تقصم ظهر الاقتصاد العالمي... فدولة كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية تنفق على أبحاث الأيدز في السنة ٢٥٠ مليون دولار... ومع ذلك تبوء بالفشل الذريع... بل اكتشفوا أن دواءهم الذي يعالجون به الأيدز يجعل فيروس الأيدز معدياً بنسبة أكبر... ولذلك بدأ علماءهم يعلنون ملهم من أبحاثهم بل خبراءؤهم في أرقى جامعاتهم لا يبشرون إلا بمستقبل كئيب!!

وبالمقابل؛ فإن هذا يؤكد لنا عظمة الإسلام حيث شرع تشريعات تحفظ المجتمع من هذه الموبقات الجنسية؛ حيث أحاط أتباعه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا

(١) أخرجه الحاكم (١٢٦/٢)، والبيهقي (٣/٣٤٦)، والبخاري (٣٢٩٩) بإسناد صحيح. وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٠٧).

أَلْفَوْحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۗ ، وبقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۗ ۝ ﴾ .

إن الإسلام لم يكتف بتحريم الزنا، وعمل قوم لوط، بل وضع التدابير الواقية التي تمنع أتباعه من الوصول إلى هذه الفواحش، ومن ثم الغرق في مستنقعها.

العاشرة: التدابير الواقية من الزنا:

وقد عاجلت سورة النور هذه التدابير معالجة وافية؛ فالمجتمع الذي يطبقها تكفيه، ومن كل شر تشفيه:

١- تطهير الزناة والزواني بعقوبة حد الزنا.

قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ [النور: ٢].

٢- اجتناب إنكاح الزناة ونكاح الزواني:

قال تعالى: ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ [النور: ٣].

٣- تطهير الألسنة عن رمي المؤمنين والمؤمنات بفاحشة الزنا:

قال ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۗ ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۗ ﴾ [النور: ٤ - ٥]

٤- تطهير لسان الزوج عن رمي زوجته بالزنا من غير بينة:

قال جل شأنه: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۗ ﴾ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۗ ﴾ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۗ ﴾ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ



اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [النور: ٦ - ١٠].

٥- تطهير النفس عن ظن السوء بالمؤمنين بفعل الفاحشة:

قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

٦- تطهير الإرادة عن محبة إشاعة الفاحشة بين المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

٧- تطهير النفوس من الوسوس والخطرات التي توقع في الفاحشة:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

٨- مشروعية الاستئذان عند إرادة دخول البيوت:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٧ - ٢٩].

٩ و ١٠- وجوب غض البصر عن النظر المحرم وحفظ الفروج رجالاً ونساء:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

﴿فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

١١- تحريم إبداء المرأة زينتها للأجانب:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١].

١٢- منع ما يحرك الرجل ويشيره:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

١٣- الحض على النكاح:

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

١٤- الأمر بالاستعفاف لمن لم يجد النكاح:

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

١٥- النهي عن البغاء:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبِّغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]^(١).

(١) «الوسائل الواقية من الوقوع في الفاحشة في ضوء سورة النور» للدكتور يوسف الشبل منشور في «مجلة البحوث الإسلامية» عدد (٨٩) (ص ٢٣٩-٣٠٦) باختصار وتصرف.



وبهذا يتضح لكل منصف يريد الحق، ولكل عاقل عنده مسكة من عقل، ولكل ساع إلى النجاة: أن الإسلام بشموله، وكماله، وسموه، وسماحته لم يترك هذه المصائب الجنسية التي أحاطت بكثير من المجتمعات إلا ووضع لها الحل الحاسم. وأما المجتمعات التي لم تلق بالأل للتدابير الواقية من الفواحش الجنسية فقد تردت؛ فكانت نتائج ذلك نكدة، وثماره مرة كالعلقم؛ لأن للزنا أضرارًا لا حصر لها؛ نذكر منها:

أنه سبب انتشار الأمراض الجنسية الخبيثة، ويكفي لتأييد قولنا: أن نشير أنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة سنويًا بالأمراض الجنسية، وأن أمريكا خصصت لمعالجة الأمراض الجنسية ستمائة وخمسين مستشفى.

ولا تقتصر مضار الزنا على فاعله، بل تمتد إلى المجتمع بأسره، فما مشكلة أولاد الزنا إلا ثمرة غير مشروعة للزنا، وتأييدًا لهذه الحقيقة نشير إلى أنه في دولة السويد يوجد ولد زنا بين كل أربعة أولاد يولدون بها؛ أي أن ربع المولودين بها أولاد زنا. وهكذا تختلط الأنساب، وتتعدد المشاكل الاجتماعية، وتتقوض دعائم البشرية. كما أن الزنا من شأن انتشاره صرف الشبان عن الزواج؛ فنسبة المقبلين على الزواج في النرويج وإنجلترا وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا كانت أقل من عشرة من كل ألف، بينما انخفضت في السويد إلى أقل من خمسة من كل ألف. وبلغت نسبة الطلاق في إنجلترا وويلز (٢٠،٢٪)، وفي السويد (٦،٣٣٪)، وفي الدنمارك (٣٥٪).

ومن مضار الزنا انتشار اغتصاب الفتيات في جانب كبير من الدول الغربية، لدرجة أصبح معها الاغتصاب أمرًا مألوفًا، فقد ارتكبت في الولايات المتحدة الأمريكية (٦٣٠٢٢) جريمة اغتصاب سنة (١٩٧٧) بمعدل اغتصاب فتاة كل ثماني دقائق.

وهكذا نرى أن آثار الزنا الخطيرة تمتد لتشمل كل جوانب الحياة^(١).

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «الزنا يجمع خلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، ومن موجباته: غضب الرب، وسواد الوجه وظلمته، وظلمة القلب، وطمس نوره، وهو يذهب حرمة فاعله، ويسقطه من عين ربه، ومن أعين عباده، ويسلبه أحسن الأسماء، وهو: اسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أصدادها كاسم الفاجر، والفاسق، والزاني والخائن، كما يسلب من فاعله اسم الإيمان المطلق، ويفارقه الطيب، ويستبدل به الخبيث»^(٢).

ولهذه الشرور التي تنتج عن جريمة الزنا؛ قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «وخصَّ سبحانه حد الزنى من بين الحدود بثلاث خصائص:

أحدها: القتل فيه بأشنع القتل، وحيث خففه جمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنةً.

الثاني: أنه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رافةً في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم؛ فإنه سبحانه من رأفته ورحمته بهم شرع لهم هذه العقوبة؛ فهو أرحم منكم بهم، ولم تمنعه رحمته من أمره بهذه العقوبة، فلا يمنعكم أنتم ما يقوم بقلوبكم من الرافة من إقامة أمره.

وهذا - وإن كان عامًّا في سائر الحدود - ولكن ذكر في حد الزنى خاصة لشدة الحاجة إلى ذكره، فإن الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر؛ فقلوبهم ترحم الزاني أكثر مما ترحم غيره من أرباب الجرائم، والواقع شاهد بذلك، فنهوا أن تأخذهم هذه الرافة، وتحملهم على تعطيل حد الله.

(١) «التدابير الواقية من الزنا» فضل إلهي ظهير (ص ٩-١١) باختصار وتصرف.

(٢) «روضة المحبين» (ص ٣٥٨-٣٥٩) باختصار وتصرف.

وسبب هذه الرحمة: أن هذا ذنب يقع من الأشراف، والأوساط، والأرذال، وفي النفوس أقوى الدواعي إليه، والمشارك فيه كثير، وأكثر أسبابه العشق، والقلوب مجبولة على رحمة العاشق، وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربةً، وإن كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه، ولا تستنكر هذا الأمر؛ فإنه مستقر عند من شاء الله من أشباه الأنعام، ولقد حكى لنا من ذلك شيء كثير، أكثره عن ناقصي العقول والأديان؛ كالخدام والنساء.

وأيضًا؛ فإن هذا ذنب غالبًا ما يقع مع التراضي من الجانين، فلا يقع فيه من العدوان، والظلم، والاعتصاب ما تنفر النفوس منه، وفيه شهوة غالبية له؛ فيصور ذلك لنفسه؛ فتقوم بها رحمة تمنع إقامة الحد.

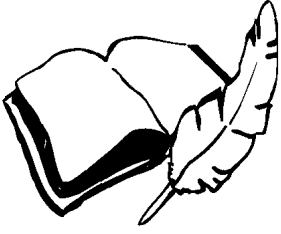
وهذا كله من ضعف الإيمان، وكمال الإيثار أن تقوم به قوة يقيم بها أمر الله؛ ورحمة يرحم بها المحدود، فيكون موافقًا لربه تعالى في أمره ورحمته.

الثالث: أنه سبحانه أمر أن يكون حدهما بمشهد من المؤمنين، فلا يكون في خلوة بحيث لا يراهما أحد، وذلك أبلغ في مصلحة الحد، وحكمة الزجر.

وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة الله تعالى لقوم لوطٍ بالقذف بالحجارة، وذلك لاشتراك الزنى واللواط في الفحش، وفي كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وأمره، فإن في اللواط من المفاصد ما يفوت الحصر والتعداد، ولأن يقتل المفعول به خير له من أن يؤتى، فإنه يفسد فسادًا لا يرجى له بعده صلاح أبدًا، ويذهب خيره كله، وتمص الأرض ماء الحياء من وجهه، فلا يستحيي بعد ذلك من الله ولا من خلقه، وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن»^(١).



(١) «الداء والدواء» (ص ٢٥٣-٢٥٤).



الوصية الخامسة:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

من مقاصد شريعة الإسلام: حفظ النفوس الإنسانية، ولذلك جعل سفك الدم الحرام عمداً بدون حق من أكبر الكبائر، وأفحش الفواحش: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وبذلك صان الإسلام الأنفس عن الإهدار؛ فلا تستباح إلا بالحق الواضح؛ لأن الله هو واهب الحياة، ولا يجوز أن ينهيا أحد إلا بإذنه، فمن اعتدى عليها وأزهقها بدون حق فقد اعتدى على حق الله تعالى، ولذلك قال في قصة ابن آدم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]، وكذلك اعتدى على البشرية جميعاً: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

ومن أجل ذلك كان الخطاب الإلهي للناس جميعاً صريحاً دون لبس، وواضحاً دون غموض؛ ينهاهم أشد النهي، ويحذرهم أكبر تحذير من جريمة القتل؛ كما في هذه الوصية.



وتحت هذا الخطاب الإلهي جملة مسائل:

الأولى: علاقة النهي عن القتل بالسياق.

يكثر النص القرآني من ذكر النهي عن الشرك، والزنى، وقتل النفس المحرمة في سياق واحد؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] ذلك أنها جميعها جرائم قتل:

الشرك بالله قتل للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالنفس التي لا تحيا على التوحيد، ولا تعيش على السنة ميتة: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والزنى قتل للجماعات والمجتمعات؛ فالأمم والشعوب التي تشيع فيها الفاحشة مآها حتماً إلى الدمار، ومصيرها إلى البوار.

والقتل قتل للنفس المحرمة المفردة.

الثانية: علاقة النهي عن القتل بالسياق.

قال الإمام ابن كثير: «وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النهي عنه تأكيداً، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر وما بطن»^(١).

وقال أبو حيان: «هذا مندرج تحت عموم الفواحش إذ الأجود أن لا يخص الفواحش بنوع ما، وإنما جرد منها قتل النفس تعظيماً لهذه الفاحشة، واستهواً لوقوعها، ولأنه لا يتأتى الاستثناء بقوله ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا من القتل لا في عموم الفواحش»^(٢).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٩٦).

(٢) «البحر المحيط» (٤/٢٥٢).

وقال ابن عاشور: «وأعقب ذلك بالنهاي عن قتل النفس، وهو من الفواحش على تفسيرها بالأعم، تخصيصاً له بالذكر، ولأنه كان متفشيّاً بين العرب»^(١).
قال الفجر الرازي: «واعلم أن هذا داخل في جملة الفواحش إلا أنه تعالى أفرد بالذكر لفائدتين:

إحدهما: أن الأفراد بالذكر يدل على التعظيم والتفخيم؛ كقوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَحَبْرِيْلَ وَمِيكَائِلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

والثانية: أنه تعالى أراد أن يستثنى منه، ولا يتأتى هذا الاستثناء في جملة الفواحش»^(٢).

الثالثة: تحريم قتل النفس البشرية إلا بالحق.

تؤكد هذه الآية حماية النفس الإنسانية، فالله هو الذي خلق هذه النفس، وهي ملك لله، وليس لأحد أن يتصرف في ملك الله إلا بإذنه.

والتعريف في (النفس) للجنس، فيفيد الاستغراق، فيكون النهي عن قتل النفس البشرية عموماً.

قال القرطبي: «وهذه الآية نهي عن قتل النفس المحرمة مؤمنة، أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها»^(٣).

وقال أبو حيان: «والنفس المحرمة هي المؤمنة والذمية والمعاهدة»^(٤).

الرابعة: تغليظ تحريم سفك دم امرئ مسلم بغير حق.

(١) «التحرير والتنوير» (١٦٠/٨).

(٢) «التفسير الكبير» (٢٤٥/٧).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣٣/٧).

(٤) «البحر المحيط» (٢٥٢/٤).



وإذا كان قتل النفس البشرية عمومًا حرام؛ فسفك دم امرئ مسلم بغير حق أشد، ولذلك غلظ الله تبارك وتعالى عقوبة من اقترف ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره؛ إلا من مات مشركًا أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا»^(١).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «من قتل مؤمنًا؛ فاغتبط^(٢) بقتله؛ لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»^(٣).

وعن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال المؤمن معتقًا^(٤) صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بلح»^(٥)^(٦).

الخامسة: تأكيد تحريم قتل المعاهد أو الذمي:

وكذلك النفس البشرية التي دخلت في عهد الإسلام وذمته، وأعطائها المسلمون الأمان جاء تأكيد تحريم قتلها.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والحاكم (٣٥١/٤)، وأبو نعيم (١٥٣/٥) والبيهقي (٢١/٨) بإسناد صحيح.

وفي الباب عن عبادة بن الصامت، ومعاوية رضي الله عنه.

(٢) سرّه ذلك، وفرح به.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٧٠) بإسناد صحيح.

(٤) طويل العنق، خفيف الظهر، سريع السير إلى الصالحات، وله سوابق من الخير.

(٥) انقطع وأعيأ.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٢٧٠) بإسناد صحيح.

رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»^(١).

وعن أبي بكره رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قتل نفساً معاهدة بغير حلها؛ حرّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها»^(٢).

وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «ألا من يقتل نفساً معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة؛ فلا يريح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»^(٤).

وقد مارس بعض الشباب الإسلامي ممن سلكوا النهج التكفيري، ورأوا رأي الخوارج قتلاً وتدميرًا في بلاد الكفار بعد دخولهم تلك البلاد بأمان رسمي، أو قتل بعض الكفار المعاصرين الذين يأتون إلى ديار الإسلام بأمان رسمي - أيضًا -.

وهذا جهل خطير بمسائل العهد والأمان والذمة؛ حيث قاسوا واقع الدول الحالي على الواقع القديم، حيث كان الأفراد ينتقلون بين الدول بدون اتباع أي إجراءات حتى الحرب الكونية الأولى حيث بدأت الدول في اتباع نظام جواز السفر. فلا تسمح الدول حاليًا بدخول أحد من الأجانب إلى ديارها ما لم يكن

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦).

(٢) أخرجه النسائي (٢٥/٨)، وأحمد (٣٦/٦ و ٣٨ و ٤٦ و ٥٠ و ٥٢)، وابن حبان (٤٨٨٢)، والحاكم (٤٤/١)، والبيهقي (٢٠٥/٩) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه النسائي (٢٥/٨)، وأحمد (٢٣٧/٤ و ٣٦٩/٥) بإسناد صحيح، وجهالة الصحابي لا تضر.

(٤) أخرجه الترمذي (١٤٠٣)، وابن ماجه (٢٦٨٧)، والحاكم (١٢٧/٢) والضياء في «صفة الجنة» (٢/٨٦/٣)؛ كما في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٥٦) من طريقتين عنه، وهو صحيح؛ كما قال الضياء؛ ووافقه شيخنا - رحمهما الله -.



حاملاً لهذه الوثيقة، ولا تسمح بخروج مواطنيها ما لم يحصلوا عليها.

وتمنح الدول تأشيرة دخول؛ وهي: عبارة عن إذن صادر من سلطات البلد التي يريد الأجنبي دخولها، تؤكد بمقتضاه موافقتها على دخول الأجنبي، وقبوله في ديارها المدة المسموح له بها في إقليم الدولة.

وهذه الإجراءات عند فقهاء العصر بمثابة عقد الأمان المذكور عند الفقهاء الأقدمين.

قال ابن المناصف رَحِمَهُ اللهُ: «فإذا تقرر من مستند الشرع، وأقوال العلماء في ملاحظة ثبوت الأمان: مراعاة ما دل عليه من قول، أو إشارة، أو استشعار، فأقول: كل لفظ على أي لغة كان، واصطلاح حدث، أو كتابة بأي خط في مثل ذلك، مما اصطلاح عليه، أو إشارة ورمز ونحو ذلك مما يتفاهم بمثله، يشعر به المسلم الحربي أماناً، أو يستشعر منه الحربي الأمان، سواء أَرَادَهُ المسلم أو لا، فهو أمان في الحال، فما وافق ما قصده المسلم من ذلك، ولم يكن فيه وجه من وجوه الفساد، ويجب أمضاؤه والوفاء به إلى غايته، وما لم يكن مراده منه التأمين، إلا أن الحربي نزل على ذلك مستشعراً فيه أماناً، وجب فيه ردّ الحربي إلى مأمنه، ثم يعود الأمر معه على أوله، ولا يحل اغتياله على هذا الوجه بحال، والدليل على صحة هذا الحد: أن ما كان من الأقوال المتعارفة في ذلك، فلزومه مما لا إشكال فيه، وكذلك على كل لغة...»^(١).

السادسة: تحريم قتل النفس البشرية قديم ومتوارث عبر الرسالات منذ النبوة الأولى.

قال ابن عاشور: «ووصفت بـ ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ تأكيداً للتحريم بأنه تحريم

(١) «الإنجاد في أبواب الجهاد» (٢/ ٣٠٩ وما بعدها).

قديم، فإن الله حَرَّمَ قتل النفس من عهد آدم»^(١).

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ [البقرة: ٢٧ - ٣٢].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل»^(٢) من دمها؛ لأنه أول من سن القتل»^(٣).

السابعة: الأمر بإحياء النفس البشرية؛ ليتم ذلك على منهج الله.

الإسلام يصون النفس البشرية ويحميها، ولذلك جعل الله من قتل نفساً واحدة بغير حق؛ فكأنما قضى على الإنسانية كلها: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] ذلك أن النوع الإنساني أسرة واحدة، فالعدوان على نفس هو في الحقيقة عدوان على هذا النوع البشري، وتجروء عليه.

لقد وصل الإسلام برعايته لحرمان البشر من أموال، وأعراض، وأنفس إلى

(١) «التحرير والتنوير» (٨/ ١٦١).

(٢) نصيب من الوزر.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).



حد التقديس، فصان الأموال، والأعراض، وحرمة النفوس؛ ليحييها: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ولذلك شرع القصاص والقود رعاية لهذه الحياة؛ فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٨ و ١٧٩].

وهذه الحياة البشرية مقدمة ووعاء للحياة الإيمانية التي يكتسبها الإنسان بإيمانه بالله، وبدين الإسلام، وبمحمد عليه الصلاة والسلام؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فالحياة الإيمانية بالله، ورسوله، ودينه، واتباع شرعه، ومنهجه هي التي تعطي الحياة البشرية قيمتها وقدسيتها ورعايتها.

ومن أبى هذه الحياة الغالية والمكانة العالية انحط إلى الحياة البهيمية، ومن يهن الله؛ فلا له من مكرم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال جل شأنه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ولذلك لا يكون القود بين المسلم والمشرک على القول الصحيح من أقوال العلماء؛ لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقتل مسلم

بكاfer»^(١).

الثامنة: قتل النفس المحرمة ظلم كبير.

الأصل في الدماء والأموال والفروج الحرمه، ولذلك يجب الأخذ بالاحتياط، فمن وقع في شيء من ذلك ظلم وتعدى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]؛ فقتل النفس المحرمة بغير حق ظلم كبير:

فالله واهب الحياة، فمن سلبها بغير إذنه وخارج الحدود التي شرعها؛ فهو ظالم.

والإسلام دين الحياة ودين السلام، فمن أشاع الخوف بين المسلمين؛ فهو ظالم.

والنفس البشرية مصونة؛ فمن اعتدى عليها بغير حق؛ فهو ظالم.

التاسعة: قتل النفس المحرمة فساد عريض:

من تأمل قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] علم يقيناً أن مفاصد القتل كثيرة تجتاح الأفراد والجماعات والشعوب والأمم.

وقد حرم الله الفساد والإفساد، وجعل عقوبة المفسدين جهنم وبئس المصير، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).



جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦﴾.

وقال جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿البقرة: ١١ و ١٢﴾.

وقال سبحانه ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا

مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿

[المائدة: ٣٣].

وقال جل جلاله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطَّعُوا

أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿محمد: ٢٢ و ٢٣﴾.

ومن صور الفساد في الأرض ما يفعله ظالموا أنفسهم وأمتهم من عدوان سافر

على الأرواح والممتلكات يظهر جلياً في القتل، والهدم، والتشريد، والتدمير الذي لم

يستثن شيخاً كبيراً، ولا شاباً نضيراً، ولا طفلاً صغيراً.

وقال شيخنا فقيه الزمان محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «... وعلى هذا؛ فمن

كان عندنا من الكفار بأمان؛ فهو محرّم الدم، وبذلك تعرف خطأ عملية التفجير

التي وقعت في مكان أهل بالسكان المعصومين في دمائهم وأموالهم؛ الذي حصل

من جرائه أكثر من ثمانية عشر قتيلاً، وثلاث مئة وستة وثمانين مصاباً، منهم:

والأطفال، والنساء، والشيوخ، والكهول، والشباب، وتلفت من جراء ذلك أموال

ومساكن كثيرة، ولاشك أن هذه العملية لا يُقرّها شرع، ولا عقل، ولا فطرة.

أما الشرع؛ فقد استمعتم إلى النصوص القرآنية، والنبوية الدالة على وجوب

احترام المسلمين في دمائهم، وأموالهم، وكذلك الكفار الذين لهم ذمة أو عهد

أو أمان، وإن احترام هؤلاء المعاهدين والمستأمنين والذميين من محاسن الدين

الإسلامي، ولا يلزم من احترامهم بمقتضى عهودهم محبة، ولا ولاء، ولا مناصرة، ولكنه الوفاء بالعهد ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأما العقل؛ فلأن الإنسان العاقل لن يتصرف أبدًا في شيء محرّم؛ لأنه يعلم سوء النتيجة والعاقبة، وأن الإنسان العاقل لن يتصرف في شيء مباح حتى يتبين له ما نتيجه، وماذا يترتب عليه، وإذا كان النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرًا أو ليصمت»^(١)، فجعل النبي ﷺ من مقتضيات الإيمان وكماله: أن لا يقول الإنسان إلا خيرًا أو يسكت. فكذلك يقال: إن من مقتضيات الإيمان وكماله أن لا يفعل الإنسان إلا خيرًا أو ليمسك، ولا شك أن هذه الفعلة الشنيعة يترتب عليها من المفسد ما سنذكر ما تيسر منه إن شاء الله.

وأما مخالفة هذه الفعلة الشنيعة للفطرة؛ فإن كل ذي فطرة سليمة يكره العدوان على الغير، ويراه من المنكر.

فما ذنب المصايين بهذا الحادث من المسلمين؟

ما ذنب الآمنين على فرشهم في بيوتهم أن يصابوا بهذا الحادث المؤلم؟

ما ذنب المصايين من المعاهدين والمستأمنين؟

ما ذنب الأطفال والشيوخ والعجائز؟

إنه لحادث منكر ولا مبرر له!!

أما المفسد:

فأولاً: أنه معصية لله ورسوله، وانتهاك لحرمات الله، وتعرض لللعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأن لا يقبل من فاعله صرف ولا عدل.

ثانياً: تشويه سمعة الإسلام؛ فإن أعداء الإسلام سوف يستغلون مثل هذا

(١) رواه البخاري رقم (٦٠١٨)، ومسلم رقم (٧٤) عن أبي هريرة ؓ.



الحدث بتشويه سمعة الإسلام، وتنفير الناس عنه، مع أن الإسلام بريء من ذلك، فأخلاق الإسلام: صدق، وبر، ووفاء، والدين الإسلامي يحذّر من هذا وأمثاله أشد التحذير.

ثالثاً: أن الأصابع في الداخل والخارج سوف تشير إلى أن هذا من صنع الملتزمين بالإسلام، مع أننا نعلم علم اليقين أن الملتزمين بشريعة الله حقيقة لن يقبلوا مثل ذلك، ولن يرضوا به أبداً، بل يتبرؤون منه، وينكرونه أعظم إنكار؛ لأن الملتزم بدين الله حقيقة هو الذي يقوم بدين الله على ما يريد الله، لا على ما تهواه نفسه، ويملي عليه ذوقه المبني على العاطفة الهوجاء والمنهج المنحرف، وعلى هذا الالتزام الموافق للشريعة كثير في شبابنا، والله الحمد.

رابعاً: أن كثيراً من العامة الجاهلين بحقيقة الالتزام بدين الله سوف ينظرون إلى كثير من الملتزمين بالبراء - البراء من هذا الصنيع - نظرة عداً وتخوف وحذر وتحذير، كما سمعنا عن بعض الجهال العوام من تحذير أبنائهم من الالتزام.

خامساً: هذه الفعلة القبيحة توجب الفوضى في هذه البلاد التي ينبغي أن تكون أقوى بلاد العالم في الأمن والاستقرار؛ لأنها تشمل بيت الله الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، ولأن فيها الكعبة البيت الحرام التي جعلها الله قياماً للناس تقوم بها مصالح دينهم ودنياهم، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَبْكَبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، ومن المعلوم أن الناس لن يصلوا إلى هذا البيت إلا عن طريق المرور بهذه البلاد جميعها من إحدى الجهات.

سادساً: ومن مفسد هذه الفعلة الشنيعة ما حصل بها من تلف النفوس والأموال وتضرر شيء منها، كما شاهد الناس ذلك في وسائل الإعلام، شاهد

الناس في وسائل الإعلام ما شاهدوا منها، وإن القلوب لتتفجر، والأكباد لتتفتت، والدموع لتذرف حين يشاهد الإنسان الأطفال على سرر التمريض ما بين مصاب بعينه، أو بأذنه، أو يده، أو رجله، أو أي شيء من أجزاء بدنه، تدور أعينهم فيمن يعودهم، لا يملكون رفعاً لما وقع، ولا دفعاً لما يتوقع، فهل أحد يُقرُّ ذلك أو يرضى به؟؟

هل ضمير لا يتحرك لمثل هذه الفواجع، ولا أدري ماذا يراد من هذه الفعلة، أيراد الإصلاح؟

فالإصلاح لا يأتي بمثل هذا، إن السيئة لا تأتي بحسنة، ولن تكون الوسائل السيئة طرقاً للإصلاح أبداً^(١).

العاشرة: قتل النفس المفسدة حق.

فكما رعى الإسلام حق النفس البشرية في الحياة، وصانها بشرائعه، وحماها بأحكامه؛ فقد أهدرها إذا تحولت إلى نفس مفسدة، وأداة جريمة؛ حفظاً للجماعة حتى تطمئن وتأمين في ديارها، وانطلاق كل فرد ليعمل وينتج آمناً على حياته ونفسه.

واجتثاث النفوس الشريرة المفسدة حق، ولذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ فكما أن قتل النفس المحرمة ظلم، فقتل النفس الشريرة حق.

قال القرطبي: «وهذه الآية نهي عن قتل النفس المحرمة، مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها.

قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن

(١) «التحذير من التسرع في التكفير» (ص ٥٣-٦٥) باختصار.



قال لا إله إلا الله؛ فقد عصم ماله ونفسه إلا بحقه وحسابهم على الله»^(١).

وهذا الحق أمور؛ منها:

منع الزكاة، وترك الصلاة، وقد قاتل الصديق مانعي الزكاة، وفي التنزيل ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وهذا بين.

وقال ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا بويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما»^(٣).

وعن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط؛ فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٤).

وفي التنزيل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ [المائدة: ٣٣].

وكذلك من شق عصا المسلمين، وخالف إمام جماعتهم، وفرق كلمتهم، وسعى في الأرض فسادًا؛ بانتهاب الأهل والمال، والبغي على السلطان، والامتناع من حكمه يقتل.

فهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٥).



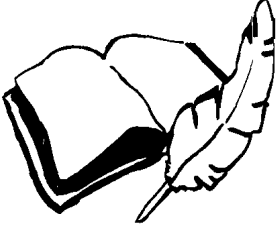
(١) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (١٣٥).

(٢) مضى تخريجه (ص ١٣١).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٦٥١)، وهو صحيح.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/١٣٣).



قوله تعالى:

﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

ختمت هذه الوصايا الخمس في الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

ومن تدبر هذه الوصايا حق التدبر، وأعطاهما ما تستحق من التأمل، وجد بدون أدنى شك أن هذه الخاتمة هي المناسبة لهذه الآية.

وتحت ذلك مسائل؛ منها:

الأولى: قال البقاعي: «ولما كانت هذه الأشياء شديدة على النفس؛ ختمها بما لا يقوله إلا المحب الشفوق؛ ليتقبلها القلب، فقال ﴿وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ أمرًا ونهيًا، ولما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرها وجلالة وقعها في النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر؛ قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لتكونوا على رجاء الشيء على منهاج العقلاء، فعلم من ذكر الوصية؛ أن هذه المذكورات هي الموصى بها والمحرمات أضدادها، فصار شأنها مؤكدًا من وجهين: التصريح بالتوصية بها، والنهي عن أضدادها»^(١).

الثانية: قال أبو حيان: «ولما كان العقل مناط التكليف؛ قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾»^(٢).

(١) «نظم الدرر» (٢/٧٤١-٧٤٢).

(٢) «البحر المحيط» (٤/٢٥٢).



أي: لما كان التكليف لا يصح إلا بوجود العقل؛ خاطبه أولاً، وحضهم على استعماله فيما وضع له من القيام بشرع الله ثانياً؛ لأنه إذا ذهب ما وهب؛ سقط ما وجب.

الثالثة: هذه الوصايا لا تخفى فوائدها ومنافعها الدنيوية والأخروية، ولذلك أتبعها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لكي تعقلوا فوائدها هذه التكليف، ومنافعها في الدين والدنيا^(١).

الرابعة: ولما كانت هذه القبائح المنهي عنها تهيج النفس؛ فتنفلت من عقابها ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم، وتحبسها عن مباشرة القبائح المحرمة^(٢).

الخامسة: وأول هذه الوصايا ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وارتباطها بهذه الخاتمة من أوضح الواضحات، وأظهر البدهيات.

١- لا يوجد عاقل يجعل مع الله نداً، أو يتخذ من دونه إلهًا؛ ففي كل شيء دلالة على أنه الخالق الرازق، وفي كل حركة تنبيه أنه الإله الحق الواحد؛ ولذلك يقول المشركون في الآخرة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

٢- الذي يخلص العقل من الأساطير، ويجرره من تعظيمه للخرافات هو العقل.

٣- قضية الإشراك بالله لا تعتمد على أمر قد تم نسيانه؛ فلا بد من تذكره، وإنما وجوداً أو كبر، وإعراض، أو شك، ولذلك لا بد من عقل يردعها، وعقل يمنعها.

(١) انظر «التفسير الكبير» (٧/٢٤٢).

(٢) انظر «روح المعاني» (٨/٤١٣).

السادسة: وأما الإحسان إلى الوالدين، فارتباطه بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ﴾ فكالشمس في راحة النهار:

١- لأن الإحسان إليهما ليس معناه إثبات نسب الولد إلى أبويه؛ ولذلك جاء بلفظ الوالدين؛ ليشعر الابن بأعباء الولادة، وبرحمة الوالدين وما بذلا من جهد في التربية، وهذا مقام يحتاج إلى تعقل؛ فكل إنسان عاقل يدرك هذه الأمور لا يسعه إلا الإحسان إليهما، وخفض جناح الذل من الرحمة لهما، وهذا هو منهج العقلاء: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَوْ كُنَّ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

٢- ولذلك لما كان هذا مقام إحسان وبر، وليس من ورياء وتفضل؛ فلا بد من إثارة العقل؛ ليقوم بدوره، وتنبيه العاقل؛ ليهتم بوالديه، ويعرف لهما منزلتها العظيمة عند الله ﷻ، ولولا ذلك لما جيء بالأمر بالإحسان إلى الوالدين بعد النهي عن الإشراك بالله.

السابعة: أما الوصية الثالثة؛ وهي: النهي عن قتل الأولاد من الفقر، أو الجوع، أو العار؛ فهي موافقة للعقل البشري من وجوه:

١- لما كان هذا الفعل ناتجا عن سفه وجهل، فلا منقذ للإنسان منها إلا بالتعقل.

٢- ولما كان المحرض على القتل هو الرزق، فكما لا يباري العقل في قضية الخلق؛ فكذلك يعترف بمسألة الرزق، وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين؛ فالعبد لا يرزق نفسه فكيف يحمل همَّ غيره؟! فالذي رزقك سيرزق أهلك وذريتك؛ فلا تكن للعيش مجروح الفؤاد، إنما الرزق على رب العباد.

٣- إن الحفاظ على الأولاد ورعايتهم أمر فطري، ولا تفسد الفطرة إلا بفساد



العقل، ولذلك لا بد من الحث على التعقل تحريضاً للعقل؛ ليحافظ على فطرة الله التي فطر الإنسان عليها؛ لئلا تجتاله شياطين الإنس والجن بأوهامها الفاسدة، وأعرافها الكاسدة.

الثامنة: وأما النهي عن الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ فارتباطه بالعقل واضح:

١- لما كانت هذه الفواحش محفوفة بالشهوات؛ فإن الشهوة كالخمر تجعل الإنسان يفقد عقله، ولذلك لا بد من الحث على التعقل؛ لئلا تعمل فيه خمرة الشهوة عملها.

٢- لما كانت هذه الفواحش ذات أضرار خطيرة وعواقب مريرة؛ فلا بد من عقل يعمق الشعور بقبح هذه الفواحش، ويظهر بشاعة هذه الموبقات، ويكشف فظاعة هذه المنكرات؛ لأن العاقل هو الذي يستقبح الفاحشة ويستهجنها... فإذا أدرك العاقل هذه المخاطر التي تحف هذه الفواحش؛ فلن يفكر في الاقتراب منها فضلاً عن إتيانها!!

٣- وكذلك فإن هذه المفاصد المحيطة بالفواحش والأضرار الناجمة عنها قد تكون ظاهرة يدركها العاقل بأدنى تأمل، وقد تكون خفية لا يدركها على حقيقتها إلا أصحاب العقول اليقظة السليمة، والفطر الصحيحة المستقيمة.

التاسعة: وأما الوصية الخامسة؛ وهي: قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق؛ فارتباطها بالتعقل وثيق:

١- إن القتل تدرك بشاعته العقول، وتتعرف بقبحه، ولا يختلف في ذلك عاقلان.

٢- إن القتل غالباً ما ينتج عن هوى، أو شهوة، أو تأويل فاسد، ولا يمنع

من ذلك إلا عقل أسلم الله رب العالمين، ولذلك؛ فإن حجر العقل عن السفه والشهوات، ونوازع الشر مطلوب في هذا المقام.

العاشرة: وقوله تعالى في الوصية الخامسة ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فتقرير لأصل عظيم؛ وهو: أن صريح المعقول لا يتعارض مع صحيح المنقول؛ فكما أن العقل مستقر فيه بشاعة القتل وفضاعته؛ فإنه كذلك يعترف أن القتل فيه إيقاف لشور أهل الشر، وردع لباطلهم، وأنه واجب في حالات، ولكن هذه الحالات لا تدرك إلا بالشرع، وهو الحق؛ لأنه في هذا المقام إحياء للمجتمع، وحفظ لحياة أمة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

فإذا اجتمع للعبد نور النقل مع نور العقل؛ فينضاف أحد النورين إلى الآخر؛ فيزداد العبد نورًا على نور؛ ولهذا دائمًا ينطق بالحكمة، ويدعو إلى الحق؛ لأنه اتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي؛ فلا يريه عقله وفطرته وذوقه إلا ما جاء به الرسول ﷺ؛ وأنه الحق المبين؛ فلا يتعارض عنده العقل والنقل ألبتة بل يتوافقان ويتصادقان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع ألبتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط.

وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع.

وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار؛ كمسائل التوحيد، والصفات، ومسائل القدر، والنبوات، والمعاد وغير ذلك، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يقال؛ إنه يخالفه إما ما حديث موضوع، أو دلالة



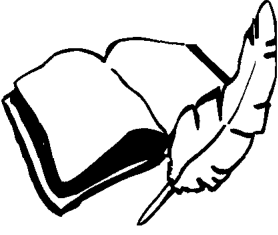
ضعيفة؛ فلا يصح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح فكيف إذا خالفه صريح المعقول»^(١).

ومن نافلة القول: القول إن المراد من هذه القاعدة الصحيحة: أن ما ثبت بالأدلة السمعية الصحيحة؛ وهو: المنقول لا يتعارض مع ما ثبت بالأدلة العقلية الصريحة؛ وهو: المعقول.

وليس المراد إثبات الشريعة بالعقل، ولا أن العقل يستقل بتشريع الأحكام، ووضع القوانين للأنام؛ بحجة أنه لا يعارض النقل، كما يروج لذلك بعض الباحثين، وبخاصة من أولع بنظرية المقاصد، فأخرجها عن سموها، وسمتها، ومقصدها، وضيّع الدين، وميّع الشريعة، وأهلك الأمة.



(١) «درر تعارض العقل والنقل» (١/١٤٧).



الوصية السادسة:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

اليتيم من أحق الناس بالرعاية والعناية، ولذلك أكثر الله ﷻ في كتابه من الحث على كفالته ومواساته ورعايته ورحمته، ومن ذلك: العناية بهاله حتى ينمو هذا المال ويحفظ، وكذلك الرعاية له بالتربية حتى يبلغ أشده، ويستبين رشده؛ فيدفع له ماله؛ لياشر ذلك بنفسه.

وحتى يتم ذلك على الوجه الأكمل؛ فقد أحاط الله سبحانه أموال اليتامى بسياج من الأحكام؛ لتلا يطمع في أموالهم اللئام.

وهذا ما جاء صريحاً في هذه الوصية التي تضمنت جملة من المسائل:

الأولى: دلالتها على السباق:

قال البقاعي: «ولما كان المال عدل الروح من حيث أنه لا قوام لها إلا به؛ ابتدأ الآية التي تليها بالأموال.

ولما كان أعظمها خطراً وحرمة مال اليتيم؛ لضعفه، وقلة ناصره؛ ابتدأ به؛ فنهى عن قربه فضلاً عن أكله أو شربه»^(١).

وقال ابن عاشور: «عطف محرمات ترجع إلى حفظ قواعد التعامل بين الناس؛ لإقامة قواعد الجامعة الإسلامية ومدنيتها، وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض.

(١) «نظم الدرر» (٢/٧٤٢).



وابتدأها بحفظ حق الضعيف الذي لا يستطيع الدفع عن حقه في ماله؛ وهو:
اليتيم»^(١).

الثانية: دلالتها على السياق:

الآية الأولى تضمنت وصايا في حفظ النفس، ورعايتها، والإحسان إليها؛
ولذلك؛ جاءت الآية الثانية متضمنة وصايا في حفظ الأموال، وحقوق العباد؛ لأن
الحفاظ على الأموال قرين الحفاظ على الأنفس والأرواح.

الثالثة: وجاء النص القرآني في تحريم أكل مال اليتيم بلفظ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾؛

لأن له دلالات؛ منها:

١- لما كان اليتيم ضائعاً في المجتمع الجاهلي؛ فهو مظنة أن يستمر الناس في
تضييعه، والجرأة على حقه؛ فلذلك نهاهم عن قرب ذلك الحمى الذي حماه الله،
وأكرمه مولاه حتى انتدب يتيماً كريماً فيه؛ فعهد إليه بأشرف مهمة في الوجود حين
كلفه بتبليغ رسالة ربه إلى كافة الناس، ومن ثم جعل رعاية اليتامى وحفظ أموالهم
من جوهر هذا الدين العظيم.

٢- اليتيم ضعيف فقد حاميه ومريه، ولذلك؛ قد تسوّى النفس ظلمه، وأكل
ماله؛ لأنه لا يوجد من يمنعها من ذلك، أو يردعها عن غيها في ذلك؛ لذلك نهاها
الله تعالى عن مجرد التفكير في ظلم هذا الضعيف.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقول على المنبر: «أحرج^(٢) مال
الضعيفين: اليتيم، والمرأة»^(٣).

(١) «التحرير والتنوير» (٨/ ١٠٢-١٠٣).

(٢) أضيقه وأحرمه على من ظلمها.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨)، وأحمد (٤٣٩/٢)، وابن حبان (٥٥٩٥) بإسناد حسن.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم»^(١).

٣- وهذا اللفظ يكفي في تحريم كل ما يلحق الأذى بأموال الأيتام أو يؤخر انتفاعهم؛ ومن ذلك:

أ- تحريم أكل أموال الأيتام ظلماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

ب- يحرم أكل أموالهم من غير حاجة ضرورية، وإنما إسرافاً وبداراً قبل بلوغهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ^ط وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ^ع فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ^ع وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

ت- ولذلك؛ فإن أكل أموال اليتامى قليلها ككثيرها كبيرة من الكبائر.

قال الهيثمي: «عدُّ هذا كبيرة هو ما اتفقوا عليه؛ لما ذكر، وظاهر كلامهم: أنه لا فرق بين أكل قليله وكثيره ولو حبة على ما مر في بخس الكيل والوزن، ويفرق بينه وبين الغصب والسرقة بنظير ما فرقت به بين دينك، والتطيف فيه من أنه متمكن من التصرف في مال اليتيم، فلو لم يحكم في القليل بكونه كبيرة لجره ذلك إلى الكثير، إذ لا مانع له؛ لأنه مسؤول على الكل؛ فتعين الحكم بالكبيرة على أخذ القليل والكثير بخلافه في دينك؛ فإنه لا يلزم عليهما ذلك، وبه يندفع قول من زعم: إن أخذ التافه من مال اليتيم صغيرة»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٢) «الزواجر» (١/٥٧٥).

الرابعة: من ولي يتيمًا وقام على أمره وتولى إصلاحه؛ فإنه يجوز له أن يأكل بالمعروف إذا كان فقيرًا محتاجًا إلى ذلك، وذلك بقدر قيامه عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

قال الإمام الذهبي: «وكل ولي يتيم كان فقيرًا فأكل بالمعروف؛ فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف؛ فسحت حرام، والمعروف يرجع إلى عرف^(١) الناس المؤمنين الخالين من الأغراض الخبيثة»^(٢).

قال الهيثمي: «وللولي أن يخلط طعامه بطعام اليتيم، وأن يضيف من المخلوط؛ لكن يشترط أن يكون له في ذلك مصلحة، كأن يكون أوفر عليه مما لو أكل وحده، وأن تكون الضيافة مما زاد على قدر ما يخص اليتيم كما هو ظاهر»^(٣).

قال الحافظ ابن كثير: «قال الفقهاء: له أن يأكل من أقل الأمرين أجرة مثله أو قدر حاجته، واختلفوا هل يرد إذا أيسر على قولين:

(١) والرجوع إلى العرف إنما هو لضبط المقدار الشرعي الذي يجوز للولي أكله من مال وليه، وقد ثبت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - أخرجه أبو داود (٢٨٧٢)، والنسائي (٢٥٦/٦)، وغيرهما بإسناد جيد - أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولي يتيم؟ فقال: كل من مال يتيمك، غير مسرف، ولا مبادر، ولا متائل.

وانظر - تفضلاً -: «زاد المسير» (١٦/٣) لابن الجوزي، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٤٤-٤١/٥).

(٢) «الكبائر» (ص ١٥٢).

(٣) «الزواجر» (١/٥٧٢).

أحدهما: لا؛ لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيرًا، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي؛ لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل.

الثاني: نعم؛ لأن مال اليتيم على الحظر، وإنما أبيع للحاجة، فيرد بدله؛ كأكل مال الغير للمضطر لا عند الحاجة»^(١).

الخامسة: وأفاد قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أنه كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك؛ فعامل الناس في ذرياتهم إذا وليتهم.

قال الهيثمي: «بينما الإنسان آمن متصرف في مال الغير، وعلى أولاد غيره، وإذا بالموت قد حلّ به؛ فيجزيه الله - تعالى - في ماله وذريته وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره: إن خيرًا؛ فخير، وإن شرًّا؛ فشر، فليخش العاقل على أولاده وماله إن لم يكن له خشية على دينه، ويتصرف على الأيتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف ولي أولاده لو كانوا أيتامًا عليهم في ماله»^(٢).

قلت: وهذا المعنى نبه الله عليه صريحًا في الآية التي سبقت الآية التي فيها تحريم أكل أموال اليتامى ظلمًا: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٣) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿[النساء: ٩ و ١٠].

ولذلك قال الإمام ابن كثير: «المراد بالآية: فليتقوا الله في مباشرة أموال اليتامى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ حكاة ابن جرير، وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامى ظلمًا؛ أي: كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذرياتهم إذا وليتهم....»^(٣).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/٤٦٤).

(٢) «الزواجر» (١/٥٧٣-٥٧٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/٤٦٦-٤٦٧).

السادسة: القول الأشدُّ: في بلوغ الأشدُّ: ما ذكره القرطبي - رحمه الله تعالى - فقال: «قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني: قُوَّتَهُ، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين؛ فإن الأشدُّ وقعت هنا مطلقة.

وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة «النساء» مقيدة، فقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]، فجمع بين قوة البدن؛ وهو: بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة؛ وهو: إيناس الرشد؛ فلو مكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوة؛ لأذهبه في شهواته، وبقي صعلوكًا لا مال له»^(١).

السابعة: واهتم الإسلام باليتامى هذا الاهتمام؛ لغفلة الناس عنهم، وافتقار الآباء لأبنائهم؛ فكان الاهتبال بفقيد الأب أولى، وكذلك فمن ظلم اليتامى؛ فالله خصمه^(٢).

وكذلك ليعوض اليتيم عن فقدان الأب وهو أعظم من يعطف عليه، ويمشي في حاجته، ويتعب لراحته؛ فمن مثل الأب الذي يؤثر أولاده على نفسه؛ فيجوع ليشبعوا، ويظمأ ليرتووا، ويسهر ليناموا، ويعرى ليكتسوا... لكن لا تياس أيها اليتيم؛ فإذا فقدت الأب؛ فأبشر برحمة الرب تبارك وتعالى، وهو أرحم بك من أبويك، بل من نفسك التي بين جنبيك، فقد عظم حَقُّك، ورفع قدرك؛ ومن ذلك:

١ - جعل الله حق اليتيم بعد حق الأرحام وقبل حق الفقراء والمساكين؛ فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ١٣٤-١٣٥).

(٢) المرجع السابق (٧/ ١٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

٢- جعل الله تعالى لليتامى حقاً في المال العام وحقاً في المال الخاص.

فقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

هذا في المال العام، أما في المال الخاص، فقد جعل الله تعالى لليتامى حقاً من صدقات الأغنياء؛ فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

٣- جعل الله تعالى الإحسان إلى اليتيم من البر.

فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوقِفَاتِ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٤- وحضَّ الله سبحانه على إطعام اليتيم.

فقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ ۗ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۗ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ۗ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۗ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۗ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۗ﴾ [البلد: ١١ - ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُنْعَمُكُمْ لُوجْهَ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ۗ ﴿١٠﴾ فَوَقَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ



وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَلْتُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ أَجْتَهُ وَحَرِيْرًا ﴿﴾ [الإنسان: ٨ - ١٢].

٥- ونهى الله عن إهانة اليتيم، أو الإساءة إليه، أو الغلظة عليه؛ فقال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

وشدد في النهي عن إهانة اليتيم وجعلها من شيم المكذبين بيوم الدين، فقال

تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِنِّ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿﴾

[الماعون: ١ و ٢].

وقال لهم محذراً: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧].

الثامنة: وهذه الوصية بمجموعها وبمفرداتها من النهي عن الاقتراب من

أموال اليتامى لإفسادها، والإحسان إليهم حتى يبلغوا أشدهم تحريض واضح

على أهمية كفالة اليتيم وخطورتها، ولذلك استحق من قام بها على بابها، ورعاها

حق رعايتها الجزاء الأوفى، والمقام الأعلى.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ قال: قال صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار

بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً»^(١).

قال ابن بطال: «حق على من سمع هذا الحديث: أن يعمل به؛ ليكون رفيق

النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو

كهايتين في الجنة»^(٣).

قال النووي: «وأما قوله: «له أو لغيره» فالذي له أن يكون قريباً له؛ كجده،

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤ و ٦٠٠٥).

(٢) نقله الحافظ في «فتح الباري» (٤٣٦/١٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٣).

وأمه، وجدته، وأخيه، وعمه، وخاله، وعمته، وخالته، وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبيًا»^(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «أحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؟ يلن قلبك، وتدرك حاجتك»^(٢).

وكافل اليتيم الذي يستحق هذا الثواب، وينال هذا الفضل؛ هو: القائم على تربيته، الحريص على رعاية مصالحه، المحسن إليه إيمانًا واحتسابًا: فهو يعامله معاملة أبنائه.

عن عبد الرحمن بن أبزى؛ قال: قال داود عليه الصلاة والسلام: «كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع تحصد»^(٣).

وعن أسماء بن عبيد؛ قال: قلت: لابن سيرين: عندي يتيم.

قال: «اصنع به ما تصنع بولدك: اضربه ما تضرب ولدك»^(٤).

التاسعة: رعاية أموال الأيتام لا تقتصر على حفظها وإيداعها إلى أن تصل إلى أيديهم عند سن البلوغ، بل تعني تنميتها وتثميرها رعاية لحقه حتى لا تأكلها الزكاة.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

(١) «شرح صحيح مسلم» (١١٣/١٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم (٢١٤/١) وهو حسن، وانظر «الصحيح» (٨٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٨)، «والبيهقي في شعب الإيمان» (٤٧٣/٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣٠/١١) بإسناد صححه شيخنا رحمته الله في «صحيح الأدب المفرد» (١٠٣).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٤٠) وصححه شيخنا رحمته الله في «صحيح الأدب المفرد» (١٠٤).



عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة»^(١).
عن القاسم قال: كانت عائشة تليني وأخالي يتيمين في حجرها؛ فكانت تخرج
من أموالنا الزكاة^(٢).

عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تعطي أموال اليتامى الذين في حجرها من يتجر
لهم فيها^(٣).

العاشرة: الحقوق العشرة لليتيم في القرآن:

عدّ القرآن الكريم عشرة حقوق لليتيم، تكفله، وتحميه، وترعاه حتى يبلغ
أشده، ويستين رشده:

١- تحريم أكل ماله: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾
[النساء: ٢]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

٢- تحريم نهره، وتجريم قهره: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

٣- وجوب إكرامه مادياً ومعنوياً دون عوض: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾
[الفجر: ١٧].

٤- تحريم دعه، وتجريم دفعه: ﴿أَرْءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّمِّ ﴿١﴾ فَذَلِكَ
الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١ و ٢].

(١) أخرجه أحمد في «مسائل ابنه عبد الله» (٧٤٤)، وأبو عبيد في «الأموال» (١٣٠١)، والدارقطني
(١١٠/٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٧/٤) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مالك (٦٤٢ - بتحقيقي)، وابن زنجويه في «الأموال» (١٨١٤) والشافعي في
«الأم» (٢٩/٢)، والبيهقي (١٠٨/٤) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٩/٣)، والشافعي في «الأم» (٣٠/٢) وأبو عبيد في «الأموال»
(١٣٠٧) بإسناد صحيح.

٥- وجوب إطعامه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، و ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُ رَقَبَةً ۝١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ - ١٥].

٦- حق الإيواء: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

٧- حفظ ميراثه حتى يبلغ أشده: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

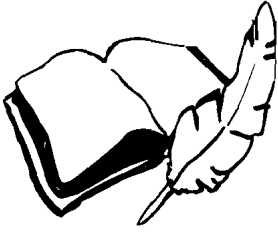
٨- حق الإحسان: ﴿وِبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]، و ﴿وَأَقِ الْمَالَ عَلَىٰ حَيْثُ ذُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧]، و ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

٩- حق القسط: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

١٠- حقهم في الفياء: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

وبالجملة؛ فاليتيم إذا فقد من يحميه؛ فإن الله يحميه، وإذا فقد أباه فكل المجتمع المسلم أباه... فهل يضيع بعد ذلك يتيم؟!... هذه عظمة الإسلام!!





الوصية السابعة:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

الوفاء بالكيل والميزان بالقسط وعدم نقصان الخلق حقوقهم وبخسهم أشياءهم في عموم حياتهم خير لمن عمل به في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمِيزِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥].

فإذا التزم كل فرد من الأمة بذلك استراح الجميع، وإلا كان الفساد العريض الذي يطيح بالجميع: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمِيزِ﴾ (١٨٣) ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣].

لكن الواجب في ذلك القدر المستطاع: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

وكما جاء في هذه الوصية التي اشتملت على جملة مسائل؛ منها:

الأولى: دلالتها في السباق:

قال البقاعي: «﴿وَأَوْفُوا﴾؛ أي: أتموا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ لأنها الحكم في

أموال الأيتام وغيرهم»^(١).

(١) «نظم الدرر» (٢/٧٤٢).



الثانية: دلالتها في السياق.

تألفت هذه الوصية في السياق العام للوصايا العشر من وجوه:

١- أن في إيفاء الكيل والميزان حفظ للأموال.

قال ابن عاشور: «الوصاية بإيفاء الكيل والميزان راجعة إلى حفظ مال المشتري في مظنة الإضاعة؛ لأن حالة الكيل والوزن حالة غفلة المشتري، إذ البائع هو الذي بيده المكيال أو الميزان، ولأن المشتري لرغبته في تحصيل الكيل أو الموزون قد يتحمل التطفيف، فأوصى البائع بإيفاء الكيل والميزان، وهذا الأمر قد يدل بفحوى الخطاب على وجوب حفظ المال فيها هو أشد من التطفيف، فإن التطفيف إن هو إلا مخالسة قدر يسير من المبيع، وهو الذي لا يظهر حين التقدير، فأكل ما أكثر من ذلك في المال أولى بالحفظ، وتجنب الاعتداء عليه»^(١).

٢- هذه الأوامر في المعاملات التجارية بين الناس، والسياق يربطها بالعقيدة؛

لأن المعاملات والأخلاق والسلوك لها ارتباط وثيق بالعقيدة.

وإنما يقع الفصل بين المعاملات والعقيدة في تصور المنحرفين عن البيضاء

النقية، المعرضين عن منهج الأنبياء في التلقي والاستدلال.

من ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن قوم شعيب: ﴿قَالُوا يَنْشِئِيبُ

أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ

لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

ولذلك؛ فهذا الربط بين قواعد التعامل في المال والتجارة والبيع والشراء وثوابت

الاعتقاد يدل على طبيعة هذا الدين، وأنه لا يفرق بين العقيدة والشريعة، وبين العبادة

والمعاملة في أنها كلها من شعائر الله الواجبة على العبد أن يدخل فيها كافة.

(١) «التحرير والتنوير» (٨/١٦٦).

الثالثة: الإيفاء بالكيل والميزان خير لفاعله، وأحسن عاقبة.

قال الإمام الشنقيطي: «وذكر في موضع آخر أن إيفاء الكيل والميزان خير لفاعله وأحسن عاقبة، وهو قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السِّتِّمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]»^(١).

الرابعة: عقوبة من تعمد نقص الكيل والميزان.

١- الوعيد الشديد بالويل في الآخرة

قال الإمام الشنقيطي: «ولم يذكر هنا عقاباً لمن تعمد ذلك، ولكنه توعدته بالويل في موضع آخر، ووبخه بأنه لا يظن البعث ليوم القيامة، وذلك في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٦]»^(٢).

إنها حرب من الله على المطففين الذين يتفاضون بضاعتهم وافية إذا كانوا مشترين، ويعطونها للناس ناقصة إذا كانوا بائعين... إنهم يتصرفون كأنه ليس هناك يوم حساب على أعمالهم في الحياة الدنيا، وكأن ليس هناك موقف رهيب بين يدي الله يوم توضع موازين القسط ليوم القيامة؛ ل يتم فيه الحساب والجزاء أمام العالمين.

٢- العذاب والتنكيل في الدنيا:

وقد تكون هذه الحرب في الحياة الدنيا حيث أهلك الله أمة من الأمم السابقة.

(١) «أضواء البيان» (٢/ ٢٨١).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٨١).

قال الحافظ ابن كثير: «كما توعد على تركه في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦] وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان. عن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والميزان «إنكم ولستم أمراً هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم» (١) (٢).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ قال: يا معشر الأعاجم! إنكم قد ابتليتم باثنتين؛ بهما هلك من كان قبلكم من القرون: المكيال، والميزان (٣).
٣- قطع الرزق ومنع القطر.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ما ظهر الغلول في قوم قط؛ إلا ألقى في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنى في قوم؛ إلا أكثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان؛ إلا قطع عنهم الرزق (وفي رواية: القطر)، ولا حكم قوم بغير الحق؛ إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر (وفي رواية: خفر) قوم بالعهد؛ إلا سلط الله عليهم العدو» (٤).

٤- القحط والغلاء وجور السلطان.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في

(١) أخرجه الترمذي (١٢١٧) بإسناد ضعيف جداً؛ فيه حسين بن قيس وهو متروك.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١٦٧/٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/٢٢١/٤٩٠٤) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه مالك (١٠٧٧ - بتحقيقي) بإسناد ضعيف لانقطاعه، ووصله البيهقي في «السنن

الكبرى» (٣/٣٤٦-٣٤٧)، وصححه شيخنا رحمته الله في «الصحيحة» (١/٢١٩).

قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقضوا المكيال والميزان؛ إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم؛ إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سلط عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(١).

٥- التطفيف في الميزان من الكبائر:

وسئل شيخ الإسلام رحمته الله عن ببخس الميكال والميزان؟

فأجاب: «أما ببخس المكيال والميزان، فهو من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب، وقص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن؛ لنعبر بذلك.

والإصرار على ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبه مستوجب تغليظ العقوبة، وينبغي أن يؤخذ منه ما ببخسه من أموال المسلمين على طول الزمان، ويصرف في مصالح المسلمين، إذا لم يمكن إعادته إلى أصحابه.

والكيال والوزان الذي ببخس الغير: هو ضامن محروم، مأثوم، وهو من أخسر الناس صفقة إذ باع آخرته بدنيا غيره، ولا يحل أن يجعل بين الناس كيالاً أو وزاناً ببخس أو مجابي، كما لا يحل أن يكون بينهم مقوم مجابي بحيث يكيل أو يزن

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٣٢٠ و ٨/٣٣٣ - ٣٣٤)، والحاكم (٤/٥٤٠) وغيرهم من طرق يقوي بعضها بعضاً.

وله شاهد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أخرجه الحاكم (٢/١٢٦)، والبيهقي (٢/٣٤٦)، والبخاري (٣٢٩٩)، وابن المنذر في الأوسط (١١/٣٢٦/٦٦٩٢)، وابن عبد البر في الاستذكار (١٤/٢١٢) بإسناد صحيح صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وشيخنا. وانظر «الصحيححة» (١٠٦ و ١٠٧).



أو يقوم لمن يرجوه أو يخاف من شره، أو يكون له جاه ونحوه؛ بخلاف ما يكيل أو يزن أو يقوم لغيرهم، أو يظلم من يبغضه، ويزيد من يحبه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، والله أعلم»^(١).

الخامسة: تحريض النفوس على مكارم الأخلاق:

قال ابن عاشور: «... فلذلك أمرهم بالوفاء، وعدل عن أن يأتي فيه بالنهي عن التطفيف؛ كما في قول شعيب: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤] إشارة إلى أنهم مأمورون بالحد الذي يتحقق فيه العدل وافيًا، وعدم النقص يساوي الوفاء، ولكن اختيار الأمر بالإيفاء اهتمامًا به؛ لتكون النفوس ملتفتة إلى جانب الوفاء لا إلى جانب ترك النقص.

وفيه تذكير لهم بالسخاء الذي يتمادحون به؛ كأنه قيل لهم: أين سخاؤكم الذي تنافسون فيه؛ فهلا تظهرونه إذا كلمتم أو وزنتم؛ فتزيدوا على العدل بأن توفروا للمكثال كرمًا بل أن تسرقوا حقه؛ وهذا تنبيه لهم على اختلال أخلاقهم، وعدم توازنها»^(٢).

السادسة: الأخذ بالأحوط يخرج العبد من الشك إلى اليقين:

قال أبو حيان: «﴿بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل والتسوية، وقيل: القسط هو هنا:

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٤٧٤-٤٧٥).

(٢) «التحرير والتنوير» (٨/ ١٦٥).



أدنى زيادة؛ ليخرج بها عن العهدة بيقين؛ لما روي: «إذا وزنتم فأرجحوا»^(١) «^(٢)».

السابعة: الواجب في الإيفاء القدر الممكن؛ لئلا تتعطل مصالح العباد ومنافع البلاد.

قال القرطبي: «وقال بعض العلماء: لما علم الله سبحانه من عباده أن كثيرًا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب للغير بما لا يجب عليها له؛ أمر المعطي بإيفاء رب الحق حقه الذي هو له، ولم يكلفه الزيادة؛ لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر صاحب الحق بأخذ حقه، ولم يكلفه الرضا بأقل منه؛ لما في النقصان من ضيق نفسه»^(٣).

وقال ابن عاشور: «ظاهر تعقيب جملة: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ بجملة ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أنها متعلقة بالتي وليتها؛ فتكون احتراसा؛ أي: لا نكلفكم تمام القسط في الكيل والميزان بالحبة والذرة، ولكننا نكلفكم ما تظنون أنه عدل ووفاء.

والمقصود من هذا الاحتراس: أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة؛ فيفضي ذلك إلى تعطيل منافع جمعة»^(٤).

الثامنة: لا يكلف الله ما لا يطاق.

إن الحديث عن الكيل والميزان والقسط فيها، يقتضي تقرير مبدأ القسط في التعامل عامة، وفي تبادل المصالح الاجتماعية كلها.

وقد أتبع هذا المبدأ بقاعدة من قواعد الإسلام الميسرة الرافعة للحرَج، وهي

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٢٢)، وصححه شيخنا الألباني.

(٢) «البحر المحيط» (٤/٢٥٣).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٣٦).

(٤) «التحرير والتنوير» (٨/١٦٥).



قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وذلك؛ لأن التبادل التجاري أو المصلحي كائناً ما كان، لا يمكن أن يتحقق على وجه كامل من المساواة والتعادل، فلا بد من تقبل يسير من الغبن في هذا الجانب أو ذلك، ومثل هذا يغتفر ويهون أمره، وعلى هذه القاعدة خرج كثير من المعاملات، التي أبيحت مع تضمنها معاني لو نظر إليها لحرمت، ومن هذا القبيل الرخص المستثناة دفعاً للخرج في التعامل.

قال الألوسي: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلا ما يسعها ولا يعسر عليها، والجملة مستأنفة جيء بها عقيب الأمر بإيفاء الكيل والميزان بالعدل للترخيص فيما خرج عن الطاقة؛ لما أن في مراعاة ذلك عما هو حرجاً مع كثرة وقوعه، فكأنه قيل: عليكم بها في وسعكم في هذا الأمر، وما وراءه معفو عنكم.

وجوز يكون جيء بها؛ لتهوين أمر ما تقدم في التكاليفات؛ ليقبلوا عليها؛ كأنه قيل: جميع ما كلفناكم به ممكن غير شاق، ونحن لا نكلف ما لا يطاق^(١).

وقال ابن عاشور: «ويجوز أن تكون جملة: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تذييلاً للجمل التي قبلها، تسجيلاً عليهم بأن جميع ما دعوا إليه هو في طاقتهم ومكنتهم^(٢).

التاسعة: إيفاء الكيل والميزان من الوفاء بالعهد.

وهذا صريح قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمِيقِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿[الإسراء: ٣٤ و ٣٥].
فالمناسبة بين إيفاء الكيل والوفاء بالعهد واضحة جلية في اللفظ والمعنى، فالإيفاء بالكيل والاستقامة والميزان أمانة في المعاملة، وإخلاص في القلب يستقيم

(١) «روح المعاني» (٨/٤١٤-٤١٥).

(٢) «التحرير والتنوير» (٨/١٦٦).

بها أمر المعاملات والمبادلات بين الناس، وتنمو بها الثقة في القلوب والنفوس، وتكتمل بها البركة في الحياة، وهذا هو الوفاء بالعهد.

وأما التطفيف في المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم؛ فصغار في النفس، وخيانة في التعامل، وغش تشمئز منه العقول، وغدر يندى له الجبين؛ حيث تزرع الثقة في محيط الجماعة المسلمة؛ فيتبعها كساد وفساد يرتد على الأفراد والأمم.

فالمعاملات المالية وبخاصة البيع والشراء من أركان حياة الإنسان الاجتماعية، للإنسان يقدر ما يحتاج إليه في حياته الضرورية بالكيل أو الوزن، وما يجب عليه أن يبذله في مقابله من الثمن. ثم يسير في حياته بانياً لها على هذا التقدير والتدبير، فإذا خانته الذي يعامله ونقص المكيال والميزان من حيث لا يشعر هو، يكون بذلك قد أفسد تدبيره، وأبطل تقديره، ويختل بذلك نظام معيشتة من الجهتين معاً: من جهة ما يقتنيه من لوازم الحياة بالاشتراء، ومن جهة ما يبذله من الثمن الزائد الذي يتعب نفسه في تحصيله بالاكتساب؛ فيسلب بهذا إصابة النظر وحسن التدبير في حياته، ويتخبط في حياته خبط العشواء، وهذا هو الفساد، وإذا شاع ذلك في مجتمع فقد شاع الفساد فيما بينهم، ولم يلبثوا دون أن يسلبوا الوثوق والاطمئنان، واعتماد بعضهم على بعض، ويرتحل بذلك الأمن العام من بينهم، وهو النكبة الشاملة التي تحيط بالصالح والطالح والمطفف والذي يوفي المكيال والميزان على حد سواء، ويصبح بذلك اجتماعهم اجتماعاً على المكر وإفساد الحياة، لا اجتماعاً على التعاون لسعادتها؛ قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَّزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمَسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٥].

فشعيب عليه الصلاة والسلام جاء لقوم احترفوا الفساد، وركبوا التجارة، وساروا بها في اتجاه النكبة الشاملة التي تحيط بالصالح والطالح، وذلك؛ لأن جشعهم امتد إلى غد الإنسان؛ فهم سرقوه في يومه، والذي سرق منه جزء يقيم



صلبه، ولكي يسترده لابد له من أن يضاعف من عمله كي يأتي بالثمن، وعندما يذهب ليشتري ما يقيم صلبه، يدفعه أهل الطمع والجشع إلى يوم آخر يتعب فيه ليس من أجل نفسه، ولكن من أجلهم، ومع هذا يأتي الفساد، ويسود الاضطراب، وترفع أعلام العسف والطغيان، وتفقد الإنسانية إنسانيتها، وشعيب عليه الصلاة والسلام جاء إليهم بمشعل الهدى الذي به يقيمون المجتمع الصالح الذي يعرف الإنسان فيه ما له وما عليه، وبين لهم أن القضية لم تكن يوماً من أجل أن يمتلك هذا أو ذلك المال الوفير؛ لأن السنن في كون الله لا تسمح لأحد من إنقاذ ثروته إذا جاء أمر الله.

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَفْقَهُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِن اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾

فَنَوَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ [الأعراف: ٨٥ - ٩٣].

وصدق من قال:

وشعيب من عند الإله مرسل وذكره في التوراة والقرآنا
دعا مدين قومه إلى طاعة المليك الديانا
خاطبهم الناس أشياءهم لا تبخسوا وأوفوا الكيل والميزانا
فعصوا قوله وأفسدوا فأنزل عليهم من السماء نيرانا

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَاقَوْمِ أَوفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَّوِطٍ مِنْكُمْ بِعَبِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَاقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ



يُخْرِيزِهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئْرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿١٤﴾ كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا ءَالَآ بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ [هود: ٨٤ - ٩٦].

العاشرة: وجوب ضبط السوق، وتنظيم المبادلات التجارية، والمعاملات الاقتصادية، فلم يترك رسول الله ﷺ كبيرة ولا صغيرة تضبط الأسواق، وتنظم المبادلات التجارية والمعاملات الاقتصادية بين الناس إلا ووضع لها نظامًا عجيبًا، ووضعه موضع التفعيل والتطبيق.

١- حرص الرسول ﷺ على استقرار الأسعار وعدم الاستغلال كان رسول الله ﷺ يرفض تسعير السلع، ويقول: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق»^(١).
٢- إيفاء الكيل والميزان:

وهذا من المبادئ التي أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته؛ كقوله تعالى:
﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السِّتِّمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا أَلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

وهذا هو الاقتصاد التطبيقي؛ حيث تتحقق العدالة والحق، ويمنع الغش والغبن والفساد.

٣- توحيد الوزن والكيل:

قال ﷺ: «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٤٠)، والنسائي (٧/٢٨١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بإسناد صحيح. وانظر «الصحيحة» (١٦٥).

الحادي عشر: العدل مبدأ شرعي، وأصل إيماني في جميع مبادئ الدين:

وهذه الوصية هي مبدأ العدل، وكل مجتمع محتاج إليها، فالناس لابد لهم من التعامل، ولابد لهم من التبادل، والكيل والوزن هما وسيلة ذلك، فلا بد من أن يكونا منضبطين بالقسط.

ومثل ذلك كل تعامل ولو لم يوزن البدل فيه أو يضبط بالكيل، فيجب أن يكون الأساس هو إعطاء الحق، وأخذ الحق، أما من يريد أن يأخذ لنفسه كل ما استطاع، ولا يعطي في مقابل ذلك كل ما عليه أن يعطيه، فإنه من المطففين الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون.

ولذلك يستعمل القرآن «العدل» وأخواته «كالقسط»، كما يلجأ إلى تصوير عملية العدل بالميزان الذي لا يفلت مثقال حبة، والكيل الذي يجب أن يستوفى، ويبعد عن التطفيف؛ كما في الآيات الآتية:

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:

[٤٢].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضَى بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٧].

﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [هود: ٨٥].

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ اسْمُ السَّيْقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥].



﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَابِثِينَ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨ و ٩].

﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ [الرحمن: ٧ و ٨].
 ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿ وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين: ١ - ٥].
 ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ و ٨].

وثمة آية تشخص أمامها الأبصار، وتتشعر لها الجلود:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وتدبر القرآن الكريم وهو يصف الله تعالى: ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾.

ما من تقدير للعدل والقسط يمكن أن يسامي هذا، أو يوازيه، أو يوازنه!





الوصية الثامنة:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

بين الله سبحانه وتعالى أن لكل شيء وضعا يقتضيه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣ و٢]، ولذلك يجب وضع الأمور مواضعها، ورعاية ذلك وعدم الانحراف إلى جانب الإفراط والتفريط؛ وهذا هو العدل شرعاً وعقلاً وعرفاً وفطرة.

والله سبحانه هو العدل القائم بالقسط: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقيامه سبحانه بالقسط يشمل العدل المطلق في جميع مراتبه وأحواله في الخلق والتكوين والحكم والتشريع والجزاء والعقاب.

وكما أنه سبحانه حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً؛ فقد أمرهم بالعدل وأوجه بينهم في جميع أقوالهم وأفعالهم وأموالهم؛ كما في هذه الوصية الجامعة التي حوت جملة من المسائل؛ منها:

الأولى: دلالتها على السباق:

لما أمر الله بالعدل في الأفعال؛ كحفظ أموال اليتامى، وإيفاء الكيل والميزان أتبعه بالعدل في الأقوال؛ فتم بذلك ميزان العدل الذي أمر الله به: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعِظْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿[النحل: ٩٠].﴾

الثانية: دلالتها على السياق:

الوصايا الأربع في هذه الآية تعالج مزلات الضعف البشري، فالأمر بحفظ أموال اليتامى أمر بإنصاف هؤلاء الضعفاء الذين فقدوا الأب الحاني، والوالد الحامي؛ فضعفهم يغري الناس بهم؛ فأمر الله المجتمع ألا يستغل ضعفهم؛ فيظلمهم، ويتلاعب بهم.

والأمر بإيفاء الكيل والميزان أمر بإعطاء كل ذي حق حقه؛ فكما أنك تحامي عن حقك حتى تستوفيه؛ فلا تبخس الناس حقوقهم لقدرتك على ذلك، أو مراوغتك، أو مخادعتك لهم.

والأمر بالعدل في الأقوال ولو على ذوي القربى يعالج الضعف البشري الذي يجعل شعور الفرد بالقرابة هو شعور التناصر؛ فالفرد ضعيف بنفسه؛ قوي بقرابته؛ فيشعر أن قرابته سند لضعفه، وفي امتدادها ضمان لاستمراره، وفي نصرتها حصانة لاستقراره، ومن هنا يشعر بالضعف تجاه ذوي قرابته حين يقف موقف الشهادة لهم، أو عليهم، أو الحكم بينهم وبين الناس... ومن هنا جاءت هذه الوصية لتسمو بالفرد ليقول الحق، ويحكم بالعدل ولو على نفسه، أو ذوي قرابته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

الثالثة: وخص العدل في القول مع أن العدل مطلوب في كل أمر، وواجب في الأقوال والأفعال وجميع التصرفات؛ فلا تستقيم حياة الناس بدونها، وذلك للوجوه الآتية:

أ- العدل أكثر ما يمكن أن يكون في الأقوال؛ كالشهادات، والحكم.

ب- الأفعال قبل أن تقع يسبقها أقوال تراود صاحبها، ويتحدث بها في نفسه، ثم يوقعها بجوارحه.

ت- العدل في الأقوال أدق وأشق.

ث- العدل في القول مفتاح كل خير، فإذا عدل العبد في أقواله علم الحق، ورحم الخلق، واتبع الرسول ﷺ، واجتنب مسالك أهل البدع والأهواء.

الرابعة: والعدل في القول والشهادة به مطلوب ولو على النفس؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

وهذا المقام المحمود من الصفات الفريدة لأمة الإسلام، والذي أنشأها نشأة أخرى، وبعثها من مرقدها بعثًا جديدًا حيث جند النفس البشرية لتواجه ذاتها، وعواطفها تجاه ذاتها، وتمقت نفسها في ذات الله ﷻ.

فتقوم بالعدل، وتشهد بالقسط ولو على نفسها، ولذلك قال: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾، وهو تعبير قرآني يقتضي أمرين:

١- أن يروض العبد نفسه على العدل، ويفطمها عن شهواتها، فإنه لا يذهب بالعدل إلا الشهوة، ويكبحها عن عواطفها؛ فإنه لا يقتل العدل إلا الهوى، ولذلك قال تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

٢- من كان قوامًا بالقسط، شاهدًا للحق بالعدل؛ استحق أن يكون من الأمة المختارة التي تنشر العدل، وترفع لواءه، فلا تترك ظالمًا يرتع، ولا مظلومًا يخضع؛

فأمة العدل قوامه بالعدل.

ولقد مارس جيل القدوة الأول هذا المقام، وأبلى فيه بلاء حسنًا.

١ - قصة معاذ بن مالك رضي الله عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: أتى رجل من أسلم رسول الله ﷺ، وهو في المسجد؛ فناداه، فقال: يا رسول الله! إن الآخر قد زنى - يعني نفسه -، فأعرض عنه، فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله. فقال: يا رسول الله إن الآخر قد زنى، فأعرض عنه، فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله. فقال له ذلك؛ فأعرض عنه؛ فتنحى له الرابعة، فلما شهد على نفسه أربع شهادات؛ دعاه؛ فقال: «هل بك جنون؟». قال: لا، فقال النبي ﷺ: «اذهبوا به فارجموه» وكان قد أحصن^(١).

وعن بريدة رضي الله عنه: جاء معاذ بن مالك إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! طهرني. فقال: «ويحك ارجع، فاستغفر ربك، وتب إليه» قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك ارجع؛ فاستغفر الله، وتب إليه» قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني. فقال النبي ﷺ مثل ذلك. حتى إذا كانت الرابعة فقال له رسول الله: «فيم أطهرك؟» فقال: من الزنا، فسأل رسول الله ﷺ: «أبه جنون؟» فأخبر أنه ليس به جنون، فقال: «أشرب خمراً؟» فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزيت؟» قال: نعم، فأمر به فرجم، فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك؛ لقد أحاطت به خطيئته. وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة معاذ؛ إنه جاء إلى النبي ﷺ؛ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة.

قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ، وهم جلوس،

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧١).

فسلم، ثم جلس.

فقال: «استغفروا لما عزر بن مالك».

قال: قالوا: غفر الله لما عزر بن مالك.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم»^(١).

٢- قصة المرأة الغامدية:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ، وهي حبلية من الزنا، فقالت: يا نبي الله أصبت حدًا؛ فأقمه علي، فدعا نبي الله وليها، فقال: «أحسن إليها؛ فإذا وضعت؛ فأتني بها»، ففعل. فأمر بها رسول الله ﷺ فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: أتصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لو سعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عجل»^(٢).

٣- رجوع يزيد بن صهيب الفقير؛ قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس. قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم - جالس إلى سارية - عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين. قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله! ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] و﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ؟ - يعني الذي يبعثه الله فيه - قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ

(١) أخرجه البخاري (١٦٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٦).

المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط، ومَرَّ الناس عليه. قال: أخاف أن لا أكون أحفظ ذلك. قال: غير أنه قد زعم: أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم. قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس. فرجعنا فقلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا، فلا والله! ما خرج منا غير رجل واحد^(١).

٤- عبيد الله بن الحسن العنبري كان من ثقات أهل الحديث، وكبار أئمة أهل السنة؛ إلا أن الناس رموه بأنه يقول: كل مجتهد من أهل الأديان مصيب؛ فكفره بعض أهل العلم.

ثم رجع إلى الحق؛ لما تبين له، وقال: «إذا أرجع وأنا صاغر؛ لأن أكون ذنبًا في الحق أحب إليّ من أن أكون رأسًا في الباطل»^(٢).

٥- أبو الحسن الأشعري لبث في مذهب الاعتزال أربعين سنة حتى صار إمامًا، ثم جلس في داره خمسة عشر يومًا، ثم خرج إلى المسجد، وصعد المنبر، وقال: معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة؛ لأني نظرت، فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى، فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده؛ كما انخلعت من ثوبي هذا.

وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به، ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة إلى الناس^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١٩١).

(٢) الاعتصام (١/٢٥١).

(٣) انظر «تبيين كذب المفتري» (ص ٥٠)، و«طبقات الشافعية» (٣/٣٤٧).

وقوافل الرجاعين إلى الحق لا تحصى ولا تعد، مما يدل على أن قول الحق ولو على النفس من ثوابت هذا الدين المبين، ومقومات المنهج السني الرصين:
فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك: أن ترجع فيه إلى الحق؛ فإن الحق قديم، والرجوع إلى الحق أولى من التماذي في الباطل»^(١).

وعن عمرو بن مهاجر؛ قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع يدك في تلايبي، ثم هزني، ثم قل لي: ماذا تصنع؟»^(٢).

الخامسة: العدل مطلوب مع الأعداء والخصوم.

وقد أمر الله بالعدل حتى مع الأعداء من الكفار. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وكذلك مع الخصوم من الفئة الباغية: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اٰقْتَلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۚ إِن بَغْتِ إِحْدَهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وهكذا بعد أن رَوَّض الإسلام نفوس أتباعه على الحق، والرجوع إليه، والقيام به ولو على أنفسهم، فها هو يرفعهم إلى مقام أسمى؛ فينهاهم أنه يحملهم عداة قوم، أو بغض آخرين: أن يميلوا عن العدل... إنه مقام يتجاوز عدم الاعتداء إلى إقامة العدل مع الشعور بالعداء والكره والبغض... وهذا مقام لا يتسنمه إلا من تعامل مع الله مباشرة، ولذلك قال: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بخلاف

(١) أخرجه الدارقطني (٢٠٦/٤)، والبيهقي (١١٩/١٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٩٢/٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٠٤/٤).



آية النساء: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ لأن مقام العدل مع الأعداء مع قيام الكره والبغض أشق من مقام العدل على النفس؛ فهو مقام إيجابي يحمل النفس على مباشرة العدل والقسط مع المبعوضين.

هذه المقومات كان الإسلام هو دين الحق العالمي حيث كفل العدل للناس جميعاً وفي كل الأحيان والأحوال.

وهذه القيم العليا الإسلامية ليست خيالاً أو مثلاً، بل مارستها الأمة المختارة في واقع الناس.

١- كان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى خيبر، فيحرص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حلياً من حلي نساءهم، فقالوا: هذا لك، وخفف عنا، وتجاوز في القسم. فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر اليهود! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي! وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة؛ فإنها سحت، وإنا لا نأكلها. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض^(١).

٢- عن يحيى الغساني؛ قال: لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها، فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبا، فكتبت إليه أعلمه حال البلد وأسأله: آخذ الناس بالظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة، وما جرت عليه السنة؟ فكتب إلي عمر: أن آخذ الناس بالبينة، وما جرت عليه السنة؛ فإن لم يصلحهم الحق؛ فلا أصلحهم الله.

(١) أخرجه مالك (١٥١٤ - بتحقيقي) مرسلًا.

وله شواهد من حديث جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وعائشة، وابن عباس رضي الله عنهم، وهو بها صحيح.

قال يحيى: فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد، وأقلها سرقة ونقباً^(١).

السادسة: هذه الوصية تجعل العبد في سعة من السكوت إن خشي قول العدل.

قال ابن عاشور: «وفي التعليق بأداة الشرط في قوله: «وإذا قلت» إشارة إلى أن المرء في سعة من السكوت إن خشي قول العدل. وأمّا أن يقول الجور والظلم والباطل فليس له سبيل إلى ذلك، والكذب كلّ من القول بغير العدل، على أن من السكوت ما هو واجب»^(٢).

السابعة: في المعارض مندوحة عن الكذب:

قال ابن عاشور: «وقد جاء طلب الحق في القول بصيغة الأمر بالعدل، دون النهي عن الظلم أو الباطل؛ لأنه قيده بأداة الشرط المقتضي لصدور القول: فالقول إذا صدر لا يخلو عن أن يكون حقاً أو باطلاً، والأمر بأن يكون حقاً أو في بمقصد الشارع لوجهين:

أحدهما: أن الله يجب إظهار الحق بالقول، ففي الأمر بأن يكون عدلاً أمر بإظهاره، ونهي عن السكوت بدون موجب.

الثاني: أن النهي عن قول الباطل أو الزور يصدق بالكلام الموجه الذي ظاهره ليس بحق، وذلك مذموم إلا عند الخوف أو الملاينة، أو فيما لا يرجع إلى إظهار حق، وتلك هي المعارض التي ورد فيها حديث: «إن في المعارض لمندوحة عن

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١/١٧٨).

(٢) «التحرير والتنوير» (٨/١٦٧).

الكذب»^(١)»^(٢).

الثامنة: والأمر بالعدل في الأقوال تنبيه على خطورة اللسان، ووجوب استقامته.

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله:

«وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان؛ فإنه ترجمان القلب، والمعبر عنه.

ولهذا لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة؛ وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه.

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»^(٣).

وعن أبي سعيد مرفوعاً وموقوفاً: «إذا أصبح آدم؛ فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان؛ فتقول: اتق الله فينا؛ فإننا نحن بك؛ فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»^(٤)»^(٥).

التاسعة: وجوب العدل في الرضا والغضب.

ولما كان وجوب العدل لا ينفك عن العبد، والقيام به مطلوب على كل حال؛ فقد جاء مدحه في حال الرضا والغضب حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله بذلك.

(١) هذا الحديث ضعيف مرفوعاً وانظر - تفضلاً - «السلسلة الضعيفة» لشيخنا الإمام الألباني رحمته الله (١٩٠٤) والصواب: أنه موقوف على عمر رضي الله عنه، وانظر - غير مأمور - كتابي: «عجالة الراغب المتمني» (٣٣٨).

(٢) «التحرير والتنوير» (١٦٨/٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٨/٣) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٩٥-٩٦/٣) بإسناد حسن.

(٥) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ٣١٢-٣١٣).

عن عطاء بن السائب، عن أبيه؛ قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة، فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة! فقال: أما عن ذلك؛ فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم - هو أبي غير أنه كنى عن نفسه - فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي. اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»^(١).

وسماه رسول الله ﷺ: كلمة الإخلاص؛ لأنه لا يقدر على هذا المقام إلا المخلصون.

عن قيس بن عباد، قال: صلى عمار بن ياسر بالقوم صلاة فأخفها، فكأنهم أنكروها، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قال: أما إني دعوت فيها بدعاء كان النبي ﷺ يدعو به: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرّة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بالقضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة، وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»^(٢).

(١) أخرجه النسائي (٣/ ٥٤-٥٥) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه النسائي (٣/ ٥٥) بإسناد صحيح.

وبما أنه قد اجتمع في هذا المقام: الإخلاص، والحق، والعدل؛ فلذلك كان من المنجيات.

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال صلى الله عليه وسلم: ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات:

فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلن، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والغضب»^(١).

العاشرة: أمة الإسلام هي أمة العدل.

من أعظم مقومات أمة الإسلام العدل الذي قامت به السماوات والأرض، ولذلك أمر الله به في القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وفي العمل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وفي كل شيء: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

وأمر به في كل الأشخاص؛ بدأ بالنفس: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، ومرورًا بالوالدين والأقربين: ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، وانتهاءً بالمخالف المجاني المبغض: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «بل العدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال، والظلم لا يباح شيء منه بحال»^(٢).

(١) مضي تخريجه (ص ١٣٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٠/٣٣٩).

ولذلك أطلق الله ﷺ الأمر به؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

فهذه الأمة أمة العدل بالذات؛ لأنها تعرفه، وهديت إليه، وبه يحكمون. لقد أعطى الله هذه الأمة العدل ليس مبادئ عامة، ولكن أحكامًا تفصيلية... كيف تعدل في بيتك، وفي عملك، وفي ولايتك إذا كنت حاكمًا، أو قاضيًا؟ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور؛ عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(١).

عن معقل بن يسار رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته؛ إلا حرم الله عليه الجنة»^(٢). ولذلك؛ فأمة الإسلام هي المؤهلة نقلًا، وعقلًا، وفضرة، وقدراً، وعرفاً لتملأ العالم عدلاً كما ملئ ظلمًا وجورًا.

أما أمم الغرب، فلا شيء عندهم يقدمونه للبشرية؛ إن أفضل ما يتبجحون به هو ما يزعمون من الديمقراطية... وأي عدل في ديمقراطية يتحكم بها رأس المال؟ فتشترى فيها الذمم، وتباع فيها الأديان والإيمان بعرض من الدنيا قليل.

إن الإنسان الذي لا يملك مالا، وبالتالي لا يملك نفقات الحملة الانتخابية لا يمكن أن يرشح نفسه؛ إذاً لن يصل إلى شيء في هذا العالم... فديمقراطية الدول الغربية على قدر مكانة الإنسان الاجتماعية، وقدرته المالية... فأين العدل فيها؟! وديمقراطية الاتباع الذين يلهثون وراء الغرب، ويتغنون بإنجازاته التي تقوم

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).



على التزوير من ألفها إلى يائها أي عدل فيها؟!!

لكن ما أشبه اليوم بالبارحة... لقد كان العرب في جاهليتهم يتغنون بعدل كسرى.. هذا العدل الذي لم يشموا رائحته.. ولم يشملهم يوماً واحداً حتى قالوا لما قتل:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرارته

كما نجد كثيرًا من الحكام والشعوب والأحزاب والحركات يتغنون بعدل أمريكا، وديمقراطية أوروبا، ويفرحون بها مع أنها لم تشملهم، ولن تشملهم في يوم بخيرها إن كان فيها خير؛ بل إنها لن تتركهم وشأنهم... لقد تغنى الجاهليون القدماء وأتباعهم من المعاصرين بعدل ليس لهم، وعدل لا ينالهم منه شيء... ولن يبصروا الحقيقة حتى يأتي أمر الله، وبسود هذا الدين العظيم مشارق الأرض ومغارها، وبلغ بإذن الله ما بلغ الليل والنهار^(١)... يومئذ ينسيهم ديمقراطية الغرب التي هي كسراب بقية يحسبه الظمان ماء... كما أنساهم عدل عمر بن الخطاب عدل كسرى وآل كسرى.

أتى عمر فأنسى عدل كسرى كذلك كان عهد الراشدين

وجاء من بعده عمر بن العزيز؛ فأثبت للعالم أن العدل عند المسلمين ليس قضية أشخاص يمارسون العدل بل هو قضية أمة، ورسالة دين.

ولا يزال التاريخ يذكر عمر بن عبد العزيز عندما أمر أحد قادته بالخروج من مدينة فتحها بعدما صالح أهلها؛ فعلم أهلها أن المسلمين أمة الحق والعدل، وأنهم لا يقرون الظلم، فأرسلوا رسولاً إلى عمر بن عبد العزيز، وقال له: بلغنا عنكم العدل، وقد صالحنا قائدكم ثم غدر بنا، وفتح بلدنا... فلما تبين لعمر بن عبد العزيز

(١) انظر - تفضلاً - كتابي: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام».

صدقهم أمر قائده أن يخرج من المدينة... فلما خرج المسلمون من المدينة، ورأى أهلها ذلك عياناً؛ عجبوا لهذا العدل، ودخلوا في دين الله أفواجا.

ولا يزال التاريخ يذكر عدل نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي مع أعدائهم من الصليبيين الغزاة.

ولا يزال الأمر حتى تأتي الخلافة الراشدة الثانية آخر الزمان؛ لتملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ تصديقاً بموعود رسول الله ﷺ.

عن معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي ﷺ: «لتملأن الأرض جوراً وظلماً؛ فإذا ملئت جوراً وظلماً؛ بعث الله رجلاً مني: اسمه اسمي؛ فيملؤها قسطاً وعدلاً؛ كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ؛ قال: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي، أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً؛ كما ملئت ظلماً وعدواناً»^(٢).

حادي عشر: من مقتضيات العدل:

وإذا كان لا بد من العدل؛ لأنه مفتاح الحق، وجامع كلمة الصدق، والمؤلف بين القلوب؛ فلا بد للعبد أن يتحرى الوصول إليه، والقيام بحقه ما استطاع سبيلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «مع أن الاعتدال المحض السالم من الإخلاص لا سبيل إليه، لكن الأمثل فالأمثل؛ فهكذا صحة القلب وصلاحه في

(١) أخرجه البزار (ص ٢٣٦ - ٢٣٧ - زوائد ابن حجر)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٦٥/٢) وانظر «الصحيحة» (١٥٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٦)، والحاكم (٤/٥٥٧) بإسناد صحيح.



العدل ومرضه من الزيف والظلم والإعراض. والعدل المحض في كل شيء متعذر علمًا وعملاً، ولكن الأمثل فالأمثل.

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والله تعال أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليقوم الناس بالقسط، وأعظم القسط عبادة الله وحده لا شريك له، ثم العدل على الناس في حقوقهم، ثم العدل على النفس^(١).

وحتى يصل العبد إلى مرحلة الأمثل فالأمثل، وتكون طريقته الطريقة المثلى في العدل؛ فلا بد من مراعاة أمور:

١- التثبت من الأمر قبل الخوض فيه أو الحكم عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومما يدل على أن المراد من هذه الآية ما ذكرنا؛ فقد تقدمها أمران الجامع بينهما العدل: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السِّبْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥].

هذه هي دعوة الإسلام التي تشمل أدق منهج علمي عرفته البشرية: إنه التثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها.

٢- العدل في النقد، ومعالجة الأخطاء وبخاصة ما يتعلق بمزلق العلماء، وهفوات ذوي العثرات ممن كثرت أياديهم البيضاء في خدمة الإسلام، ونشر علوم

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٩٩).

الكتاب والسنة.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير - وكلنا فارس - قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين»، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ: فقلنا: الكتاب. فقالت: ما معنا كتاب، فأخذناها، فالتسمنا فلم نر كتابًا. فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ؛ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجذ أهوت إلى حجزتها وهي محتجرة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلاضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟». قال: حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ﷺ؛ أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: «صدق، ولا تقولوا له إلا خيرًا» فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلاضرب عنقه. فقال: «أليس من أهل بدر». فقال: «لعل الله اطلع على أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم^(١).

من هذه الحادثة وأشباهاها يمكن تلخيص الخطوط العريضة لهدي الرسول

ﷺ في معالجة الخطأ:

أ- التثبت من وقوع الخطأ، وقد تم التثبت في هذه الحادثة عن طريق أوثق

مصادر التثبت:

أولاً: الوحي؛ حيث أوحى الله إلى رسوله ﷺ بخبر الرسالة والمرسل

والرسول، وحدد له موقع ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٢).

ثانياً: ضبط الرسالة وإحضار الرسول ومواجهة المرسل مع وجود الشهود الأثبات على ذلك.

ثالثاً: اعتراف المرسل، والاعتراف سيد الأدلة.

ب- التحري عن الدوافع إلى الخطأ، وتبين الأسباب الحقيقية وراءه، وذلك واضح في سؤاله ﷺ لحاطب: «ما حملك على ما صنعت؟».

ت- النظر في حال صاحب الخطأ؛ فإن كان من السابقين والعلماء الراسخين وأهل السنة الصادقين؛ فإن خطأه مغمور في بحر حسناته.

قال الإمام ابن قيم الجوزية:

«... من قواعد الشرع والحكمة أيضاً: أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر؛ فإنه يحتمل له ما لا يحتمل من غيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل؛ فإنه يحمل أدنى خبث.

ومن هذا قول النبي ﷺ: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر ﷺ: أنه شهد بدرًا؛ فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتيب أثره عليه ماله من المشهد العظيم، فوَقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ماله من الحسنات.

ولما خص النبي ﷺ الصدقة؛ فأخرج عثمان رضي الله عنه تلك الصدقة العظيمة؛ قال: «ما ضر عثمان ما عمل بعدها».

وقال لطلحة لما تطأطأ للنبي ﷺ حتى صعد على ظهره إلى الصخرة: «أوجب طلحة».

وهذا موسى كلیم الرحمن ألقى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه له؛ ألقاها على الأرض حتى تكسرت، ولطم عين ملك الموت ففقاها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في النبي ﷺ، وأخذ بلحية هارون وجره إليه وهو نبي، وكل هذا لم ينقص من قدره شيئاً عند ربه، وربّه تعالى يكرمه ويحبه، فإن الأمر الذي قام به موسى، والعدو الذي برز له، والصبر الذي صبره، والأذى الذي أودى به في الله أمر لا تؤثر فيه مثل هذه الأمور، ولا تغير في وجهه، ولا تخفي منزلته، وهذا أمر معلوم عند الناس، مستقر في فطرتهم: أنه من له ألوف من الحسنات؛ فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه، فيغلب داعي الشكر على داعي العقوبة. كما قال:

إذا الحبيب جاء بذنب جاءت محاسنه بألف شفيع

وقال آخر:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن كثير

والله سبحانه يوازن يوم القيامة بين حسنات العبد وسيئاته؛ فأيهما غلب كان التأثير له: فيفعل بأهل الحسنات الذين أثروا محابه ومراضيه، وغلبتهم دواعي طبعهم أحياناً من العقود والمسامحة ما لا يفعله مع غيرهم»^(١).

٣- الفرح بإصابة الآخرين للحق:

قال الحافظ بن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وقد استحسّن الإمام أحمد ما حكى عن حاتم الأصم: أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرك أحد إلا قطعته؛ فبأي شيء تغلب خصمك؟ فقال: بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوؤه أو معنى هذا. فقال أحمد: ما أعقله

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/١٩٢).

من رجل»^(١).

٤ - الشهادة للمحسن بإحسانه وللمسيء بإساءته:

وحياة السلف مليئة بمواقفهم التي تدل على تحري العدل مع المحسن والمسيء، ومن ذلك:

أ- عن عبد الرحمن بن شماس؛ قال: أتيت عائشة أسأها عن شيء. فقالت: من أنت؟ فقال: رجل من أهل مصر. فقالت: كيف صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً؛ إن كان ليموت للرجل منا البعير، فيعطيه البعير، والعبد، فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة. فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي: أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم! من ولي من أممي شيئاً، فشق عليهم؛ فاشقق عليه، ومن ولي من أممي شيئاً؛ فرفق بهم؛ فارفق به»^(٢).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ معلقاً على هذا الموقف: «وفيه ينبغي أن يذكر فضل أهل الفضل، ولا يمنع منه سبب عداوة ونحوها»^(٣).

قال الحافظ بن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يذكر إسحاق بن راهويه ويمدحه ويثني عليه، ويقول: وإن كان يخالف في أشياء، فإن الناس لم يزل بعضهم يخالف بعضاً.

وكان كثيراً ما يعرض عليه كلام إسحاق وغيره من الأئمة، ومأخذهم من أقوالهم، فلا يوافقهم في قولهم، ولا ينكر عليهم أقوالهم ولا استدلالهم، وإن لم يكن

(١) «الفرق بين النصيحة والتعبير» (ص ٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٢١٢/٢١).

هو موافقاً على ذلك كله»^(١).

٥- سلامة القلب:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

[الشعراء: ٨٨ و ٨٩].

عن عوف الأعرابي قال: سألت محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟

قال: «الناصح لله عز جل في خلقه»^(٢).

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة،

وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «ورواه ابن حبان في «صحيحه» وزاد: فكان جرير

إذا اشترى أو باع يقول لصاحبه: اعلم أن ما أخذناه منك أحب إلينا مما أعطيناك؛

فاختر»^(٤).

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «المشهد السادس: مشهد السلامة ويرد

القلب، وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه، وذاق حلاوته.

وهو: أن لا يشغل قلبه وسره بما ناله من الأذى، وطلب الوصول إلى درك

ثأره، وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك.

ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له، وألذ وأطيب، وأعون على

مصالحه؛ فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده، وخير له منه، فيكون

بذلك مغبوناً، والرشيد لا يرضى بذلك، ويرى أنه من تصرفات السفیه.

(١) «الفرق بين النصيحة والتعير» (ص ٣١-٣٢).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩١ / ١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧).

(٤) «فتح الباري» (١ / ١٣٧).

فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس، وإعمال الفكر في إدراك الانتقام»^(١).

وكتب شيخ الإسلام إلى إخوانه وتلاميذه بدمشق قائلاً: «... وتعلمون أن من القواعد العظيمة، التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة؛ والاتلاف، وتنهاى عن الفرقة والاختلاف.

وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة؛ كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة... وأول ما أبدأ به من هذا الأصل: ما يتعلق بي، فتعلمون -رضي الله عنكم:- إني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين - فضلاً عن أصحابنا - بشيء أصلاً، لا باطنياً ولا ظاهراً، ولا عندي عتب على أحد منهم، ولا لوم أصلاً، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال، والمحبة، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان، كل بحسبه. ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهداً مصيباً، أو مخطئاً، أو مذنباً، فالأول مشكور. والثاني مع أجره على الاجتهاد؛ فمغفو عنه، مغفور له. والثالث: فالله يغفر لنا وله، ولسائر المؤمنين.

فنتطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل؛ كقول القائل: فلان قصر، فلان ما عمل، فلان أوذي الشيخ بسببه، فلان كان سبب هذه القضية، فلان كان يتكلم في كيد فلان، ونحو هذه الكلمات التي فيها مذمة لبعض الأصحاب والإخوان؛

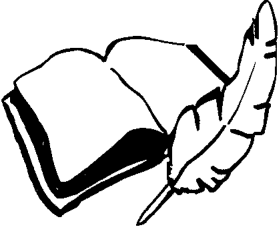
(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٠).



فإني لا أسامح من آذاهم من هذا الباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
مثل هذا يعود على قائله بالملام، إلا أن يكون له من حسنة، وممن يغفر الله له
إن شاء الله، وقد عفا الله عما سلف.
فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي، أو ظلمه وعدوانه؛ فإني قد
أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما
أحبه لنفسي.
والذين كذبوا وظلموا منهم في حلّ من جهتي»^(١).



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٥١-٥٥) باختصار.



الوصية التاسعة:

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾

الوفاء بالعهد من مكارم الأخلاق التي لا يحافظ عليها إلا أصحاب النفوس الشريفة، فهو أمانة على سمو النفس، وحسن الخلق، ولذلك؛ فهو يعطي للحياة معنى عظيمًا، ويضفي عليها مذاقًا رائعًا؛ يجد الناس طعمه في كل معاملاتهم؛ لأنه من أسس بناء المجتمع، واستقامة الحياة.

ولذلك أمر الله به أمرًا عامًا؛ كما في هذه الوصية التي تنضح بجملته مسائل؛ منها:

الأولى: مناسبتها للسباق والسياق.

ثم ختم هذه الوصايا الأربع بالعهد؛ لجمعه الكل في القول والفعل؛ فمن عهد الله: قوله الحق والعدل ولو كان ذا قربي، ومن عهد الله: توفية الكيل والميزان بالقسط، ومن عهد الله: ألا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن و... وقبل ذلك كله عهد الله الأكبر المأخوذ على بني آدم وهم في ظهور آبائهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهُكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْتَطُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].



الثانية: عهد الله هو كل ما على الإنسان وله.

قال ابن عاشور:

«ختم هذه المتلوات بالأمر بإيفاء العهد بقوله: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾، وعهد الله المأمور بالإيفاء به هو كل عهد فيه معنى الانتساب إلى الله الذي اقتضته الإضافة، إذ الإضافة هنا يصح أن تكون إضافة المصدر إلى الفاعل؛ أي: ما عهد الله به إليكم من الشرائع، ويصح أن تكون إضافة المصدر إلى مفعوله؛ أي: ما عاهدتم الله أن تفعلوه، والتزمتموه وتقلدتموه، ويصح أن تكون الإضافة لأدنى ملابسه؛ أي: العهد الذي أمر الله بحفظه، وحذر من ختره، وهو العهود التي تنعقد بين الناس بعضهم مع بعض سواء كان بين القبائل أم كان بين الآحاد.

ولأجل مراعاة هذه المعاني الناشئة عن صلاحية الإضافة لإفادتها عدل إلى طريق إسناد اسم العهد إلى اسم الجلالة بطريق الإضافة دون طريق الفعل، بأن يقال: وبما عاهدتم الله عليه، أو نحو ذلك ما لا يحتمل إلا معنى واحداً.

وإذ كان الخطاب بقوله: ﴿تَعَالَوْا﴾ للمشركين تعين أن يكون العهد شيئاً قد تقررت معرفته بينهم، وهو العهود التي يعقدونها بالموالاة والصلح أو نحو ذلك؛ فهو يدعوهم إلى الوفاء بما عاقدوا عليه.

وأضيف إلى الله؛ لأنهم كانوا يتحالفون عند التعاقد، ولذلك يسمون العهد حلفاً؛ قال الحارث بن حلزة:

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء

وقال عمرو بن كلثوم:

ونوجد نحن أمنعهم ذماراً وأوفاهم إذا عقدوا يميناً

فالآية آمرة لهم بالوفاء، وكان العرب يتهادحون به.

ومن العهود المقررة بينهم: حلف الفضول، وحلف المطيين، وكلاهما كان في الجاهلية على نفي الظلم والجور عن القاطنين بمكة، وذلك تحقيق لعهد الله لإبراهيم عليه السلام أن يجعل مكة بلدًا آمنًا ومن دخله كان آمنًا، وقد اعتدى المشركون على ضعفاء المؤمنين وظلموهم مثل عمار، وبلال، وعامر بن فهيرة، ونحوهم؛ فهو يقول لهم فيما يتلو عليهم أن خفر عهد الله بأمان مكة، وخفر عهودكم بذلك، أولى بأن تحرموه من مزاعمكم الكاذبة فيما حرمتم وفضلتم؛ فهذا هو الوجه في تفسير قوله: ﴿وَعَهْدَ اللَّهِ أَوْفُوا﴾^(١).

الثالثة: احترام العهود والوفاء بالعقود من ميزات أمة الإسلام.

قال ابن عاشور: «وهذا التشريع من أصول حرمة الأمة في نظر الأمم، والثقة بها؛ للانزواء تحت سلطانها»^(٢).

الرابعة: الوفاء بالعهد واجب شرعي وضرورة إنسانية.

الوفاء بالعهد ضرورة إنسانية؛ لأنه قيمة أخلاقية كبرى، حيث يرسخ دعائم الثقة بين البشر أفرادًا، وجماعات وشعوبًا وأممًا.

بل هو من خصائص الإنسان؛ فمن فقد فيه الوفاء فقد انسلخ من إنسانيته، ولذلك ذم الله من تخلى عنه: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١ و ١٠٢].

وقد أكده الله تعالى بصور مختلفة؛ لتعظيم شأنه، وتأكيده وجوبه، ومن ذلك:

(١) «التحرير والتنوير» (١/١٦٨-١٧٠).

(٢) «التحرير والتنوير» (١٥/٩٧).

١- الأمر به:

قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الِأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].
وقال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٢- جعله من سمات المؤمنين:

قال جل جلاله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

وقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٣- جعل الوفاء بالعهد من صفات الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ

بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة: ١١١﴾.

وقال: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٨٠﴾.

٤- جعله من صفات الأنبياء:

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿النجم: ٣٦ و ٣٧﴾.

وقال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿مريم: ٥٤ - ٥٥﴾.

٥- جعله سبباً للوصول إلى الثواب العظيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿الفتح: ١٠﴾.

وبهذا تلتقي الشريعة مع الفطرة على أن الوفاء بالعهد من الأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة، وأن إتمامه يجعل صاحبه يعظم في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون؛ لأن العهد وجه والوفاء به محاسنه، والوعد سبحانه، وإنجازه مطره، ولذلك ضرب به المثل في العزة؛ فقالت العرب: هو أعز من الوفاء.

بل إن جميع الأمم وجد في تراثها ما يدل على تعظيمها للوفاء.

يقول الصينيون: من الأفضل أن تموت قبل عشر سنين من نهاية عمرك على أن تعيش سنة واحدة غير وفي.

ويقول الرومان: ما أصعب أن تصبح مشهوراً إن كنت غير وفي.

بل نفروا ممن لم يتخلق بهذا الخلق الكريم؛ فقالوا: تجنب غير الأوفياء، وعاملهم كمجرمين.



ويقول الإيطاليون: الويل لعديمي الوفاء.

ويقول الهولنديون: عندما يخرج الوفاء من الباب تدخل النذالة من النافذة.

ويقول الأسبان: انعدام الوفاء والحياء فرع من الفجور.

ويقول اليابانيون: انعدام الوفاء يقتل الأحاسيس.

والأفارقة يقولون: الرجل بدون وفاء كالسفينة بدون شراع.

وأما أهل مدغشقر؛ فيقررون: أن انعدام الوفاء لا يسمح لك بأن ترفع رأسك.

وكل هذا يجعلك مسؤولاً أمام نفسك وأمام الناس... وقبل ذلك وبعده أمام

الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

الخامسة: الوفاء بالعهد سبب لرعاية الله للعبد وحفظه له:

وقد بين سبحانه أن من وفى بعهد الله وأنجزه وأتمه، فإن الله يحفظه ويرعاه:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

ويؤكد هذا المعنى حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ قال: كنت خلف النبي

ﷺ يوماً؛ فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده

تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو

اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام،

وجفت الصحف»^(١).

وقد رتب الله على الوفاء بالعهد ثمرات عظيمة وفوائد جلييلة؛ منها:

١- الوفاء بالعهد من أسباب التقوى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٩٣/١) وغيرهم بإسناد صحيح.

٢- الوفاء بالعهد سبب في تماسك بنية المجتمع الإسلامي، حيث تشمل سائر المعاملات؛ إذ كل المعاملات إما عقود أو عقود، ونجاحها يتوقف على الوفاء بها؛ مما يولد الثقة بين الناس، وأما عدم الوفاء فيفضي إلى انعدام الثقة، وسوء التعامل، وحصول التنافر.

٣- المسلم الذي يفي بالعهد، ويتم العقد، ويصدق الوعد يجد في نفسه سعادة عظيمة، ويملاً صدره انشراح كبير، وبخاصة وهو يوفي حق الله، ويتم حقوق إخوانه المسلمين، ولا ينسى حق نفسه وأهله؛ فيعطي كل ذي حق حقه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بِعَدَاةِ اللَّهِ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾ فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْبًا مِثْلَ قُلُوبِ الْكُفَّارِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿المائدة: ١٢ - ١٦﴾.

ففي هذه الآيات ذكر ربنا الأمم الثلاث: الأمة الغضبية: اليهود، والأمة



الضالة: النصرارى وأنه ضيق عليهم؛ لأنهم نقضوا ميثاق الله، ثم ذكر الأمة المختارة الطيبة، وأنهم باتباعهم النبي محمد ﷺ: شرح صدورهم، ويسر أمورهم، وهداهم إلى رضوانه؛ فرضوا عنه ورضي عنهم.

٤- الوفاء بالعهد سبب لحصول الأمن في الدنيا وصيانة الدماء

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَٰلِيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأفال: ٧٢].

السادسة: نماذج تطبيقية من حياة الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

لقد تعددت مجالات الوفاء في حياة الرسول ﷺ، وتنوعت مظاهره؛ فكان لكل صنف من الناس نصيب من وفائه ﷺ:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ابتاع رسول الله ﷺ من رجل من الأعراب جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخيرة - وتمر الذخيرة العجوة - فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته، والتمس له التمر فلم يجده، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: «يا عبد الله! إنا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخيرة فالتمسناه فلم نجده» قال: فقال الأعرابي: واغدراه، قالت: فنهمة الناس وقالوا: قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ؟. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً»، ثم عاد له رسول الله ﷺ فقال: «يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزائر ونحن نظن أن عندنا ما سميننا لك، فالتمسناه فلم نجده» فقال الأعرابي: واغدراه، فنهمة الناس، وقالوا: قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ؟. فقال رسول الله ﷺ: «دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً»، فيردد ذلك رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثاً، فلما رآه لا

يفقه عنه قال لرجل من أصحابه: اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أمية فقل لها: رسول الله ﷺ يقول لك: «إن كان عندك وسق من تمر فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله»، فذهب إليها الرجل، ثم رجع الرجل فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبضه، فقال رسول الله ﷺ للرجل: «اذهب به؛ فأوفه الذي له». قال: فذهب به؛ فأوفاه الذي له. قالت: فمر الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال: جزاك الله خيرًا؛ فقد أوفيت وأطيت. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «أولئك خيار عباد الله عند الله الموفون المطيبون»^(١).

٢- عن أبي رافع رضي الله عنه قال: بعثني قريش إلى رسول الله ﷺ، فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقى في قلبي الإسلام. فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبدًا. فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن أرجع، فإن كان في نفسك، الذي في نفسك الآن، فارجع» قال: فذهبت، ثم أتيت النبي ﷺ، فأسلمت^(٢).

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فكنت على جمل ثفال إنما هو في آخر القوم، فمر بي النبي ﷺ فقال: «من هذا؟» قلت جابر بن عبد الله. قال: «مالك؟» قلت: إني على جمل ثفال. قال: «أمعك قضيب؟» قلت: نعم. قال: «أعطينه»، فأعطيته فضربه فزجره، فكان من ذلك المكان من أول القوم. قال: «بعنيه. قد أخذته بأربعة دنانير، ولك ظهره إلى المدينة». فلما دنونا من المدينة أخذت أرتحل، قال: «أين تريد؟» قلت: تزوجت امرأة قد خلا منها. قال: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟». قلت: إن أبي توفي وترك بنات فأردت أن أنكح

(١) أخرجه أحمد (٢٦٨/٦) بإسناد حسن؛ لأن فيه ابن إسحاق، وهو: صدوق مدلس، وقد صرح بالتحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٥٨)، وأحمد (٨/٦) بإسناد صحيح. وانظر «الصحيححة» (٧٠٢).

امراً قد جربت، خلا منها، قال: «فذلك». فلما قدمنا المدينة قال: «يا بلال اقضه، وزده». فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطاً. قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراط يفارق جراب جابر بن عبد الله^(١).

٤- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل. قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه.

فأتينا رسول الله ﷺ؛ فأخبرناه الخبر. فقال: «انصرفا؛ نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»^(٢).

وأما أصحابه رضي الله عنهم؛ فقد ساروا على طريقته حذو القذة بالقذة

١- عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب، وكان الحسن بن علي يشبهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلوصًا، فذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شيئًا، فلما قام أبو بكر قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عدة فليجيء، فقمتم إليه فأخبرته، فأمر لنا بها^(٣).

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ قال لي: لو قد جاءنا مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا. فلما قبض رسول الله ﷺ وجاء مال البحرين قال أبو بكر: من كانت له عند رسول الله ﷺ عدة فليأتني، فأتيته فقلت: إن رسول الله ﷺ قد كان قال لي: لو قد جاءنا مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا. فقال لي: احثه. فحثوت حثيةً. فقال لي: عدها. فعددتها، فإذا هي

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٢٦)، وأصله في «الصحيحين»

خمسائة، فأعطاني ألفاً وخمسةائة»^(١).

السابعة: هذا التشريع يدل دلالة قاطعة على تحريم نقض العهد، وأن الغدر من صفات المنافقين.

ونقض العهد يعني عدم الوفاء بما التزم الإنسان به، أو قطعه على نفسه من عهد، أو عقد، أو ميثاق سواء فيما بينه وبين الله، أو فيما بينه وبين الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٣٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿البقرة: ٢٦ و ٢٧﴾.

وقال: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَثَقَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿[الأنفال: ٥٥ - ٥٨].

وقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(٣٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿[الرعد: ٢٠ و ٢١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢١٦٤)، ومسلم (٢٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).



ولذلك؛ فنقض العهد والغدر من الكبائر كما نص على ذلك الذهبي^(١)، والهيثمي^(٢)؛ حيث قال: «عدّ هذا من الكبائر هو ما وقع في كلام غير واحد».

الثامنة: من آثار نقض العهد تسلط الأعداء على الأمة الإسلامية، واحتلال بلادهم، واستعبادهم.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: أقبل رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: ... ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم؛ فأخذوا بعض ما في أيديهم...»^(٣). وهذا نص صريح من رسول الله ﷺ في بيان سبب تسلط الأعداء على أمتنا، وتكالبهم علينا من كل أفق.

وبذلك قطعت جهيزة كل خلاف نراه بين العاملين للإسلام في مجال الدعوة إلى الله، حيث كثر خلطهم بين المرض والعرض:

فزعمت طائفة: أن المرض هو مكر الأعداء وتخطيطاتهم، فشغلوا الأمة بالعدو، ومخططاته، وتصريحاته، وتتبع مذكرات قاداته.

وظنت طائفة أخرى: أن المرض هو تفرق المسلمين في أبدانهم ودولهم؛ فدعوا إلى توحيد الأبدان، ولو على حساب الأديان.

وتوهمت ثالثة: أن المرض ترك الجهاد؛ فاشتغلوا بالجهاد دون بصيرة فَجَرَّوا على الأمة مصائب وويلات.

وكل هؤلاء بمعزل عن الصواب بصريح السنة والكتاب:

(١) «الكبائر» (ص ٣٢٣).

(٢) «الزواجر» (ص ١٤٠).

(٣) مضي تخريجه (ص ١٨٦).

فلو اتقينا الله؛ فإن كيد الأعداء لن يضرنا:

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ نَسُّوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وأما الكثرة وتوحيد الصفوف بدون كلمة التوحيد، والتخلي عن المعاصي
والذنوب؛ فلا ينفع: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ
شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

عن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم؛
كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟
قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور
عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن».

قالوا: وما الوهن. قال: «حب الدنيا وكرهية الموت»^(١).

وأما الجهاد دون عقيدة ومنهج فكيف يؤتي ثماره، وكيف يدفع العدو الصائل
وأضراره؟!

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم
بالعينة، وأخذتم أذنان البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم
ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(٢).



(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٧٨/٥) بإسناد صحيح بمجموع طرقه؛ كما بيته في
«بدائع الحكم شرح حديث تداعي الأمم».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي (٣١٦/٥) بإسناد حسن. وانظر «الصحيححة» (١١).



قوله تعالى:

﴿ذَالِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

ختمت هذه الوصايا الأربع في الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿ذَالِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وهذه الخاتمة لا يسد غيرها مسدّها، ولا يعطي هذه الآيات أبعادها المنهجية إلا هي؛ كما نبينه في جملة مسائل:

الأولى: قال البقاعي: «ولما كانت هذه الأفعال والأقوال شديداً على النفس العدل فيها؛ لكونها شهوات تقدم بالترغيب فيها والترهيب منها بأن كل من يفعل شيئاً منها مع غيره يوشك أن يفعل معه مثله؛ فلذلك حض على التذكر في الوصية بها؛ ولأنها خفية تحتاج إلى مزيد تدبر؛ فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر، ولو على وجه خفي بما أشار إليه الإدغام. فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم، فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لأنفسكم»^(١).

الثانية: قال الألوسي: «﴿ذَالِكُمْ﴾؛ أي: ما فصل من التكاليف الجليلة ﴿وَصَّيْنَكُمْ بِهِ﴾ أمركم به أمراً مؤكداً ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: تذكرون بتخفيف

(١) «نظم الدرر» (٧٤٣/٢).



الذال، والباقون بالتشديد في كل القرآن، وهما بمعنى واحد.

وختمت الآية الأولى بقوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وهذه بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن القوم كانوا مستمرين على الشرك، وقتل الأولاد، وقربان الزنا، وقتل النفس المحرمة بغير حق غير مستنكفين ولا عاقلين قبحها؛ فنهاهم سبحانه لعلهم يعقلون قبحها؛ فيستنكفوا عنها ويتركوها.

وأما حفظ أموال اليتامى عليهم، وإيفاء الكيل، والعدل في القول، والوفاء بالعهد؛ فكانوا يفعلونه ويفتخرون بالانصاف به؛ فأمرهم الله تعالى بذلك؛ لعلهم يذكرون إن عرض لهم نسيان؛ قاله القطب الرازي؟

ثم قال: فإن قلت: إحسان الوالدين من قبيل الثاني - أيضًا - فكيف ذكر من الأول؟

قلت: أعظم النعم على الإنسان نعمة الله تعالى، وبتلوها نعمة الوالدين؛ لأنهما المؤثران في الظاهر، ومنها نعمة التربية والحفظ عن الهلاك في وقت الصغر، فلما نهى عن الكفر بالله تعالى نهى بعده عن الكفران في نعمة الأبوين تبييناً على أن القوم لما لم يرتكبوا الكفران فبطريق الأولى أن لا يرتكبوا الكفر.

وقال الإمام: السبب في ختم كل آية بما ختمت: «أن التكاليف الخمسة المذكورة في الآية الأولى أمور ظاهرة جلية؛ فوجب تعقلها وتفهمها.

والتكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية أمور خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والفكر الكثير حتى يقف على موضع الاعتدال وهو التذكر» انتهى.

ويمكن أن يقال: إن أكثر التكاليف الأولى أدبي بصيغة النهي؛ وهو في معنى المنع، والمرء حريص على ما منع؛ فناسب أن يعلل الإيصاء بذلك بما فيه إيحاء إلى معنى المنع والحبس، وهذا بخلاف التكاليف الأخرى؛ فإن أكثرها قد أدبي بصيغة

الأمر، وليس المنع فيه ظاهراً كما في النهي، فيكون تأكيد الطلب والمبالغة فيه؛ ليستمر عليه، ويتذكر إذانسي؛ فليتدبر»^(١).

الثالثة: قال ابن عاشور:

﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تكرر لقوله المائل له قبله، وقد علمت أن هذا التذييل ختم به صنف من أصناف الأحكام.

وجاء مع هذه الوصية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن هذه المطالب الأربعة عرفت بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها، ولكنهم تناسوه بغلبة الهوى، وغشاوة الشرك على قلوبهم»^(٢).

الرابعة: لما كان التذكير يعني محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات عن طريق النسيان؛ فإننا ندرك أن هذه الوصايا لا تحتاج إلى تدبر وتعقل بقدر ما تحتاج إلى استمرار في تذكرها واستحضارها؛ لأنها قد تنسى بسرعة لحفائها، وقد تستحضر لكن لا يعبأ الإنسان بها.

الخامسة: وأول هذه الوصايا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وارتباطها بهذه الخاتمة أوضح من الشمس في رابعة النهار.

١- بما أن اليتيم فقد والده الذي يرعاه، ويذكره ولا ينساه؛ فهو بحاجة إلى من يذكره.

٢- وبما أن اليتيم ضعيف فماله أصبح مرمى للطامعين، ومراماً للأقوياء الذين قد يسعون في إتلافه، أو أكله، أو سلبه؛ فالأمر يحتاج إلى تذكير بعدم الاقتراب.. لأن مجرد الاقتراب منه، فكيف بأكله وتبديده؟!

٣- ولما كان لابد من التعامل مع اليتيم واستثمار ماله؛ فقد قيد ذلك بالتي

(١) «التحرير والتنوير» (٨/ ١٧٠).

(٢) «التحرير والتنوير» (٨/ ١٧٠).



هي أحسن؛ وتعني: الإتيان بالخصلة الحسنى والفضلى، وهذا لا بد له من التذكير والتفكير حتى يصل الإنسان إلا الأحسن والأفضل والأصلح نحو مال اليتيم، مما يجعل الولي في ترقب مستمر، وتذكر دائم.

السادسة: وأما الأمر بإيفاء الكيل والوزن بالقسط؛ فمعاملات التجارة مخوفة بالمخاطر من كذب، وغش، وتطفيف، وكل هذا بحاجة إلى تذكير، وإلا زلت قدم من بعد ثبوتها.

والنجاة من هذه المخاطر بحاجة إلى حرص شديد وتذكر أكيد، ولذلك كان التاجر الصادق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «التاجر الأمين الصدوق المسلم؛ مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة»^(١).

السابعة: أما العدل في القول فمطلوب في كل الأحوال والأحيان ولذلك؛ فهو بحاجة إلى تذكر دائم، وذلك؛ لأن القرابة وقوتها، وضعف الإنسان الذي يعتريه بجانبها يجعله ينسى العدل والحق، فلذلك؛ فهو محتاج إلى مراقبة الله في السر والعلن، والرضا والغضب.

الثامنة: وأما الوفاء بعهد الله؛ فلا ينقضه العبد إلا في حالة نسيان، أو غفلة، أو طائف من الشيطان، ولا عصمة من ذلك إلا التذكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] و ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٣٩) بإسناد حسن لغيره. انظر «الصححة» (٣٤٥٣). وهذا الحديث مما تراجع عن تضعيفه شيخنا رحمته الله؛ فقد ضعفه في «غاية الحرام» ١٦٦ و ١٦٧، قال في «الصححة»: «وهذا هو الذي اطمأنت إليه النفس أخيراً، وانشرح له الصدر بعد أن كنت ضعفته في بعض التخريجات، فاللهم غفرًا!!»



الوصية العاشرة:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَنَفَّرَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

الطريق الموصل إلى الله واحد؛ فلا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو سلك الناس كل الطرق، وقرعوا كل الأبواب؛ فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب أمامهم مغلقة؛ إلا هذا السبيل الذي دلنا عليه رسول الله ﷺ، وساره أصحابه ﷺ؛ فإنه متصل بالله، موصل إلى الله.

وهذا ما بينه ربنا تعالى في هذه الوصية الجامعة لمسائل كثيرة؛ منها:

الأولى: مناسبتها للسباق والسياق.

قال البقاعي: «ولما قرر هذه الشرائع؛ نبه على تعظيمها بالخصوص على وجهه يصح جميع ما ذكره في السورة بل وفي غيرها، فقال عاطفًا على ما تقديره -عطفًا على المنهيات وأضداد المأمورات على وجه يشمل سائر الشريعة- ولا تزيغوا عن سبيلي: ﴿وَأَنَّ﴾؛ أي: ولأن -على قراءة الجماعة بالفتح- أي اتبعوه لذلك-، وعلى قراءة ابن عامر ويعقوب بالكسر هو ابتداء- ﴿هَذَا﴾؛ أي: الذي شرعته لكم ﴿صِرَاطِي﴾ حال كونه ﴿مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: بغاية جهدكم؛ لأنه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير»^(١).

(١) «نظم الدرر» (٢/٧٤٣).



طبيعة النشر

وقال الفخر الرازي: «لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به أجهل في آخره إجمالاً يقتضى دخول ما تقدم فيه، ودخول سائر الشريعة فيه؛ فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ فدخل فيه كل ما بينه الرسول ﷺ من دين الإسلام، وهو المنهج القويم، والصرط المستقيم، فاتبعوا جملته وتفصيله، ولا تعدلوا عنه؛ فتقعدوا في الضلالات»^(١).

وقال القرطبي: «هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم؛ فإنه لما نهى وأمر حذر من اتباع غير سبيله، فأمر بتابع طريقه على ما نبينه بالأحاديث الصحيحة وأقويل السلف»^(٢).

الثانية: وضوح المنهج وعلانية الدعوة:

بدأت هذه الوصية بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾؛ وهو: إعلان صريح أن منهج رسول الله ﷺ يعلو على أصار الحزبية المقيتة، ويسمو فوق دهاeliz السرية المميته؛ لأنه أوضح من الشمس في رائعة النهار.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»^(٣).

منهج السلف قويم لا عوج فيه، جلي لا لبس يخفيه، واضح لا إبهام يعتريه، مشاهد معين يحصل به الإدراك التام للعقل حتى يصير لديه كوضوح الأمر المشاهد بالبصر.

(١) «التفسير الكبير» (٨/١٤/٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/١٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨ و ٤٩) بإسناد صحيح.

وهذا شأن منهج الصدق ودعوة الحق، فلا تجد تلبيسًا، ولا ترى تدليسًا، ولا تبصر ادعاءً مجردًا، فلا ترى شيئًا من التواء، أو تناقض، أو اضطراب.

وهذا بخلاف دعوات الكذب المخالفة الخالفة؛ فإنها تلقي الدعاوى مجردة، وتحاول تدعيمها بكل تمويه تصل إليه؛ فلا تزال لذلك في حنايا تعاريح الحزبية، وزوايا دهاليز السرية، ولا تزداد إلا بعدًا عن الصراط المستقيم.

ومن تأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ الآية يجد كل كلمة فيها تدل على وضوح الدعوة وعلانيتها:

ف﴿قُلْ﴾ كلمة عجيبة تبطل كل الدعاوى المنحرفة عن الصراط المستقيم، أو المشككة في المنهج القويم؛ لأنها دالة على أنها ليست من كلام البشر؛ لأن البشر لا يأمر نفسه، ولذلك؛ فرسول الله ﷺ يبلغ كلامًا لا يمكن أن يكون من تلقاء نفسه.

وعجيبة أخرى لتلك الكلمة: أنها في صلب الرسالة المأمور رسول الله ﷺ بتبليغها، والدعوة إليها، وإعلانها على رؤوس الأشهاد، ولذلك؛ فهي تدل على أن النبي ﷺ وأتباعه لا يتخفون بدعوتهم، ولا يستترون بمنهجهم، ولا ينقصون حرفًا، ولا يتصرفون أي تصرف من تلقاء أنفسهم.

و﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أمر ببيان سبيله بيانًا عامًا شافيًا للناس؛ لتتضح المحجة للمهتدين، وتقوم الحجة على الهالكين.

وهذا البيان الواضح يصيرها مشاهدة بالبصر، ويجعلها مُعَيَّنَةً يشار إليها كسائر المشاهدات ثلاثية الأبعاد:

الأول: الدعوة إلى الله على بصيرة.

الثاني: تنزيه الله.



الثالث: البراءة من الشرك وأهله.

فأما البعد الأول؛ فهو: فرقان بين الصادق والكاذب؛ فالصادق لا يتحدث عن نفسه، ولا يطلب لها مآلاً، ولا يجلب لها جاهاً، ولا يبغى من الناس ذكراً أو فخراً؛ لأنه يدعو إلى الله؛ وهو يتوكأ على الحجة والبرهان؛ لأنه على بصيرة.

وتأمل قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ كيف تعلقت بقوله: ﴿أَدْعُوا﴾؛ لتدل على تمام التمكّن، وحقّ اليقين.

وأما البعد الثاني؛ فتزويه الله سبحانه مقصد الرسالات، ولذلك؛ فهو أعظم وجوه الدعوة وألزمها، ولا يتم تنزيه الله سبحانه إلا بمنهج واضح، ودعوة جهرية تنسف كل المعتقدات الباطلة في ذات الله تبارك وتعالى، وتدحض كل الآراء العاطلة في صفاته سبحانه وتعالى.

وأما البعد الثالث؛ فهو: البراءة من المشركين، والمباينة من الزائغين، ولا تتم البراءة ولا تتأكد المباينة إلا بالصدع بأمر الله بوضوح وعلانية دون تعميم أو تميم.

ومن أعطى هذه الآية حقها من التأمل أفضى إلى بيضاء نقية، ليس فيها تقيّة، شمسها بازغة، وحجتها بالغة، وهي بريئة من كل دعوة زائغة؛ فالحمد لله على هذه النعمة السابغة.

الثالثة: سبيل واحد وصراط مستقيم:

وفي قوله تعالى: ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ ما يدل على أن سبيل الله واحد وصراطه مستقيم.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «إنما وحّد سبيله؛ لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل؛ لتفرّقها وتشعبها؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ

أَظْلَمْتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
 الظُّلْمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٥٧﴾^(١).

وقال ابن نصر المروزي رحمته الله: «فأخبرنا أن طريقه واحد مستقيم، وأن السبل
 كثيرة تصد من اتباعها عن طريقه المستقيم، ثم بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بسنته»^(٢).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثم قال: «هذا
 سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل متفرقة، على
 كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
 وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»^(٣).

«كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهاج واحد في أصول الدين
 وفروعه، غير من أظهر وفاقاً، وأضمر نفاقاً»^(٤).

واستمر حالهم حتى أواخر سني خلافة النبوة لا تنازع بينهم، ثم حدث
 الافتراق والاختلاف الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٩٨).

(٢) «السنة» (ص ١٣٨ - بتحقيقي).

(٣) أخرجه النسائي في «التفسير» (١٨٤)، وأحمد (١/ ٤٣٥ و ٤٦٥) واللفظ له، والدارمي
 (١/ ٦٧-٦٨)، والطبري في «جامع البيان» (٨/ ٦٥)، والبخاري (٢٤١٠)، وابن حبان
 (٦/ ٧)، والحاكم (٢/ ٣١٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٧)، وابن نصر في «السنة»
 (١١)، والطيالسي (٢٤٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٧) و «معالم التنزيل» (٢/ ١٤٢)،
 وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٣) وغيرهم من طريق عاصم عن أبي وائل عنه به.
 قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عاصم وهو ابن بهدله بن أبي النجود،
 وهو حسن الحديث.

وانظر لزيادة بيان وحسن تفصيل كتاب: «السنة» لابن نصر المروزي (ص ١٣٨-١٤٣ -
 بتحقيقي).

(٤) «الفرق بين الفرق» (ص ١٤).



لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وحذر منه رسول الله ﷺ كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه أقبل مع رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية؛ دخل، فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا؛ فقال: «سألت ربي ثلاثاً؛ فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة^(١) فأعطانها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»^(٢).

ومنذ ذلك الوقت صارت الجماعة جماعات، والأمة شيعاً؛ كما حدث في الأمم الخالية: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ و ٣٢]. وذلك أن الدين لله كله حصل به الائتلاف والوفاق؛ لأنه يجمع كل حق، وعليه يجتمع كل حق: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وإذا لم يكن كذلك؛ فلا بد أن يكون لكل قوم ما يمتازون به، ويشدون وسطهم عليه: مثل معظم مطاع قلدوه، أو رأي استحسوه، أو دين لم يأذن الله به ولم يشرعه ابتدعوه: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢ و ٥٣].

ولذلك أنشئت الكتل، وكونت الأحزاب، وأسست الجماعات، وأحدثت التجمعات والجمعيات؛ لتلم شعث الأمة، وتوحد شملها، ولكن الأمة لم تزد بها إلا تفرقاً وافتراقاً واختلافاً ومن هدفها بعداً؛ لسبيين رئيسين:

(١) القحط والجذب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

الأول: أن هذا التفريق الحزبي هو المشكلة، فمن أراد توحيد الأمة بواسطة الجماعات والاحزاب؛ فهو يردد قول القائل: فداوني بالتي كانت هي الداء.

الآخر: أن هذه الجماعات والأحزاب نسيت أو تناست أن سبب الاختلاف هو غياب وحدة المنهج والعقيدة؛ فلذلك باءت جميع محاولات توحيد الصف بالفشل الذريع، والتحلل السريع.

ولكن بنيات الطريق لا يمكن أن تمحي معالم الطريق، وتخفي رسومها؛ فقد استمرت دعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة على منهاج النبوة لا تخالفها باسم أو برسم، ولا حقيقة ولا شكل.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «ولم ينسبوا إلى اسم؛ أي: لم يشتهروا باسم؛ فيعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلامًا لأهل الطريق.

وأيضًا؛ فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد، يجري عليه اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا بزبي، ولا طريق وضعي اصطلاحي.

بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول.

وعن طريقه؟ قال: الاتِّباع.

وعن خرقة؟ قال: لباس التقوى.

وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة.

وعن مقصوده ومطلبه؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].



وعن رباطه وعن خانكاه^(١)؟ قال: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا
 أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رَجَالٌ لَا فُلْهِيهِمْ تَحْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ
 الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٦ و ٣٧].

وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء،

وترعى الشجر حتى تلقى ربها.

واحسرتاه تقضي العمر وانصرت

ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد

ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قال:

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟

فقال: ما لا اسم له سوى السنة.

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها.

فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس

في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزى وهيئة لا يخرج عنها، أو عبادة معينة لا

يتعبد غيرها، وإن كان أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب

إلى الله ورسوله منه.

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصددون عنه، قيدتهم

العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها

بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة، وتفريغ

(١) رباط الصوفية؛ أي: زوايا الصوفية.

القلب، وَيَعُدُّ العلم قاطعًا له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاتة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: عد ذلك فضولًا وشراءً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك؛ أخرجوه من بينهم، وَعَدَّوه غَيْرًا عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة، والله أعلم» أه^(١).

إنها الحزبية التي نهشت بأنيابها الجسم المؤمن؛ فمزقته أيادي سبأ، وصار كل حزب بما لديهم فرحون، قد نصب له شخصًا غير النبي ﷺ: يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليه، وكتب كلامًا غير الكتاب والسنة يتوكأ عليه، فإذا كشفت النقاب عن الأحزاب وجدت هوى متبعًا، وشحًا مطاعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ولذلك قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «فالإسلام الحقيقي غريب جدًا، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس.

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدًا، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورتاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول؟

فإن نفس ما جاء به: يضاد أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم؟ فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا شحهم، وأعجب كل منهم برأيه؟ كما قال النبي ﷺ: «مروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودينا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرًا لا بد بك به، فعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوامهم، فإن وراءكم أيامًا صبر الصابر فيهن كالقبض

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧٤).

على الجمر»^(١).

ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت إذا تمسك بدينه أجر خمسين من الصحابة؛ ففي سنن أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام؛ فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» قلت: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؛ قال: «أجر خمسين منكم»^(٢).

وهذا الأجر العظيم إنما هو لغرته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم.

فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه، وفقهاً في سنة رسوله، وفهماً في كتابه، وأراه ما الناس فيه: من الأهواء والبدع والضلالات، وتكبيهم عن الصراط المستقيم، الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط؛ فليوطن نفسه على قدح الجهال، وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير الناس عنه، وتحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ.

(١) عزاه السيوطي «في الدر المنثور» (٢١٧/٣) لابن مردويه من حديث معاذ بن جبل ؓ، وانظر - لزاماً - كتابي: «القابضون على الجمر» (ص ١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وغيرهم، وهو حسن لشواهد، كما بيته في كتابي: «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف» (ص ٢٧). و «القابضون على الجمر» (ص ١٣-٢٣).

فأما إن دعاهم إلى ذلك، وقدح فيما هم عليه؛ فهناك تقوم قيامتهم، وييغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله. فهو:

غريب في دينه؛ لفساد أديانهم.

غريب في تمسكه بالسنة؛ لتمسكهم بالبدع.

غريب في اعتقاده؛ لفساد عقائدهم.

غريب في صلاته؛ لسوء صلاتهم.

غريب في طريقه، لضلال وفساد طرقهم.

غريب في نسبه؛ لمخالفة نسبهم.

غريب في معاشرته لهم؛ لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة؛ فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة مساعدًا ولا معينًا، فهو:

عالم بين جهال.

صاحب سنة بين أهل بدع.

داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع.

أمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر، والمنكر معروف»

أ.هـ^(١).

الرابعة: متى يكون الطريق صراطًا؟

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «ولا تكون الطريق صراطًا حتى تتضمن خمسة

(١) «مدارج السالكين» (٣/١٩٨-٢٠٠).

أمور: الاستقامة، والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعيُّنه طريقًا للمقصود.

ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة.

فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه؛ لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد.

واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود.

ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته.

وإضافته إلى المنعم عليهم، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال، يستلزم تَعْيُّنَهُ طريقًا.

والصراط تارة يضاف إلى الله، إذ هو الذي شرعه ونصبه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[الشورى: ٥٢] وتارة يضاف إلى العباد، كما في الفاتحة؛ لكونهم أهل سلوكه، وهو

المنسوب لهم، وهم المارون عليه»^(١).

الخامسة: المراد بالصراط المستقيم؛ هو دين الإسلام الذي أنزل على محمد

ﷺ.

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «ضرب الله مثلًا صراطًا

مستقيمًا، وعلى جنبي الصراط سور فيه أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور

مرخاة، وعلى باب الصراط داع يدعو منه فوق الصراط، فإذا أراد فتح شيء من

تلك الأبواب؛ قال: ويحك لا تفتحها؛ فإنك إن تفتحها تلجها. فالصراط: الإسلام،

والستور: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس

(١) المصدر السابق (١/١٠-١١).

الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم»^(١).

السادسة: حقائق الإسلام وحقه:

١- الإسلام دين الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى محمد

ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال:

«الأنبياء كلهم إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ إنه ليس بيني وبينه نبي، وإنه نازل فيكم، فإذا رأيتموه؛ فاعرفوه: رجل مربع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على (وفي رواية: فيدعو الناس إلى) الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، وتقع الأمانة في الأرض؛ حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنهار مع البقر، والذئب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات؛ فلا تضرهم، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون - صلوات الله عليه -»^(٢).

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**» [آل عمران: ١٩]؛ يعني: الذي جاء به محمد ﷺ وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس لله دين سواه، «**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**» [آل عمران: ٨٥].

(١) أخرجه الترمذي (٣٠١٩ - تحفة)، وأحمد (١٨٤/٢٩ - ١٨٥ - ط الرسالة) وغيرهم بإسناد حسن، والحديث صحيح بطرقه. وانظر «السنة» لابن نصر (٨-١٠ - بتحقيقي).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣١٤)، وأحمد (١٥٣/١٥ - ١٥٤) وابن حبان (٦٨٢١) وغيرهم بإسناد صحيح.

وانظر كتابي: «صحيح الأنبياء المسند من أحاديث الأنبياء» (٢٥١).



وقد دل قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ على أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله - قط - ولا يكون له دين سواه، قال أول الرسل نوح: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ آجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال يعقوب لبنيه عند الموت: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال موسى لقومه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].
وقالت ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

فالإسلام دين أهل السماوات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان، فدين الرحمن هو الإسلام، والتي للشيطان: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين»^(١).

(١) «مدارج السالكين» (٣/٤٧٦).

ومن استقرأ كتاب الله وجد أن الأمور كذلك:

هذا نوح عليه السلام يقول: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وهذا إبراهيم يقول الله - تعالى - عنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

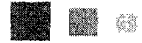
وإبراهيم وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - يدعوان الله؛ فيقولان: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وفي سورة البقرة توضيح شاف لدين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، ويعقوب - عليه الصلاة والسلام - وبنيه بني إسرائيل (الأسباط).

يقول - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٣].

وهذا يوسف - عليه الصلاة والسلام - يقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْقِنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهذا موسى - عليه الصلاة والسلام - الذي ينتمي إليه - زورًا - اليهود يخاطب بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُومٌ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ



مُسْلِمِينَ ﴿ [يونس: ٨٤].

وهذا سليمان - عليه الصلاة والسلام - وهو من أنبياء بني إسرائيل يخاطب ملكة اليمن باسم الإسلام، ويرسل كتابه: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿ [النمل: ٣٠ و ٣١].

وأتباع الرسل قاطبة يعلنون انتهاءهم للإسلام:

يقول السحرة لفرعون: ﴿ وَمَا نَعْبُدُ مِنَّا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَنَّا بِآيَاتِكَ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿ [الأعراف: ١٢٦].

ويقول الله عن الحواريين: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَأْمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ [المائدة: ١١١].

بل إن هذه القضية واضحة عند فرعون... قال - تعالى - عنه: ﴿ حَقٌّ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [يونس: ٩٠].

والمؤمنون من أهل الكتاب في عهد النبي محمد ﷺ: ﴿ الَّذِينَ ءَأْيَنَّهُمُ الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِهِ ءَهُمْ بِهِ ءُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿ [القصص: ٥٢ و ٥٣].

أما الكافرون من أهل الكتاب؛ فيريدون أن يلبسوا علينا ديننا، وأن نتبع أهواءهم.. ويقول الله - تعالى - عنهم: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ ءَأْمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿البقرة: ١٣٥ - ١٣٧﴾.

فالقسمة ثنائية: إما دين الإسلام، أو أديان الكفر؛ قال - تعالى -: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

٢- الإسلام هو الدين المقبول عند الله يوم القيامة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذه الحقيقة برهان على بطلان الدعوة إلى وحدة الأديان.

ومن أجمع ما كتب في ذلك وأخصره: فتوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء رقم (١٩٤٠٢) بتاريخ (٢٥ / ١ / ١٤١٨ هـ):

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء، وما قالت بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصرى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات، والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات في الشرق والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى الإسلام، وأنه

خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله تعالى: (القرآن الكريم) هو آخر الكتب نزولاً وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل؛ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يُتعبد الله به سوى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثًا: يجب الإيذان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قوله الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحْرَفُونَ أَكْثَرَهُ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ نَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]؛ ولهذا فما كان منها صحيحًا؛ فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك؛ فهو محرف أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين

رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي» رواه أحمد والدارمي وغيرهم.

رابعًا: من أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان أحد من الأنبياء حيًا لما وسعه إلا اتباعه صلى الله عليه وسلم، وإنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآتِيَّتِكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ونبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، وحاكمًا بشريعته، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا يُنْجِلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ءَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام: أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام: أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافرًا ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو



الله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]؛ وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّذَرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٩] وغيرها من الآيات، وثبت في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي، ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل الكفار».

ولهذا؛ فمن لم يكفر اليهود والنصارى؛ فهو كافر، طردًا للقاعدة الشرعية: «من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه؛ فهو كافر».

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصرفها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، قوله جل وعلا: ﴿وَدَّوُلُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الأثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال؛ لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ويقول جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[التوبة: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ثامناً: إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم؛ فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك؛ فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعاً: وبناء على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن الله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليتها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والالتقاء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟ فمن فعله أو دعا إليه؛ فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده، أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك.



٤- كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله)، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من الكفر وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي «مجموع الفتاوى» (٢٢/١٦٢): «ليست - البيع والكنائس - بيوتاً لله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار».

عاشراً: وما يجب أن يُعلم: أن دعوة الكفار بعامّة، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة التي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أما مجادلتهم، واللقاء معهم، ومحاورتهم بأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام، ومعاقدة الإيمان؛ فهذا باطل؛ يأباه الله ورسوله، والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قال تعالى: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وإن اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامّة، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذيرهم من هذه الدعوة الكفرية». انتهى بحروفه.

٣- الإسلام دين كامل شامل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُرِيدُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وأما حق الإسلام؛ فهو:

١- ان نفهمه فهمًا صحيحًا:

وذلك بتوحيد مصدر التلقي والاستدلال؛ وهو: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ كما قال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله»^(١).

وبتوحيد مصدر الفهم، وذلك بأن نفهم الكتاب والسنة بفهم الصحابة رضوا عنهم ومن تبعهم بإحسان.

وهذا أمر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع^(٢).

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «إنه لم يزل أهل العلم في كل عصر مجمعين على الاحتجاج بما هذا سبيله من فتاوى الصحابة وأقوالهم، ولا ينكره منكر منهم، وتصانيف العلماء شاهدة بذلك، ومناظراتهم ناطقة بهم.

قال بعض علماء المالكية: أهل الأعصار مجمعون على الاحتجاج بما هذا سبيله، وذلك مشهور في رواياتهم، وكتبهم، ومناظراتهم، واستدلالاتهم، ويمتنع والحالة هذه إطباق هؤلاء كلهم على الاحتجاج بما لم يشرع الله ورسوله الاحتجاج

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١١٤/١٠) و«دلائل النبوة» (٤٤٩/٥)، والحاكم (٩٣/١)، وابن حزم في «الأحكام» (٨٢/٦) وغيرهم بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة.

(٢) انظر كتابي «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف» (ص ٤٤ - ٧٨).



به، ولا نصبه دليلاً للأمة، فأى كتاب شئت من كتب السلف والخلف المتضمنة للحكم والدليل؛ وجدت فيه الاستدلال بأقوال الصحابة، ووجدت ذلك طرازها وزينتها، ولم تجد فتياً قط ليس قول أبي بكر وعمر حجة، ولا يحتج بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ وفتاواهم، ولا ما يدل على ذلك، وكيف يطيب قلب عالم يقدم على أقوال من وافق ربه تعالى في غير حكم - فقال وأفتى بحضر رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بموافقة ما قال لفظاً ومعنى - قول متأخر بعده ليس له هذه الرتبة، ولا يدانيها؟

وكيف يظن أحد أن الظن المستفاد من فتاوى السابقين الأولين الذين شاهدوا الوحي والتنزيل؛ وعرفوا التأويل؛ وكان الوحي ينزل خلال بيوتهم، وينزل على رسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم؟

قال جابر: «والقرآن ينزل على رسول الله ﷺ وهو يعرف تأويله، فما عمل به من شيء عملنا به» في حجة الوداع، فمستندهم في معرفة مراد كلام الرب تعالى من كلامه ما يشاهدونه من فعل رسوله، وهديه الذي هو يفصل القرآن ويفسره، فكيف يكون أحد من الأمة بعدهم أولى بالصواب منهم في شيء من الأشياء؟ هذا عين المحال!«^(١).

٢- وحب التحاكم إلى الكتاب والسنة:

كان الناس أمة واحدة على ملة آدم عليه الصلاة والسلام عشرة قرون^(٢)؛ فاجتالهم الشياطين عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحله الله لهم، فاختلفوا فبعث الله رسوله تترى؛ ليعبد الله وحده، ويكون قوله الفيصل في مواطن الاختلاف.

(١) «إعلام الموقعين» (٤/١١٦).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/٢٥٠)، و«إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (٣/٢٠٣-٢٠٥)، و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/٦٠٣-٦٠٥).

والأصل في هذا قول الله ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وجاء محمد ﷺ على فترة من الرسل؛ ليعين للناس الطريق الأقوم، ويهديهم - بإذن الله - لما اختلفوا فيه من الحق إلى صراط العزيز الحميد.

قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

هذه الآية حصرت^(١) علة التنزيل، وبينت ما على الرسول وما عليه إلا البلاغ المبين، ولذلك جاءت الآيات البيّنات المحكمات من الله تأمر نبيه باتباع ما يوحى إليه.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتِّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ اتَّكَفَأْتَهُمُ اللَّهُ كَيْفَ مَا يُؤْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ١ - ٢].

وقال سبحانه: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقد استجاب الرسول ﷺ الذي قدّر الله حقّ قدره لأمر ربه؛ فشهد له بذلك فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

ومما أمر الله به عبده ورسوله أن يبلغ ما أوحى إليه من ربه، ويبينه للناس.

(١) لأن النفي مع الاستثناء يفيد الحصر، وهذه الآية بدأت بما النافية ثم أعقبها بحرف الاستثناء.



قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد بلغ الرسول ﷺ رسالات ربه كاملة غير منقوصة؛ فقد شهد الله بذلك والمؤمنون.

قال الباري: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لسروق: «ومن حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما نزل عليه؛ فقد كذب»^(١).

وقال المسلمون جميعاً في حجة الوداع عندما سأهم الرسول ﷺ: «وأنتم تسألون (وفي لفظ: مسؤولون) عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد إنك قد بلغت رسالات ربك وأديت، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: «اللهم فاشهد، اللهم فاشهد»^(٢).

وبها أن الله -جل وعلا- أمر رسوله ﷺ باتباع الوحي، وتبليغه للناس، وبيانه؛ ليحكم بينهم فيما شجر بينهم، ولأنه العليم بما يصلح من الشرائع لخلقه، وكل صنعة تعود إلى صانعها؛ فهو أعلم بها، والبشر خلق الله فهو أعلم بما يستقيم عليه أمرهم، ويصلح به حالهم، قال ﷺ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]؛ فإنه لو ترك للإنسان أن يحكم على الأفعال والأقوال؛ لاختلف الحكم باختلاف الأشخاص والأزمان، وليس في مقدور الإنسان أن يحكم حكماً ثابتاً؛ ولما

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٤ و٤٦١٢ و٧٥٣١)، ومسلم (١٧٧).

(٢) جزء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حجة النبي ﷺ رواه مسلم (١٢١٨).

وقد جمع رواياته وطرقه شيخنا الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله في كتابه القيم «حجة النبي ﷺ» انظر (ص ٧٣).

كان الأمر كذلك فقد أوجب على العباد طاعته، وطاعة رسول الله ﷺ، وحذر من المخالفة؛ وضمن الهدى في كتابه وسنة نبيه.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال ﷺ: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني؛ فقد أبى»^(١).

وقال الصادق المصدوق رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله»^(٢).

مما سبق يتبين: أن التحاكم للكتاب والسنة فرض واجب إن أردنا سواء السبيل، لذلك أمر الله بالرجوع إلى الله ورسوله عند التنازع والاختلاف؛ ليكون فصل الخطاب للسنة والكتاب.

قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) تقدم ترجمته (ص ٢٦١).



هذه الآية بينت أن الخصومات والجهالات ترد إلى كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ؛ ليتحاكم المسلمون إليهما فيما شجر بينهم؛ لأن ذلك علامة الصدق ودليل الإيـان، فإن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك؛ فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر، ولعل أبلغ دليل على هذا الأمر العظيم الذي يعد نقطة الارتكاز في دائرة الإيـان قوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

بهذا القسم المنزل الذي تشقق الأرض له، وتخر الجبال هدأً، والذي ترتعد منه فرائص المؤمن، وترتعش أعضاؤه، وتبلغ القلوب الحناجر، وتدور المقل في المحاجر، أقسم أحكم الحاكمين بنفسه أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً؛ لأنه الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

إنها الحاكمة المطلقة التي لا تقدم بين يدي الله ورسوله قانوناً وضعياً، ولا عرفاً، ولا رأياً لشيخ قبيلة، ولا أقوال الرجال العارية عن الدليل، ولا استحساناً عقلياً، ولا تجربة شخصية، بل تستجيب لله جل جلاله، وللرسول ﷺ إذا دعاها لما يحییها دون التفات، أو تردد، أو توان، وتسلم تسليماً طاهرياً وباطناً، وما دون ذلك فحاكمة عرجاء تتوكأ على عصا التقليد وآراء الرجال.

وقد أسلس الصحابة ﷺ قيادتهم، وأعنة عقولهم - وهم أولو الألباب والنهي - للصادق المصدوق الذي يأتيه خبر السماء، ويتنزل عليه القرآن، وهو يعرف تأويله بما أراه الله، وما عمل به من شيء عملوا به؛ فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

وجاء من بعدهم التابعون فساروا على هذا المهيع الرشيد، وسلكوا هذا المنهج
السديد.

وبقي الأمر على هذه الوتيرة ثلاثة قرون؛ فنشأ علماء قنعوا في دنياهم بالقليل،
لا يحفزهم للعلم إلا ما يروا من حقه عليهم؛ فخلت قلوبهم من الطمع في منزلة
عند ذي سلطان، وتزكت نفوسهم من حب نفوسهم، فلم يروا سعادتهم إلا في
عبادة ربهم، وتلاميذهم من حولهم يأخذون العلم والحكمة؛ فتغمرهم سكينه
شفيفة تغسل قلوبهم، وطمأنينة تعصم عقولهم من اتباع الهوى، والعنود عن اتباع
حديث الرسول ﷺ الذي لم يعذر به خلقاً، ولم يجعل له من اتباع سنن المصطفى
مخرجاً، فإذا رأوا حكم النازلة في كتاب الله وسنة رسوله أو أحدهما عضوا عليه
بالنواجذ، فإن لم يجدوا إجماع الأمة؛ فإنها لا تجتمع على ضلالة، فإن لم يجدوا ردّوه
قياساً على أحدهما، وأفرغوا جهدهم، وبذلوا وسعهم في نيل الحكم الشرعي
بطريق الاستنباط.

فأصاب بعضهم وأخطأ آخرون، وهم في ذلك مأجورون معذورون؛ لأسباب
كثيرة أوجزها الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ بِعِبَارَةٍ بِالْغَةِ؛ فقال: «وأما أن نخالف حديثاً
عن رسول الله ثابتاً عنه؛ فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله، وليس ذلك
لأحد، ولكن قد يجهل الرجل السنة؛ فيكون له قول يخالفها لا أنه عمد خلافها،
وقد يغفل المرء، ويخطئ في التأويل»^(١).

وكلهم مجمعون على أن ما أخطأوا فيه وكان خلاف الكتاب والسنة، فلا يحق
الأخذ به، أو التعصب له، أو معارضته للكتاب والسنة.

وثبت أن الأئمة -رحمهم الله تعالى- اتفقوا على أنه: «إذا صح الحديث؛ فهو

(١) «الرسالة» (ص ٢١٩).

(١) لقد أخذ الأئمة -رحمهم الله- بالحديث الصحيح إذا صحَّ عندهم أو عند غيرهم من أهل الصنعة.

قال العلامة ابن حزم رحمته: «أي صح عنه أو عند غيره من الأئمة» وأقره الشعراني في «الميزان» (١/٥٧).

قلت: ويرهان ذلك أمور؛ منها:

١- ما قاله الإمام الشافعي رحمته للإمام أحمد رحمته: «يا أبا عبد الله أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منه، فإذا كان خيراً صحيحاً؛ فأعلمني حتى أذهب إليه كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً».

قلت: إسناده صحيح كالشمس عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وله عنه خمس طرق: الأولى: من طريق الطبراني عنه به.

أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/١٧٠)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٤٩٩)، والخطيب البغدادي في «مسألة الاحتجاج بالشافعي» (ص ٧٠).

قلت: إسناده صحيح.

الثانية: من طريق أبي بكر بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي عنه به.

أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/١٠٦)، وابن عبد البر في «الانتقاء» (ص ٧٥)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٤٩٨-٤٩٩).

قلت: إسناده صحيح.

الثالثة: من طريق محمد بن عبد الله عنه به.

أخرجه القاضي أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/٢٨٢).

الرابعة: من طريق الحضرمي عنه به.

أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن» (ص ١٧٣).

الخامسة: من طريق أبي محمد عنه به.

أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص ٩٤-٩٥).

قلت: إسناده صحيح.

ومجموع هذه الطرق يؤكد أن هذا القول ثابت النسبة للإمام الشافعي رحمته، ولذلك عزاه إليه جمع من أهل العلم؛ منهم:

القاضي أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/٦).

=

قال العلامة ابن حزم رحمته الله: «وهم يقرون أن الفقهاء الذين قلّدوا مبلطون للتقليد، وأنهم قد نهوا أصحابهم عن تقليدهم، وكان أشدهم في ذلك الشافعي؛ فإنه رحمته الله بلغ في التأكيد في اتباع صحاح الآثار، والأخذ بما أوجبه الحجة حيث لم يبلغ غيره، وتبرأ من أن يقلد جملة، وأعلن بذلك، نفعه الله به، وأعظم أجره، فلقد كان سبباً إلى خير كثير»^(١).

لذلك كان أتباع الأئمة لا يأخذون بأقوال أئمتهم كلها، بل تركوا كثيراً منها لما ظهر لهم الحقّ والسنة في غيرها، فقد خالف الإمامان: أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني الإمام أبا حنيفة في ثلث المذهب^(٢)، وكذلك فعل قليل من المتأخرين رغم انتسابهم المذهبي لم يمنعهم من مخالفة مذاهبهم إذا وقفوا على دليل يخالف ما ذهب إليه إمام المذهب؛ كالنووي فقد خالفه مذهبه الشافعي في الوضوء من لحم الإبل^(٣).

- = - الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/٣٢٧).
 - ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٢/١٠).
 - ابن فرحون المالكي في «الديباج المذهب» (ص ١٦).
 - ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/٢٣٤).
 - الفلاني في «إيقاظ هم أولي الأبصار» (ص ١٤٧-١٤٨).
 - ولي الله الدهلوي في «حجة الله البالغة» (١/١٤٨) و«الإنصاف» (ص ٤٨).
 ٢- ما علق الشافعي القول فيه على الصحة، وهذا يدل أنه يأخذ بالحديث الصحيح سواء عنده أو عند غيره.

- قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في «توالي التأسيس» (ص ١٠٩): «وقد أكثر الشافعي من تعليق القول بالحكم على ثبوت الحديث عند أهله».
 (١) «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/١١٨).
 (٢) كما في «حاشية ابن عابدين» (١/٦٢).
 (٣) انظر: «المجموع» (٢/٥٨-٦٠)، و«شرح صحيح مسلم» (٤/٤٨-٤٩).

٣- تطبيق أحكامه في حياتنا:

لأن في ذلك حياتنا؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

يؤكد الله سبحانه وتعالى: أن ما جاء به رسول الله ﷺ مبلغاً عن ربه هو الحيوان والسعادة لبني الإنسان بشرطها في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وهذا يؤكد أن الإسلام جاء لحفظ ضروريات الحياة: الدين، والنفس، والمال، والعقل، والعرض، فشرع أحكاماً لوجودها، وأخرى للمحافظة عليها حتى لا تنعدم بعد الوجود؛ فوجوب المحافظة على هذه الضرورات معلوم بالضرورة على سبيل القطع.

أما الدين؛ فهو الأصل الذي ينبني عليه وجودها والمحافظة عليها؛ ولذلك شرع حدّ الردة.

عن عكرمة: أن علياً رضي الله عنه حرّق قوماً؛ فبلغ ابن عباس؛ فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم؛ كما قال النبي ﷺ: «من بدل دينه؛ فاقتلوه»^(١).

وأما النفس؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ و ٩].

(١) مضي تخريجه (ص ٦٠).

وللمحافظة عليها شرع حد القتل والقصاص؛ فقال تعالى: ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

وأما العقل: فهو داخل في حرمة النفس كسائر الأعضاء.

وللمحافظة عليه شرع حدّ شرب الخمر:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شربوا الخمر
فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا
الرابعة فاقتلوهم»^(١).

وأما المال؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾
[النساء: ٥].

وللمحافظة على المال شرع الله ﷻ حد السرقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكْلَافًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وأما العرض؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطْنٌ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
[الإسراء: ٣٢].

وللمحافظة على الأعراس شرع حد الزنا: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا
طَافِقَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وبالجملة؛ فإن في تطبيق الإسلام حياة للمؤمنين خالية من القتل الذي فيه
هلاك للنسل، وضياع للأمن والأمان، وخالية من الزنا وما يترتب عليه من
أمراض جسمية وعلل نفسية، وفشل اجتماعي، ونكبات اقتصادية، وفساد خلقي،

(١) أخرجه الترمذي (١٤٤٤)، وانظر «الصحيحة» (١٣٦٠).

وتخلف حضاري، وخالية من الربا وما يترتب عليه من فساد اقتصادي واستغلال لضعف الناس وحاجتهم، وخالية من ذهاب العقل وممرضاته.

وقبل ذلك وبعده حفظ الدين الذي هو بحق صمام الأمان للحياة الطيبة، والمنظم لها، وحاديها نحو السعادة الأبدية في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

فإذا عملنا بهذا الدين العظيم؛ وطبقناه في حياتنا؛ رفع الله الذل عنا، ونصرنا على أعدائنا.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»^(١).

ولن نعطي هذا الحق قدره؛ إلا إذا طبقنا الإسلام بشموله، ودخلنا فيه جميعاً؛ كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال ابن كثير رحمه الله موضعاً معنى هذه الآية:

«يقول الله تعالى أمراً عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام، وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره؛ ما استطاعوا من ذلك».

ثم نقل ابن كثير أقوال السلف، وقال: «والصواب الأول: وهو أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام، وهي كثيرة جداً ما استطاعوا منها»^(٢).

(١) تقدم تحريجه (ص ٢٣٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/٢٥٥).

قلت: لأن الخطاب موجه لهم للدخول في السلم، وهو الإسلام؛ كما قرره شيخ المفسرين ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١).

وهو ما ذهب إليه جلة من أئمة التفسير، منهم:

القرطبي^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، والبغوي^(٤)، والألوسي^(٥).

وبعد أن دعا الله تَعَالَى الذين آمنوا للدخول في الإسلام كافة، حذرهم من اتباع خطوات الشيطان: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ للدلالة على أنه ليس هناك إلا اتجاهين فقط:

إما الدخول في الإسلام كافة بشموليته وكمالته.

وإما اتباع خطوات الشيطان حيث يأمر بالتفريق بين شعائر الله، والاستخفاف بحرمانات الله.

إذًا؛ فليس أمامك أيها الإنسان إلا سبيلين:

إما هدى وإما ضلال.

إما إسلام وإما جاهلية.

إما طريق الله وإما طريق إبليس.

إما هداية الرحمن وإما غواية الشيطان.

فلا مجال للتردد والتأرجح والحيرة والاضطراب والتلجج... فالحق أبلج، والباطل لجلج.

(١) كما في «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/١٨٨).

(٢) كما في «الجامع لأحكام القرآن» (٣/٢٢-٢٣).

(٣) «زاد المسير» (١/٢٤٤-٢٢٥).

(٤) «معالم التنزيل» (١/٨٣).

(٥) «روح المعاني» (٢/٩٧).

إنه ليس أمامك مناهج متعددة تختار منها ما تشاء، وتدع منها ما تريد؛ أو تخلط واحداً منها بآخر... كلا إنه مَنْ لم يدخل في الإسلام بكليته، ومن لا يسلم نفسه لله وشريعته... ومن لا يتحرر من كل تصور آخر، ومن كل منهج آخر حتى يميز شخصيته، ويظهر هويته... فهو سائر في سبيل الشيطان، وعلى خطوات الشيطان... فيا عباد الله خذوا حذرکم؛ فتمسكوا بالإسلام جملة... وأعلموا: أن الإسلام جماله في كماله!

٤ - الاعتزاز به:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

هذه الآية تؤكد أن المسلم عندما يدرك قيمة الإسلام وعظمته وتميزه يعي مصدر عزته، ويفتخر بالانتماء إليه، ويشرف بالانتساب إلى دينه.

أبي الإسلام لا أب الي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

عن طارق بن شهاب؛ قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح؛ فأتوا على مخاضة وعمر على ناقه، فنزل عنها وخلع خفيه، فوضعها على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! أنت تفعل هذا؟! تخلع خفيك، وتضعها على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشفروك! فقال عمر: «أوه! لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة؛ جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ! إنا كنا أذل قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به؛ أذلنا الله».

وفي رواية: «يا أمير المؤمنين! تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك

هذه؟ فقال عمر: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فلن نبتغي العز بغيره» (١).

٥- الاعتقاد أن المستقبل للإسلام، وأن الله سيظهره على جميع الأديان (٢).

٦- دعوة الناس إليه والدفاع عنه.

وهذه وظيفة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿﴾ [الأحزاب: ٤٥ و ٤٦].
وتبعهم ورثتهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وبهذه الوظيفة الربانية صارت أمة الإسلام خير الأمم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

السابعة: الإسلام دين الاتباع، وليس دين الابتداع

وفي قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ دليل أن دين الإسلام يقوم على الاتباع.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومدح الذين اتبعوا منهجه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٦١-٦٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وأقرهما شيخنا الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيفة» (١/ ١١٧-١١٨).

(٢) انظر - فضلاً - كتابي: «المستقبل للإسلام بمنهج السلف الكرام».



وأعلن إعلاناً عاماً أن الاتباع منهجه ومنهج أصحابه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].
وبالمقابل نهى عن الابتداع فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِنْ
الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ و٣٢].
هذا هو دين الإسلام، وأصله اتباع الكتاب والسنة، فهما الأساس في
شؤون الحياة والمرجع في كل ما تنازع فيه المسلمون: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ولم يقل أحد من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم من الأئمة: اتبعوني فيما ذهب الله،
بل كلهم قالوا: خذوا من حيث أخذنا.

وقد وردت أقوال الأئمة الأربعة -رحمهم الله- تؤكد هذا المعنى، وتواتر عنهم
هذا النفس الزكي الذي يبين موقفهم من تقليدهم، وأنهم تبرؤوا من ذلك جملة،
وهذا من كمال علمهم وتقواهم حيث أشاروا بذلك إلى أنهم لم يحيطوا بالسنة كلها؛
فقد روى عنهم تلاميذهم أقوالاً شتى وعبارات متنوعة كلها تؤدي إلى وجوب
الأخذ بالحديث إذا ثبتت صحته عندهم أو عند غيرهم من أهل الصنعة، وترك
آراء الرجال المخالفة له.

قال ابن حزم رحمته الله: «... إن الفقهاء الذين قلدوا مبطلون للتقليد، وإنهم نهوا
أصحابهم عن تقليدهم»^(١).

وقال: «فهذا مالك ينهى عن تقليده، وكذلك أبو حنيفة، وكذلك الشافعي؛
فلاح الحق لمن لم يغش نفسه، ولم تسبق عليه الضلالة، نعوذ بالله منها»^(٢).

(١) «الأحكام في أصول الأحكام» (١١٨/٦).

(٢) المصدر السابق (١٥٠/٦).

وقال السبكي رَحِمَهُ اللهُ: «وكلهم مشتركون في أنه متى جاء عن رسول الله ﷺ حديث؛ فواجب المصير إليه»^(١).

وقال أبو شامة رَحِمَهُ اللهُ: «وذلك الظن بجميع الأئمة»^(٢).

وقال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، ودموا من أخذ أقوالهم بغير حجة»^(٣).

وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الأئمة الأربعة؛ فإن كلاً منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله ﷺ»^(٤).

الثامنة: الاتباع بين الفكرة الصحيحة والفكرة الخطأ:

في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ رد لمقولة انتشرت وفكرة اشتهرت: أن معرفة السنة وحدها واتباعها؛ يغني عن معرفة البدع، واجتنابها، والتحذير من أهلها.

وهذه دعوى باطلة، ودعاية عاطلة بالكتاب والسنة واتفاق الأئمة:

أما الكتاب؛ فقد بين أن التوحيد الخالص لا يعرف حق المعرفة إلا بما يضاده من الشرك: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وأن الأمر بالمعروف لا يتم إلا بالنهي عن المنكر: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) «معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي» (ق ٥٨ - بتحقيقي).

(٢) «مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول» (ص ٦١).

(٣) «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٠٠).

(٤) «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» (ص ١٤١).



وَأَنْ اتَّبَعَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] لا يتحقق إلا باجتناب سبيل المجرمين: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وأما السنة؛ فقد أشارت إلى هذا الأصل في مواطن كثيرة؛ فبينت أن الخير لا يعرف إلا بالشر:

عن أبي إدريس الخولاني؛ قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...»^(١).
وبينت أن هدى محمد ﷺ لا يتم اتباعه إلا باجتناب البدع والمحدثات؛ كما في خطبة الحاجة.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»^(٢).

وقال ابن حبان: «قوله ﷺ: «فإنه من يعيش منكم فسرى اختلافاً، فعليكم بستتي» دليل صحيح أنه ﷺ أمر أمته بمعرفة الضعفاء منهم من الثقات؛ لأنه لا يتهياً لزوم السنة مع ما خالطها من الكذب والأباطيل؛ إلا بمعرفة الضعفاء من الثقات»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بعد ما بين أن بيان الرسول ﷺ لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي: «فإن الغذاء لا ينفعه - أي المريض - مع وجود الأخلاط

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٧٧).

(٣) «كتاب المجروحين» (١٠/١).

الفاسدة التي تفسد الغذاء...»^(١).

وقال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «قبول المحلّ لما يوضع فيه مشروط بتفريغِه من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان، فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات: فإذا كان القلب ممتلئًا بالباطل اعتقادًا ومحبةً؛ لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع، كما أنّ اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع؛ لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه؛ إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل، وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة، لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها.

فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله، وإرادته، والشوق إليه، والأنس به لا يمكن شغله بمحبة الله، وإرادته، وحبّه، والشوق إلى لقاءه؛ إلا بتفريغِه من تعلّقه بغيره، ولا حركة اللسان بذكره، والجوارح بخدمته؛ إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته، فإذا امتلأ القلب بالشُّغل بالمخلوق والعلوم بغيره، ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمته؛ إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته، فإذا امتلأ القلب بالشُّغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفع؛ لم يبق فيها موضعٌ للشُّغل بالله، ومعرفة أسمائه، وصفاته، وأحكامه.

وسرّ ذلك: أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن: فإذا صغى إلى غير الله؛ لم يبق فيه إصغاء ولا فهم لحديثه، كما إذا مال إلى غير محبة الله؛ لم يبق فيه ميل إلى محبته، فإذا نطق القلب بغير ذكره؛ لم يبق فيه محل للنطق بذكره؛ كاللسان.

ولهذا جاء في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لأن يمتلئ جوف أحدهم قبحًا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرًا»^(٢)؛ فيبين أنّ الجوف يمتلئ بالشعر.

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٢٠/١).

(٢) البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (٢٢٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي الباب عن ابن عمر، وسعد بن وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



فكذلك يمتلئ بالشبه، والشكوك، والخيالات، والتقديرات التي لا وجود لها، والعلوم التي لا تنفع، والمفاكها، والمضحكات والحكايات... ونحوها. وإذا امتلأ القلب بذلك؛ جاءت حقائق القرآن، والعلم الذي به كماله وسعادته، فلم تجد فيه فراغاً لها، ولا قبولاً، فتعدته وجاوزته إلى محلّ سواه، كما إذا بذلت النصيحة لقلب ملآن من ضدّها لا منفذ لها فيه؛ فإنه لا يقبلها، ولا تلج فيه، لكن تمرّ مجتازة مستوطنة.

ولذلك قيل:

نزه فؤادك عن سوانا تلقنا فجنابنا حلّ لكل منزّه

والصبر طلّسّم لكنز وصالنا من حلّ ذا الطلّسّم فاز بكنزّه^(١).

وقال -أيضاً- تحت قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] بعد ما قسم الناس إلى أربع فرق، وذكر أن أعظم فرقة من استبان لها سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل، علماً وعملاً، وهم أعلم الخلق؛ قال: «وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل فأبغضها لله، وحذرنا وحذر منها، ودفعها عن نفسه، ولم يدعها تخدش وجه إيمانه، ولا تورثه شبهة، ولا شكاً، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له، وكراهة لها ونفرة عنها، أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه، فإنه كلما مرت بقلبه وتصورت له ازداد محبة للحق ومعرفة بقدره وسروره، فيقوى إيمانه به...»^(٢).

وقال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فِي «كتاب التوحيد» «باب: من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما»، تحت حديث أبي واقد الليثي، المسألة الثانية والعشرين: «ان المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية

(١) «الفوائد» (ص ٨٦-٨٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٥٥).

من تلك العادة؛ لقوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

قال شيخنا فقيه الزمان محمد بن صالح العثيمين رحمته الله معلقاً وشارحاً: «وهذا صحيح؛ فالإنسان المتقل من شيء سواء باطلاً أو لا، لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية منه، وهذه البقية لا تزول إلا بعد مدة؛ لقوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر». فكأنه يقول: ما سألتناه إلا لأن عندنا بقية من بقايا الجاهلية، ولهذا كان من الحكمة تغريب الزاني بعد جلده عن مكان الجريمة؛ لئلا يعود إليها، فإن الإنسان ينبغي له أن يبتعد عن مواطن الكفر والشك والفسوق، حتى لا يقع في قلبه شيء منها»^(١).

التاسعة: تحريم التحزب والتحذير من الحزبية:

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ تحريم للتحزب، وتحذير من الحزبية؛ لأن ذلك مخالف لأصول الشرع، وناقض لمقاصد الشريعة؛ للوجوه الآتية:

١- القول بجواز التحزب وتعدد الأحزاب في الأمة المسلمة مخالف للشريعة

التي أمرت المسلمين بوحدة الكلمة وحرص الصف.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم؛ كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

وفي رواية لمسلم: «المسلمون كرجل واحد؛ إذا اشتكى عينه؛ اشتكى كله،

(١) «القول المفيد» (١/ ٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

وإن اشتكى رأسه اشتكى كله».

فهذه النصوص دليل واضح على وجوب وحدة الأمة وتوحيد الكلمة، وتحريم كل ما يحول دون ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَلُّوا إِلَيْنَا رِجْعُونَ ﴿﴾ [الأنبياء: ٩٢ و ٩٣].

٢- إن التحزب يفرق الأمة: ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَانْقَرَّتْ وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢].

وتوعد أصحابه بالعذاب الأليم والخزي المقيم في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٣- التحزب في الأمة وتعدد الأحزاب نوع من العقاب الإلهي؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

عن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «... وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم؛ فيستبيح بيضتهم.

وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون

بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»^(١).

٤- وتحريم التحزب والتحذير من الحزبية كلمة اتفاق بين أهل العلم؛ كما في فتوى اللجنة الدائمة برقم (١٦٧٤) بتاريخ (٧/١٠/١٣٩٧هـ): «لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعًا وأحزابًا؛ فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه، وذم من أحدثه أو تابع أهله وتوعد فاعله بالعذاب العظيم...».

وقال شيخنا الإمام الألباني رحمته الله: «لا يخفى على كل مسلم عارف بالكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح عليه السلام: أن التحزب والتكتل في جماعات مختلفة المناهج والأساليب ليس من الإسلام في شيء، بل ذلك مما نهى عنه ربنا عليه السلام في أكثر من آية في القرآن الكريم»^(٢).

وقال شيخنا الإمام ابن باز رحمته الله: «إن نبينا محمد عليه السلام بين لنا دربًا واحدًا يجب على المسلمين أن يسلكوه، وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم.

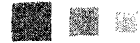
قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فالواجب على المسلم توضيح الحقيقة، ومناقشة كل جماعة، ونصح الجميع؛ بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده، ودعا إليه نبينا محمد عليه السلام، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده؛ فإن الواجب التشهير به، والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) «فتاوى الألباني» (ص ١٠٦ جمع عكاشة الطيبي).



فيصلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومما لاشك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في البلد المسلم مما يحرص عليه الشيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً^(١).

وقال شيخنا الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ليس في الكتاب والسنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب، بل إن في الكتاب والسنة ذمًا لذلك، قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

ولاشك أن هذه الأحزاب تتنافى مع ما أمر الله به، بل ما حث الله عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]^(٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان وفقه الله: «التفرق ليس من الدين؛ لأن الدين أمرنا بالاجتماع، وأن نكون جماعة واحدة على عقيدة التوحيد، وعلى متابعة الرسول ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]^(٣). وهذه المسألة أتى عليها الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العجائب: «حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية»؛ فنقضها من أطرافها، وختمها بقوله: «النتيجة الحكيمة للانتماء:».

في ظل وحدانية الإسلام، وقواعده وأصوله الضابطة العامة، يحصل بكل

(١) «مجموع فتاوى ابن باز» (٢٠٢/٥).

(٢) «الصحة الإسلامية ضوابط وتوجيهات» (ص ١٥٤) إعداد علي أبو لوز.

(٣) «مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة» للدكتور عبد الله الرفاعي (ص ٤٤-٤٥).

اطمئنان: المنع شرعاً لتحزب أي فرقة «جماعة» تحت مظلة الإسلام، تخالفه في شكل أو مضمون، في وسيلة أو غاية، بأمر كلي أو جزئي، إذ الحق واحد لا يتعدد، فلو كان للحق فرق لم يقل ﷺ «إلا واحدة»؛ لأن الاختلاف منفي عن الشريعة بإطلاق، والسبيل واحدة، فالوحدانية لا تقتضي الافتراق ولا التبدد والانقسام.

وعليه: فإن إنشاء أي حزب في الإسلام يخالفه بأمر كلي أو بجزئيات: لا يجوز. ويترتب عليه: عدم جواز الانتماء إليه.

ولنعزل تلك الفرق كلها.

وعليه: فلا يجوز الانصهار مع راية أخرى تخالف راية التوحيد بأي وجه كان من وسيلة أو غاية. ومعاذ الله أن تكون الدعوة على سنن الإسلام مظلة يدخل تحتها أي من أهل البدع والأهواء، فيغض النظر عن بدعهم وأهوائهم على حساب الدعوة.

وليس أمامنا إلا الإسلام في صفائه، وسيرته الأولى على منهاج النبوة: الكتاب والسنة، نؤمن به وندعو إليه ونعمل به، ولا نخالفه باسم ولا رسم، ولا وسيلة ولا غاية، وهو المراد عند التنازع والاختلاف.

وبالجملة؛ فالدعوة بجميع مراحلها مضبوطة برسم الشرع، بمقاييسه وموازينه العادلة: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١] (١).

العاشرة: آثار التحزب ومضار الحزبية:

في قوله تعالى: ﴿فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ بيان للحصاد المر الذي أنتجه التحزب، وفرخته الحزبية.

ومن أجمع ما قرأت في هذا وأدقه وأعمقه ما كتبه الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ؛

(١) «حكم الانتماء» (ص ١٢٥ - ط الأولى).



قال: مضار الأحزاب على جماعة المسلمين:

إن انشقاق حزب فأكثر عن جماعة المسلمين، يلوح متميزاً «بالرمز» و «الشعار» و «المنهج والتخطيط» أو بشيء من ذلك، عن «منهاج النبوة» - مهما أحاط به من حسن النية وصفاء القصد-؛ فإنه لا محل له من القبول في الإسلام من حيث مبدأ الانشقاق، أو بكليته، فدين الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ، فكما أنه لا محل بحال للاختلاف في الكتاب، فلا محل للاختلاف في نشره والدعوة إليه؛ إذ الغاية لا تبرر الوسيلة، فالوسائل لها أحكام الغايات، فلا بد من سير الغاية والوسيلة معاً تحت سلطان النظر الشرعي، قبولاً ورداً.

وأصل الانشقاق إذا حللناه إلى أجزائه؛ وجدناه في جملته يتناثر بين الكفين كتناثر الرمل إلى ذراته، وهذا بمقدار دائرة الفرقة «الجماعة المتحزبة» شمولاً لأحكام الإسلام وتجزئة، وقرباً وبعداً عن «منهاج النبوة»، وهذه أيلولة حتمية لكل منشق عن أصله حسب مقياسه الثابت، وهو هنا «منهاج النبوة» في: الكتاب والسنة.

وغاية ما في أي حزب أو جماعة تنشق عن الجماعة - من الحسنات هي في نوعين «إما موافقة أهل السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث وبيان تناقض حججهم»^(١)؛ فالكلام فيهم إنما هو في الانشقاق والانحراف باسم أو رسم.

أما التعدد للأحزاب؛ فإنه قد انضاف إلى «الإجماع» على منعه كلمة الحزبين أنفسهم، ولبعض أرباب الأقلام النابيين منهم، ومن الذين لفظوا التحزب عن قناعة ودراية، كلمات سمان تصور مضار تعدد الحزبية بكليتها.

(١) «الفتاوى» (٤/١٢).

وبعد: فإلى تحليل آثار ممارسة التحزب تحت سلطان المقياس الثابت «الكتاب والسنة»: طريق جماعة المسلمين؛ لترى كيف شكلت هذه المآخذ بذور التقلص والتلاشي لتلك الفرق في الماضي، ومدى تأثيرها في بعثرة مسيرة العمل الإسلامي في الدعوة إلى الله تعالى خالصة من كل شائبة، فإلى ذكر ما أمكن إدراكه من سوابقها:

١- اعلم أن كل ممارسة لعمل هنا لا تكون إلا بدافع، والدافع لا يكون إلا بقناعة، والقناعة لا بد أن تكون معتبرة، والاعتبار لا يعتد به إلا بدلالة الشرع عليه.

ولهذا: فاعتبر أي فرقة بعرض أصولها ومنهجها على أصول الشريعة وقواعدها، لتعلم مدى انشاقها عن جماعة المسلمين في: اسم أو رسم. وإياك والنقد الجارح لأي فرقة إلا على ضوء الوقوف على أصولها ومنهجها من «كتبها وسيرها في العمل والدعوة» ثم عرضها على «منهاج النبوة»: الكتاب والسنة.

ومن وراء هذا تيقظ لمبدأ «النظرة التبريرية» الحاملة لتسخير النصوص للدلالة على واقع جماعة ما، وما لها من تنظيم و... إلخ، وهذا منهج معكوس؛ إذ الأصل شرعاً: العمل بالدليل.

ونعوذ بالله أن يكون لمسلم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

٢- آفة الآفات «عقد الولاء والبراء عليها»، وهذا المحور الحزبي للولاء والبراء هو عين المشاقة لله ولرسوله ﷺ، وهو نظير التحزب الذي محاه الإسلام.

وعليه: فإن الحزب إن جعل أساس الولاء والبراء هو «الإسلام»، ولم يتميز عنه باسم ولا رسم؛ فهذا هو الإسلام دون أي تمييز في شكل أو مضمون خارج



عنه، وإن جعل «الولاء والبراء» على أمر أو أمورٍ أُخر؛ فهو صرف لقاعدة الإسلام «الولاء والبراء» عن متعلقها الشرعي ومادتها الإسلامية «الإسلام». وهذه من ضروب العصبيّة التي تكاثرت النصوص على نبذها ومحوها من سجل المسلمين.

٣- الفرقة في الإسلام لا تكون إلا على أساس الاختلاف في الكتاب، والاختلاف فيه هلكة في الحق، وشقاق بعيد.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، فالإسلام لا يعرف الاختلاف في شيء من مجالاته، وما ذاك إلا لشموليته وكماله، وإذا أتى الخلاف تصادمت الأفكار، واضطربت الآراء؛ فنتج تفكك الأمة إلى أحزاب متصارعة.

٤- أن الفرق ضربت بقيود التحكم على سبيل الدعوة إلى الله تعالى، فجعلت العنوان لمزاولة «العمل الإسلامي، والتحرك» داخل حزام الخط الإسلامي هو «حمل بطاقة الحزب»، إن كان له بطاقة، أو الانتماء إليه فحسب، بينما الإسلام على منهاج النبوة يعتبر المنتمي إلى «الحركة الإسلامية - الدعوة إلى الله تعالى» كل من جاء بالشهادتين بحقيهما، جاعلاً الإسلام محور حياته، ونقطة انطلاقه، لا يشترط أن يكون داخل جدر الأحزاب.

فانظر كيف حجبت الحزبية سعة الانتماء؛ كما حجبت وحدته من قبل.

٥- الحزبية: ترصد في أفئدة شباب الأمة: الربط الشديد بين «الفكر الحزبي» و «العمل الإسلامي: الدعوة إلى الله»؛ أي:

لا عمل إلا بحزب؟

فيبقى السؤال الذي لا جواب له متفق عليه عند الحزبيين:

إلى أي حزب ينتمي المسلم؟

نعم، إن منطق الإسلام يقول: «منهاج النبوة»؛ هو: «مقياس التقويم». أما لدى حزبٍ ما؛ فإن «مقياس التقويم من الحدقة التي ينظر بها إليه»

٦- وتساؤل آخر: هل الأولى بالمسلم أن ينطلق بالدعوة إلى الله من سبيل الإسلام الشمولي على «منهاج النبوة» أم من نافذة الحزبية بمنظارها الخاص؟

٧- الذي يريده الله من عباده: الدعوة إلى دينه، بنقله المسلم من ظلام الوثنية إلى أنوار التوحيد، ومن مغارة المعصية إلى عز الطاعة... لا ينقل المسلم من أفق الإسلام الواسع الذي تستوعب رحمته جميع المسلمين على منازلهم إلى ضيق الشعار الحزبي. ولا النقل من محتوى جماعة المسلمين إلى حضار «جماعة من المسلمين»، تقارع إخوانها، وتنبلج في نفسها: ﴿وَلِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

٨- الإذن بالأحزاب في الإسلام فيه فتح باب لا يرد، بدخول أحزاب، تحمل شعار الإسلام، وهي حرب عليه، وكم رأينا ذلك في دعوات ضالة، بل كافرة منها: القاديانية، البهائية، البريلوية... وكم التف حولها من المسلمين ما لا يحصيهم إلا الله تعالى، فأخرجهم من نور الإسلام إلى الضلال البعيد.

فانظر كيف تعيش تلك الفرق تحت مظلة الإسلام وهو منها براء؟.

٩- نسأل: هل يسمح الحزب بتعدد الأحزاب في البلدة الواحدة وتوزع اتناءات أهلها؟

وماذا يصير إليه مصيرها من التمزق، والانشقاق والمشاقة؟.

فمن قال: نعم؛ فهو جواب من لا يعقل، ولا يريد بالأمة خيراً.

وإن قال: لا، فكيف يسمح لنفسه بحزبه دون بقية الأحزاب، وكل يدعي أنه

يمثل الإسلام؟



ليس أمامنا إلا لزوم جماعة المسلمين السائرين على مدارج النبوة: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ».

١٠- بدعيتهما:

ولو لم يكن من أمر الحزبية التي تنفرد باسم أو رسم عن منهاج النبوة؛ إلا أنها عمل مستحدث، لم يُعهد في الصدر الأول، فليسعنا ما وسعهم.

وما هذه الحزبيات إلا امتداد لعامل التغريب من واقع الحياة المرة في: أوروبا وأمريكا، وروسيا.

١١- أي جماعة إسلامية هذه؟ التي نرى وبكل جلاء - أن الانتفاء دائماً لا يعني «التضحية في سبيل الله» بل نرى الكثير منهم هم «أول من يكسب وآخر من يضحى بنفسه أو ماله».

ومع ذلك نجده يتمدح بهذا الانتفاء؟

وعليه: فإن واجب الدعوة إلى الله ليس بطاقات حزبية توزَّع، وإنما نزول في ميدان العمل.

١٢- وكم كانت الأحزاب المبنية على تصعيد النظرة السياسية الخالية من «القاعدة الإسلامية الملتزمة» سبباً في التسلط على الإسلاميين وحصدتهم، وتقهر الدعوة، وقهر الدعوة، وكبت الانطلاقة في الدعوة إلى الله تعالى.

١٣- في الحزبية «تحجيم للإسلام» فلا ينظر إليه إلا من خلالها؛ فهو تجمع حول شخص، وقيادة معينة، في أطر مخصوصة، وربما كان الحزب لا يحمل من أنوار النبوة إلا بصيصاً ولا كمصباح راهب.

١٤- أي فرقة قد أسرت نفسها بربقة «الرمز»، وضيق «اللقب والاسم»، والانفراد «بالشعار» - فهذا منها تحجر عن سمة الاسم الشامل: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ﴾

الْمُسْلِمِينَ ﴿ [الحج: ٧٨].

وعليه: فالوسم بالاسم الضيق عن دائرة الإسلام المتسعة علة يجب التخلص منها، وفقاً لمنهاج الإسلام، وإطاره العام.

١٥- ومن السنن الجارية أن الذين يعيشون داخل الجهاز الإسلامي الأم «جماعة المسلمين» لا يدخلهم الانشطار بخلاف المنشق عنهم بمبدأ ما، فإنه ينمو وحده ثم ينقسم على نفسه.

واعتبر هذا العمل في بعض الفرق التي انقسمت إلى أكثر من سبعين فرقة؛ كما في كتب «الملل والنحل».

١٦- هذه الجماعات متعددة، بل الجماعة في نفسها متعددة إلى جماعات غالباً، والتعدد دليل على الاختلاف، وتعدد التعدد دليل على ضراوة الخلاف، والاختلاف نتيجة حتمية لاضطراب الأصول التي تنفرد بها كل جماعة وتدعو إليها وتقيم جماعتها عليها. وهذا يناقض قاعدة الشرع المطردة من أن «الحق واحد لا يتعدد»، وكل واحدة تقيم حرب التشكيك بما لدى الأخرى، مدعية أن ما لديها هو الحق، وما لدى الأخرى هو الباطل كلاً أو بعضاً.

وعليه: فلا يقضي على هذا السبب العظيم للتفرق وتمزيق الجماعة بله الأمة إلا الالتزام بمنهاج النبوة، كما درج عليه الصدر الأول، ومن تبعهم بإحسان، فدع أيها المسلم بنيات الطريق.

١٧- التعدد: داعية الفرقة، والفرقة: سبب للمنازعة المورثة للفشل، والضعف والوهن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَوُتَّكِرُوا وَمَا تَزْكُرُوا﴾ [الأنفال: ٤٦].

وهذه نقلة جديدة من جراحات الأمة على يد أعدائها إلى الاشتغال بجراحاتها على يد أبنائها في سلاسل من حروب في غير معركة، وانتصارات بغير عدو، تحتوي



كدرًا، وتفرق جهدها هدرًا.

فالحزبية مظنة الفرقة بل مئنة لها، وللبغضاء بين أهل الإسلام، قال الله تعالى:
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

١٨- البدن الإسلامي مشخن بمحنة الأحزاب، حيث لا يهضمها، ولا يرضاها لبوسًا، فهو بها يعايش علة انتحار داخلي في الأمة، يشطب حرية الرأي فيها والإبداع، وتسريح النظرة الشمولية في الإسلام، ومن هنا تساقطت الكثرة من الفرق في الماضي، والمقتفون لأثرهم على الجادة سيضربون بأيديهم في الهواء ولو بعد حين؛ لأن شطب هذه المقومات قضاء على قيامها.

١٩- تعدد الحزبيات من مقاتل العمل الإسلامي: والتفاتة إلى سنة التاريخ في الأحداث لا من جهة أنها أخبار مرصودة، وأكوام متراكمة من السير يتسلى بها... ولكنه الغرض الأساس: «تحليل التاريخ» و«الأحداث»، وكما رسم القرآن العظيم في قصص الماضين، وأبرز منها وجوه العبر والاعتبار.

وعليه: فالالتفاتة إلى الفرق على ممر التاريخ تعطي الناظر ماذا خلفته في الصف الإسلامي، من الفرقة والتمزق وضعف المد الإسلامي وقيام دولته. وظواهر الأحوال اليوم، ومؤشرات الأمور تعطي هذه الرؤية من خلال جحد ما لدى كل جماعة من الحق.

٢٠- وكم كانت الحزبية حجابًا عن معرفة الحق، لداء التعصب لها، ودافع الكفاح عنها، وكم كانت سببًا لإضعاف الغيرة على التوحيد الخالص.

٢١- إذا كان الحزبية سببًا للفرقة، والفرقة أول معول يضرب في وحدة الأمة وتماسكها؛ فإن تعدد الأحزاب لتعدد مناهجها الفكرية واضطرابها سبب للهزائم التي تحل بالمسلمين، وأنى لأمة متفككة أن تصمد أمام مواجهات الأعداء.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقال الله تعالى: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٢٢- خلفية «الاعتقال الفكري» بالحجر على العقلية الإسلامية والتفكير الإسلامي؛ إذ العيش في قالب الأحزاب همه الدفاع عنها، وتعميقها في النفوس، فاعتقلت بهذا: الإنتاج الفكري في حدود الحزب. فلهذا: كم في هذا من صد وصدود عن العيش مع الشريعة في شمولها ورحابتها.

٢٣- وهذا «الاعتقال الفكري» أفرز في مقابله «الإرهاب الفكري» بمعرفة ما لدى الآخرين للاستفادة من التجارب، وتصحيح المسار، وأعظم مولدات هذا الإرهاب: الانقطاع عن أنوار الدليل من الكتاب والسنة، والتمحور في فكرية الجماعة، والانغلاق في قالبها.

ففي الوقت الذي بدأ المسلمون يتخلصون من العصبية المذهبية الفروعية أخذت الأحزاب تنفخ في التعصب من وجه آخر هو أشد تأثيراً وأثراً.

٢٤- إن القيادة والزعامة في «الفرقة والجماعة» يطغى الاهتمام بها على «الفكرة والمنهج والأصول» التي تبنى عليها أصول الجماعة في دعوتها. وهذا يؤول إلى تبعية ماسخة للأفراد، المنتجة للمتممين بأنهم «جنود للقيادة» لا للدعوة والغاية من ثم تخدم الحزبيات الأشخاص، لا الأهداف والغايات للدعوة؟

والجماعة تقتضي وجود «الطاعة» لأمرها، وقد يكون «الأمير المجهول»؛ فالطاعة له بالواسطة، أو الوسائط، محافظة على «أمن الدعوة» زعموا؟؟!

٢٥- في المعاصرة واقع يشهد باستقلال بعض الفرق للتمحور حول الذات لا حول «الاعتقاد».

وكم رأى الرأون توظيفها للمصالح الشخصية فحسب؟ وانظر إلى تنصيب «الملتزم» ومنحه مسؤولية حتى لو كان من الجهل والضعف بمكان...!

٢٦- ومن مظاهر الحزبية: إضفاء قسط وافر من القداسة على: بلد القائد المؤسس، وعلى مكان وفاته، ومن تتبع علم!

أما الدعاة المجددون للتوحيد على اختلاف أزمانهم وبلدانهم، فإنك لن ترى لهذا أثرًا.

وهذه واحدة يتداعى فيها من شاء الله من عباده؛ وذلك لغياب الأصل في الدعوة إلى التوحيد.

٢٧- ومن المآخذ أنها تستنفد طاقتها، وتبذل إمكاناتها في تأييد الزاوية التي تعيش فيها، تحت هذا الشعار، وهذا هدر في بذل الجهد.

والواجب: أن تكون الدعوة والكفاح في سبيل الإسلام تحت رسمه الذي ارتضاه الله لنا، لا تحت رسم مخرع مقطوع بينه وبين الصدر الأول بمراحل زمنية، فإنه ما تلبث أن تتفتت في غمرة الرسوم والألقاب التي لم يدل الشرع عليها، والتاريخ على هذا شهيد، وجماعة المسلمين عليه شهداء.

وهذا الشأن لدى أهل الأهواء قديم، قال الشاطبي -رحمه الله تعالى-: «وكذلك الأمر في كل مسألة فيها الهوى أولاً، ثم يطلب لها المخرج من كلام العلماء أو من أدلة الشرع وكلام العرب أبداً، لاتساعه وتصرفه، واحتمالاتها كثيرة، لكن يعلم الراسخون المراد منه من أوله إلى آخره وفحواه، أو بساط حاله أو قرائنه. فمن لا يعتبره من أوله إلى آخره ويعتبر ما ابتنى عليه زل في فهمه. وهو شأن من يأخذ الأدلة من أطراف العبارة الشرعية، ولا ينظر بعضها ببعض، فيوشك أن يزل. وليس هذا من شأن الراسخين، وإنما هو من شأن من استعجل طلباً للمخرج

في دعواه»^(١).

٢٨- وفي الحزبية: بعث «حرب الكلمة»؛ بنصب عوامل الانتصار والترجيح لأصول كل حزب، وردّ ما يخالفه.

فعقد العصبية في سيرتها الأولى «قولنا صواب لا يحتمل الخطأ، وقول غيرنا خطأ لا يحتمل الصواب»، يأتي اليوم في مسلاخ آخر، فخذ ما شئت من «الوضع في استعمال النصوص» بلي أعناقها عن دلالتها إلى التدليل بها على واقع الحزب. وهكذا من جهود التأييد، وتشديد الأدلة والبحث عن السنة لواقع الحزب والجماعة فيه، والرد على المخالف، فالدين دين هذا الحزب وتلك الجماعة، وهذا استخدام لكلمة «الدين للواقع» أي لواقع الحزب وجماعته؟!!

والحق السوي: أن الدين للواقع الموزون بميزان الشرع «الكتاب والسنة»؛ فيقر ما يقر، وينفى ما ينفي، لا في قالب الحزب بما رسم له من حدود وأطر يأبأها ميزان الشرع ومنهاج النبوة.

٢٩- أن الفرق أثارت في الأمة سؤرة التوتر والصراع، والتعصب الحزبي، والتاريخ على هذا شهيد، فلماذا ننشق من جديد؟!!

٣٠- الحزبيات تنتج: شركة مبيدة للإخاء الإسلامي، بمنظوره العام، إذ تبني حجاباً كثيفاً دون ذلك، فلقاء مسلمين من حزين، قلب كل منهما معمم وفق تخطيط ومنهج لا يلتقي مع الآخر في الشعار، أو في كل أو بعض ما وراء الرمز والشعار، من الضرورة بمكان أن يكون شيء من التناكر في القلوب، وتبادل الطرف الحسير؛ فيكون لقاء مجاملة، أو شد ومجاذبة.

أما اللقاء تحت شعار الإسلام، وأخوة الإيمان، ومحبة الإحسان، والحاكم

(١) «الاعتصام» (١/١٦٢).



السنة والقرآن؛ فهذا والله تمام الإخاء، وتآلف الأجناد.

٣١- وفي الحزبية - أيضًا - تبيد للإخاء؛ فهي تحرق سياج الأخوة الإيمانية العامة التي تنتظم أهل القبلة من كل من جاء بالشهادتين حسب منازلهم منها، فالحزبية تنشئ أخوة دون أخوة، وهي تخصيص بعد تعميم، تأسيسًا على مبادئ الحزب وشعاره!

وهل هذا إلا تفتيت للأخوة في الإسلام، وسل لسخائم العداة والصراع، وأخيرًا تنتهي إلى تصفية الإخوان للإخوان؛ كما تصنعه الأحزاب السياسية في تصفية الرفاق للرفاق.

وانظر إلى التنازع بين الجماعات على ضم فرد أو أفراد، حتى ولو أدى إلى تزكية جماعة، والقدح في أخرى!!

٣٢- ومن ظواهر الصراع بين الجماعات: التنازب بالألقاب؛ وهي: سمة جاهلية محابها الإسلام، ثم أحيا رسمها أهل الأهواء؛ كما في كتب الفرق، ومباحث الكلام، ومن هذا تسمية بعض «الجماعات» المعاصرة لمن ينتمي إليهم «أخًا»، وأنه «فاهم»، و«متعاون»، و«عادي» و«طيب». والعالم الذي لم ينتم إليهم يلقب بأنه «ليس واعيًا» أو «غير واع بالواقع»، و«غير فاهم للواقع»، وإلصاق التهم الكاذبة بالعلماء، والتنفير منهم، والنظر إليهم بعين السخط والاستصغار، وهكذا تشييد جسر ممتد من الغمز واللمز لعلماء الأمة والتنقص بهم، بل وصل الحال: إلى التكفير فما دونه مما يستخرجونه من قاموس منظارهم الحزبي، وما هذا من شهوة التكفير لدى بعض الفرق الغابرة ببعيد، والبعيد بمفاوز عن منهاج جماعة المسلمين؛ إذ يخطئون من خالف الدليل لشبهة ولا يكفرون، أما أهل الأهواء فبالعكس.

ويقابل هذا من بعض الجماعات المعاصرة في طرف مناقض من يقول:

«نجتمع فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا عليه».

وهذا تععيد حادث فاسد؛ إذ لا عذر لمن خالف في قواطع الأحكام في الإسلام؛ فإنه بإجماع المسلمين لا يسوغ العذر، ولا التنازل عن مسلمة الاعتقاد، وكم من فرقة تنازداً أصلاً شرعياً، وتجادل دونه بالباطل؟

وعليه: فإلى الطريق الوسط الحق: طريق جماعة المسلمين على منهاج النبوة.

٣٣- الحزبية تقوم على التسليم بآراء الجماعة، وتوزيعها، ونشرها وسد منافذ النظر والنقد لها، فضلاً عن مراجعتهم لجداول أعمالها.

وهذا يناقض ما دعا إليه الشرع، وقد تقدم له ذكر في توظيف «الجهاز الرقابي» لدى أهل السنة والجماعة».

٣٤- الأحزاب في ظاهرها وسائل منظمة للعمل الإسلامي تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق الإنسان: «العبودية لله سبحانه»، والدعوة إليها، لكنها تحولت في الغالب إلى شكل غريب في جسم الأمة إلى غايات، إلى مراكز احتكار للعمل الإسلامي، بحكم ما تصدره من أحكام على الجماعات الأخرى.

إلى غاية تقوية للسلطة الشخصية بشاهد ما يبدو من صراع عليها، وجمع للأموال، واحتلال لمراكز النفوذ.

٣٥- الحزبية تورث «عقدة الاستعلاء الثقافي والتنظيمي»، ولهذا ترى وتسمع رمي الآخرين بالسطحية، وضيق الأفق، والخلو من فقه الدعوة «يقصدون به التنظيم الحزبي»، كل هذا على مذابح التعصب الحزبي، وما يفرزه من مفاهيم تضرب في الصف الداخلي للأمة.

ومن آثاره ذلك التهميم المريض من طرح ما لديهم من مفاهيم على العلماء، وفرارهم من مناقشة العلماء لهم!



٣٦- تعدد الأحزاب تعدد من المناهج الفكرية لها، وهذا اضطراب في الحياة الفكرية في وسط الأمة الإسلامية، وكم لهذا من آثار في فساد الحياة الاجتماعية، من إثارة الشغب، والاضطراب والتهاجر، على أنقاض انهيار وحدة الأمة في منهجها الفكري على «منهاج النبوة».

٣٧- كم كانت الحزبية وبخاصة السياسية منها سبباً لصرف الأنظار عن الأمراض الحقيقية التي تنخر في جسم الأمة من الداخل؛ فتفرز فيها القابلية للتخلف والهزيمة.

٣٨- ومن أظهر مضارها: أنها تفتقد السير بالدعوة إلى الله تعالى في مراحلها على منهاج النبوة، فهي لا تعني ترسيخ الاعتقاد، ولا التفقه في الدين، ولا نشر لسان العرب!

فإن قيل: بلى، قيل: أرونا هذا بأدلتها المادية فأين الدعاة الذين صفتهم في هذه الأحزاب: رسوخ الاعتقاد في التوحيد خالصاً من البدع والاهواء في القدوة، وفي العمل: مبرزاً في فقهه، متضللاً بلغة العرب ونصاعة بيانها، أين هؤلاء وأين آثارهم العلمية، والشبابية، وأين معاقل العلم التي صنعوا بها رجالاً؟!.

٣٩- هذه الدعوات الحزبية مبنية على فكر وتخطيط وأطر للجماعة، فكر بها منشؤها، فهذه تحيا بقدر ما يوجد من قناعات بها، وتموت بموت القناعات بها.

أما الدعوة على منهاج النبوة إلى العودة إلى الكتاب والسنة؛ فهي الدعوة الباقية، فلا تموت وإن مات المجدد لها؛ لأنها هي دعوة الإسلام، دعوة الأنبياء إلى مدلول «لا إله إلا الله».

٤٠- أي هذه الجماعات من موجبات الحمد لله تعالى، كما قال بعض الخنفية

وهو محمد بن محمد بن أحمد (م سنة: ٧٩٢هـ)^(١):

«الحمد لله الذي هدانا إلى اتباع الملة الحنيفية، وأرشدنا إلى سلوك طريق العلماء الحنيفية»؟.

ألا إن موجب الحمد ما دعا إليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى وغيره من العلماء: «إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي».

إنه منهاج النبوة الكتاب والسنة؛ فليعلم، والله المستعان.

٤١- وفي الختام اعتبر المآل في «الانتماء الحزبي» كما قال شيخ الإسلام ابن

تيمية رحمه الله تعالى:

«إن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته، فأما

وقت الموت -أي لإمام من أهل السنة- فلا بد من الاعتراف بالحق من عموم

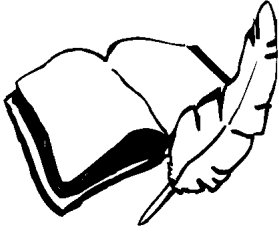
الخلق..».

وعليه: فإلى الدعوة إلى الله على منهاج النبوة لا غير^(٢).



(١) «الاتباع» لابن أبي العز الحنفي (ص: ٢٢).

(٢) «حكم الانتماء» (ص ١٠٩-١٢٤).



فصل في التفسير النبوي

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عند يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

بهذه الوسيلة التوضيحية والأسلوب الممتع الذي يستفز التفكير السني ليتجلى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة المنهج: الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح؛ ليمتاز ويتميز عن سبل الغواية من وجوه عديدة، منها:

الأول: هذا الحديث يحث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على لزوم الصراط المستقيم؛ وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بفهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان؛ بوسيلة إيضاح لا تعتمد على القول فقط، وإنما أدخل فيها الرسم، وذلك لتوضيح المراد، وتوكيد المفهوم، وإثارة انتباه أصحابه لما سيقال من كلام مهم.

الثاني: سبيل الحق الموصل إليه واحد؛ لا يتجزأ ولا يتعدد، وتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: «هذا سبيل الله» وتدبر قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ [الأنعام: ١٥٣] ودقق في قوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ

(١) سبق تخريجه (ص ٢٤٣).

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿يوسف: ١٠٨﴾.

فلفظ الصراط والسبيل في كلام الله ورسوله جاء بالأفراد عندما أخبروا عن الحق مما يدل على أن الحق واحد لا يتعدد، والصراط واحد لا يتبدد.

الثالث: أن منهج الله الذي بينه رسول الله ﷺ واضح لا لبس فيه، صريح لا غموض فيه، ثابت لا عوج فيه؛ فقلوه ﷺ: «هذا سبيل الله» يقتضي ذلك كله.

الرابع: معرفة الحق مردها إلى الدليل من الكتاب والسنة، ولا يلتفت لقول قائل ما لم يتقيد برسم الشرع، ويقف على معالم الصراط المستقيم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

الخامس: سبل الضلال كثيرة ومتعددة ومتنوعة؛ فقد خط رسول الله ﷺ خطوطاً كثيرة ونسبها للشيطان؛ فهي طرق الضلال وسبل الغواية. وسبب كثرتها وتعددتها وتنوعها:

١- أنها بدع وشبهات؛ فقد ثبت تفسير السلف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ بذلك عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ قال: البدع والشبهات^(١).

٢- أن دعواتها كثيرون ومختلفون؛ لذلك قال رسول الله ﷺ: «على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه».

٣- أنها ليست من عند الله، وما كان كذلك فقيه اختلاف كثير: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]،

(١) أخرجه ابن نصر في «السنة» (١١ و ١٢ - بتحقيقي)، والهروي في «ذم الكلام». (٧٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٩٣/٣) بإسناد صحيح.

وكذلك أخبر رسول الله ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «... فإنه من يعيش منكم؛ فسيرى اختلافًا كثيرًا»^(١).

السادس: رغم اختلاف سبل الضلال وتنوعها وكثرتها إلا أنها متفقة على معاداة الحق، ومصادمة دعائه، ولذلك صورها رسول الله ﷺ على جانبي الصراط بشكل يدل على أنها لا تسير معه موازية له بل معاكسة مصادمة له.

وهذا يدل على أن أهل البدع على اختلافهم وتفرقهم يجتمعون على معاداة السنة ودعاتها؛ كما يجتمع الكفار وتتوحد كلمتهم في عداة الإسلام ومصادمة أهله.

ومن هنا قال السلف: أهل السنة في أهل الإسلام كأهل الإسلام بين الكفار.

السابع: في تصوير رسول الله ﷺ الخطوط على جانبي الصراط دليل على أن الشياطين حاضرون دائمًا لغواية السالك الصراط المستقيم.

عن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، قعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلّم، وتذر دينك، ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسمائك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول؟ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد؛ فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة، ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد. فقال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك كان حقًا على الله ﷻ أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، أو رفضته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة»^(٢).

(١) مضي تخريجه (ص ١٤).

(٢) أخرجه النسائي (٥٨/٢)، وابن حبان (١٦٠١ - الموارد)، وأحمد (٤٨٣/٣) بإسناد صحيح. وانظر «الصحيحة» (٢٩٧٩).



عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: «الصراط محتضر، يحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله! هلم، يا عبد الله! هلم هذا الطريق؛ ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله».

قال: حبل الله؛ هو: كتاب الله^(١).

الثامن: كون طريق الحق واحداً، وطرق الباطل كثيرة؛ فيه دلالة على أن العبرة بلزوم الحق وإن كنت وحدك، وعدم الاغترار بكثرة سالكي سبل الضلال.

قال الإمام ابن قيم الجوزية:

«ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريدًا لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزة. والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأناج بالرفيق؛ نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]؛ فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له؛ وهم الذين أنعم الله عليهم؛ ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط: هم الذين أنعم الله عليهم؛ فلا يكثر بمخالفة الناكبين عنه له؛ فإنهم هم الأقلون قدرا، وإن كانوا الأكثرين عدداً، كما قال بعض السلف «عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلّة السالكين؛ وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين». وكلما استوحشت في تفردك؛ فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم. وغض الطرف عن سواهم؛ فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت

(١) أخرجه ابن نصر في «السنة» (١٣ - بتحقيقي)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٤٤)، وعنه الآجري في «الشرية» (١٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١٣٥) بإسناد صحيح.

إليهم؛ فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.

وقد ضربت لذلك مثلين؛ فليكونا منك على بال:

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة، لا يريد غيرها؛ فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس، فألقى عليه كلامًا يؤذيه، فوقف ورد عليه، وتماسكًا، فربما كان شيطان الإنس أقوى منه، فقهره، ومنعه من الوصول إلى المسجد، حتى فاتته الصلاة، وربما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس، ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول، وكمال إدراك الجماعة، فإن التفت إليه أطمعه في نفسه، وربما فترت عزيمته، فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجمز بقدر التفاته أو أكثر، فإن أعرض عنه واشتغل بهاهو بصدده، وخاف فوت الصلاة أو الوقت: لم يبلغ عدوه منه ما شاء.

المثل الثاني: الطبي أشد سعيًا من الكلب، ولكنه إذا أحسن به التفت إليه؛ فيضعف سعيه؛ فيدركه الكلب؛ فيأخذه.

والقصد: أن في ذكر هذا الرفيق: ما يزيل وحشة التفرد، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم.

وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت: «اللهم اهدني فيمن هديت»؛ أي: أدخلني في هذه الزمرة، واجعلني رفيقًا لهم ومعهم.

والفائدة الثانية: أنه توسل إلى الله بنعمه، وإحسانه إلى من أنعم عليه بالهداية.

أي: قد أنعمت بالهداية على من هديت، وكان ذلك نعمة منك؛ فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم؛ فهو توسل إلى الله بإحسانه.

والفائدة الثالثة: كما يقول السائل للكريم: تصدق عليّ في جملة من تصدقت

عليهم، وعلمني في جملة من علمته، وأحسن إليّ في جملة من شملته بإحسانك»^(١).
التاسع: ولذلك لا بد من لزوم الاستقامة وعدم الانحراف ولو يسيراً؛ لأن
أدنى انحراف عن الصراط المستقيم في البداية يؤدي إلى الانسلاخ التام في النهاية؛
لأن زاوية الانحراف مع امتداد الخط المستقيم سوف تكون كبيرة وخطيرة في آن
واحد.

ولذلك حث الله الدعاة إليه على الاستقامة: ﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا
أُمِرْتُ وَلَا تَبْغِ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ
وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

ومن استقام على الصراط المستقيم؛ فإنه لن يحتاج شيئاً خارجاً عنه؛ كما في
حديث عبد الله بن سفيان الثقفي؛ قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً
لا أسأل عنه أحداً بعدك (وفي رواية: غيرك) قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»^(٢).
لكن مهما اجتهد الإنسان وحاول لزوم الاستقامة؛ فلا بد من تقصير، وفي
ذلك يقول الله ﷻ: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦]،
وفي ذلك بيان أن التقصير والضعف الذي يعتري السالك للصرط يجبر بالاستغفار
المقتضي للتوبة، والرجوع إلى الاستقامة.

ولذلك قال حذيفة رضي الله عنه يخاطب أهل العلم وطلابه ودعاته: «يا معشر القراء
استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً
بعيداً»^(٣).

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٢١-٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٢).

قال ابن حجر رحمته الله مبيناً معنى القراء: «والمراد بهم: العلماء بالقرآن والسنة العباد»^(١).

العاشر: دعاة السنة يدعون إلى الله، ويربطون الناس بالله ورسوله ودينه، وأما دعاة الباطل فكل يدعو إلى نفسه أو حزبه أو طائفته، وهذا ما يدل على قول رسول الله ﷺ: «على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه».

حادي عشر: لا لقاء بين الصراط المستقيم ودعاته وسالكيه وبين السبل المخالفة؛ ففي تصوير رسول الله ﷺ لذلك لا تجد بينهما ممراً ولا قنطرة، وبذلك تتساقط دعوة أهل الباطل لأهل الحق للالتقاء في وسط الطريق، والتوافق على أنصاف الحلول^(٢).



(١) «فتح الباري» (١٣/٢٥٧).

(٢) وانظر - تفضلاً - كتابي «الثبات على الإسلام» (ص ٤٠-٤٩) ففيه زيادة بيان، وحسن تفصيل، ووضوح تأصيل.



قوله تعالى:

﴿ذَالِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ختمت هذه الوصية في الآية الثالثة بقوله تعالى: ﴿ذَالِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وهذه الخاتمة هي المناسبة لهذه الوصية ولجميع الوصايا؛ لا يسد غيرها مسدها، ولا يعطي دلالتها، ولا يفي بحقتها. وتحت ذلك جملة مسائل؛ منها:

الأولى: قال ابن عاشور: «وقوله: ﴿ذَالِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تذييل تكرير لمثليه السابقين؛ فالإشارة بـ ﴿ذَالِكُمْ﴾ إلى الصراط، والوصاية به معناها الوصاية بما يحتوي عليه.

وجعل الرجاء للتقوى؛ لأن هذه السبيل تحتوي على ترك المحرمات، وتزيد بما تحتوي عليه من فعل الصالحات؛ فإذا اتبعها السالك فقد صار من المتقين؛ أي: الذين اتصفوا بالتقوى بمعناها الشرعي كقوله: ﴿هُدًى يَلْتَمِعِينَ﴾^(١).

الثانية: قال أبو حيان الأندلسي: ﴿ذَالِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كرر الوصية على سبيل التوكيد. ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف، وأمر تعالى باتباعه ونهى عن بنيات الطرق؛ ختم ذلك بالتقوى التي هي إتياء النار، إذ

(١) «التحرير والتنوير» (٨/ ١٧٤-١٧٥).



من اتبع صراطه نجاه النجاة الأبدية، وحصل على السعادة السرمدية»^(١).

الثالثة: قال البقاعي: «ولما كان قد حذر من الزلل عنه، وكان من المعلوم: أن من ضل عن الطريق الأقوم وقع في المهالك، وكان كل من يتخيل أنه يقع في مهلك يخاف، قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: اتبعوه واتركوا غيره؛ ليكون حالكم حال من يرجى له أن يخاف من أن يزل فيضل فيهلك، وهذا كما مدحه سبحانه سابقاً في قوله: ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦] وفصل ما هنا من الأحكام في ثلاث آيات، وختم كل آية لذلك بالوصية؛ ليكون ذلك أكد في القول فيكون أدعى للقبول، وختم كل واحدة منها بما ختم؛ لأنه إذا كان العقل دعا إلى التذكير، فحمل على التقوى»^(٢).

الرابعة: ولما كانت التقوى هي فعل المأمور وترك المحذور؛ فقد ناسب ختم هذه الوصايا بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لأنها عشر نصفها حث على فعل المأمورات، ونصفها الآخر نهي عن فعل المحظورات.

الخامسة: المستقرئ لموضوع العبادة وشعائرها في دين الله يجدها دائماً تحتتم بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وهذه الوصايا العشر كلها عبادات؛ فناسب أن تحتتم بقوله: ﴿ذَلِكَ وَصَدَقْتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

السادسة: ولما دعا في الآية الأولى إلى التعقل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وفي الثانية إلى التذكر: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ناسب أن تحتتم بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ

(١) «البحر المحيط» (٤/٢٥٤-٢٥٥).

(٢) «نظم الدرر» (٢/٧٤٣).

تَتَّقُونَ ﴿٢٠١﴾؛ لأن العقل يدعو إلى التذكير فحمل على التقوى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

السابعة: وهذه الآية من آيات المنهج القويم؛ فمن سار على الصراط المستقيم نال الكرامة، ولبس تاج الاستقامة؛ فعليك بالسبيل بما تشير إليه لوائح الدليل؛ فتنال التقوى.

الثامنة: لما كانت التقوى وصية الله للأولين والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] ناسب أن تختم هذه الوصية الجامعة لدين الله بالتقوى.

التاسعة: ولما علم أن العاقبة الحسنة في الدارين للمتقين: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ناسب أن يوصيهم في ختام هذه الوصية الجامعة لكل التكاليف الشرعية بقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

العاشرة: ولما كانت هذه الوصايا من ميراث النبوة الأولى الذي لم يبدل، ولم يحرف، ولم ينسخ، وكانت التقوى وصية جميع الأنبياء لأقوامهم؛ كما في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦] وكذلك هود: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤]، وصالح: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٢] ولوط: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١]، وشعيب: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا نَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧]، وإبراهيم: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦] ناسب أن



تختتم هذه الوصايا العشر بقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُؤْمِنًا فَاتَّقِ اللَّهَ﴾.

حادي عشر: ولما كان المراد من هذه الوصايا أن يستقيم العبد على منهجها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ فيسدد ويقارب؛ ختمها بالتقوى التي أمرنا الله أن نتقيه ما استطعنا؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].





الخاتمة

رزقنا الله الحسنى وزيادة

هذه الوصايا العشر لا يجوز اختلافها بتنوع الشرائع، أو تبديلها بتعدد الرسالات؛ لأنها من ثوابت دين الإسلام الذي هو دين الأنبياء جميعًا؛ فهي مستمرة حتى يأتي أمر الله.

قال الرازي: «إن التكاليف التسعة المذكورة في الآية المتقدمة لا يجوز اختلافها بحسب اختلاف الشرائع بل هي أحكام واجبة الثبوت من أول زمان التكليف إلى قيام القيامة.

وأما الشرائع التي كانت التوبة مختصة بها؛ فهي أحدثت بعد تلك التكاليف التسعة، فتقدير الآية: أنه تعالى لما ذكرها قال: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديمًا وحديثًا»^(١).

وقال أبو حيان الأندلسي: «... هذه الوصية قديمة لم تزل توأصاها كل أمة على لسان نبيها؛ كما قال ابن عباس: محكمات لم ينسخهن شيء في جميع الكتب. فكأنه قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديمًا وحديثًا»^(٢).

ولذلك ذكر بعد هذه الوصايا ما يدل على أنها مما وصى به موسى - عليه

(١) «التفسير الكبير» (٧/١٤/٤).

(٢) «البحر المحيط» (٤/٢٥٥).

الصلاة والسلام:- ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٤ - ١٥٧].

وهذا يدل على مسائل:

الأولى: قال البقاعي:

«ولما كانت هذه الآيات الثلاث وافية بالآيات العشر التي كتبها الله لموسى ﷺ على لوحى الشهادة في أول ما أوحى إليه في طور سيناء، المشار إليها بقوله ﴿وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أُنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، وبنى عليها التوراة، وأمره أن يودعها في تابوت العهد؛ لتكون شهادة عليهم وعلى أعقابهم؛ كما هو مذكور في وسط السفر الثاني من التوراة...؛ حسن أن تذكر بعدها التوراة، فقال مشيرًا بأداة التراخي إلى كل من الترتيب والتعظيم: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾؛ أي: بما لنا من العظمة التي تقتضي تعظيم ما كان من عندنا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾؛ أي: المشار إليه بقوله - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ [الأنعام: ٩١]، وهي - والله أعلم - معطوفة على قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]؛ لأنه تعالى بعد أن أعطى موسى العشر الآيات واعدته إلى الجبل مواعدة ثانية، فشرع له بعض الأحكام، وأمره بنصب قبة الزمان التي يوحى إليها، ويصلون إليها، وبععض ما يتخذ من الآيات»^(١).

(١) «نظم الدرر» (٢/ ٧٤٤).

الثانية: قال الحافظ ابن كثير:

«وهنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ عطف بمدح التوراة ورسولها؛ فقال ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة؛ كقوله تعالى ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيَّيَا﴾ [الأحقاف: ١٢]، وقوله أول هذه السورة ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُ قِرَاطِيَسَ بُدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]، وبعدها: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقال تعالى مخبراً عن المشركين: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ [القصص: ٤٨]، وقال تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا: ﴿يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ١٢] «(١)».

الثالثة: الوصايا العشر في التوراة تعد قلب الشريعة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام، وقد ذكرت في سفرين من أسفار التوراة الخمسة: «سفر الخروج ٢٠: ١-١٧» و«سفر التثنية ٥: ٦-٢١».

وتسمى عندهم: كلمات العهد، ولوحي الشهادة، والشريعة الأبدية.

الرابعة: ولهذه الوصايا مكانتها البارزة في التوراة؛ لعدة أسباب:

١- أن الله كتبها بيده.

٢- أنها وحدها وضعت في تابوت العهد باسم الله وبأمره؛ باعتبارها أساس

العهد بين الله وبني إسرائيل.

٣- أنها تعد عندهم ناموس الله.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٩٩).



٤- أنها أول الكلمات التي أوحاها الله تعالى إلى رسوله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر.

الخامسة: تكتب الوصايا العشر على لوحين:

وصايا اللوح الأول هدفها تنظيم العلاقة مع الله:

١- أنا الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى.

٢- لا تصنع لك تمثالاً ولا صورة.

٣- لا تنطق باسم الرب باطلاً.

٤- قدس يوم السبت.

وأما وصايا اللوح الثاني فهدفها تنظيم العلاقة مع الإنسان:

٥- أكرم أباك وأمك.

٦- لا تقتل.

٧- لا تزن.

٨- لا تسرق.

٩- لا تشهد الزور.

١٠- لا تشته كل ما لقريبك.

السادسة: إن ورود الوصايا العشر في القرآن الكريم يدل دلالة واضحة أنها الحق الذي توارثته النبوات، وتناقلته الرسالات، وما خالفها في الكتب التي بين يدي اليهود والنصارى الآن هو من التحريف الذي نالها.

وكذلك يؤكد أن القرآن مهيمن على الكتب السابقة، وأن كل خير فيها تضمنه الكتاب الخاتم، ولذلك لا يسع أحد إلا اتباعه، وأنه يستغنى به عن غيره ولا

عكس: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

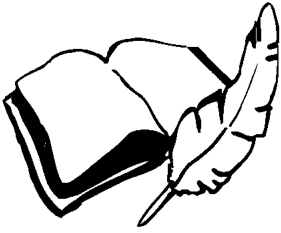


رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهارس العامة

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الفوائد والموضوعات.

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com



فهرس الآيات الكريمة

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة: ٦	١٤
﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة: ٢	٣٠٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾	البقرة: ١١	١٦٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	البقرة: ٢١	٥٤ و ٢٦ ٣١٠ و ١٢٠
﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾	البقرة: ٢٦	٢٣١
﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾	البقرة: ٢٧	١٥٧
﴿يَنْبَغِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾	البقرة: ٤٠	٢٢٣
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾	البقرة: ٤٠	٢٢٦
﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾	البقرة: ٧٩	٢٥٦



٢٢٤	البقرة: ٨٠	﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾
١٧٧ و ٦٦	البقرة: ٨٣	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾
١٨١	البقرة: ٨٣	﴿ وَيَا آلَ لَدَيْنِ احْسَنَّا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾
١٥٣	البقرة: ٩٨	﴿ وَمَلَائِكَتِهِ - وَرُسُلِهِ - وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾
١٦٢	البقرة: ١٢٥	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾
٢٥٣ و ٢٥٢	البقرة: ١٢٨	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾
٢٥٣	البقرة: ١٣٠	﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾
٢٥٢ و ١٥	البقرة: ١٣٢	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾
٢٥٢	البقرة: ١٣٣	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ ﴾
٢٥٤	البقرة: ١٣٥	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾
١١٢ و ٦٠	البقرة: ١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾
٣٩	البقرة: ١٦٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾

- ٢٨٨ البقرة: ١٧٦ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾
- ٢٢٤ و ١٧٧ البقرة: ١٧٧ ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ﴾
- ١٨١ البقرة: ١٧٧ ﴿وَعَاتَى أَمْوَالٍ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾
- ١٥٨ البقرة: ١٧٨ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي
الْقَتْلِ﴾
- ١٦٩ البقرة: ١٧٩ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتِي أَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
- ١١١ البقرة: ١٨٧ ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى
نِسَائِكُمْ﴾
- ١١١ البقرة: ١٨٧ ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾
- ١٥٩ البقرة: ٢٠٤ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوةِ
الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾
- ٢٧٢ البقرة: ٢٠٨ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ
كَآفَّةً﴾
- ٢٧٣ البقرة: ٢٠٨ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
- ٢٦٣ البقرة: ٢١٣ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾



- ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾
 البقرة: ٢١٥ ١٧٧
- ﴿ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ ﴾
 البقرة: ٢١٥ ١٨١
- ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقِيلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾
 البقرة: ٢١٧ ٢٥٨
- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾
 البقرة: ٢٢٠ ١٧٩
- ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾
 البقرة: ٢٥٦ ٢٧٧
- ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾
 البقرة: ٢٥٦ ٣٢
- ﴿ اللَّهُ وَرِئُ الْذِينَ ءَامَنُوا ﴾
 البقرة: ٢٥٧ ٢٤٢
- ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾
 البقرة: ٢٥٨ ٣٧
- ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾
 البقرة: ٢٧٩ ١٨٣
- ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾
 آل عمران: ١٤ ٨١
- ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾
 آل عمران: ١٨ ١٩٦ و ١٩٧
- ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
 آل عمران: ١٩ ٢٥١ و ٢٥٢

- ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١ ٢٧٥ و ٣٥
- ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ آل عمران: ٥٢ ٢٥٢
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ آل عمران: ٦٤ ٢٦٠
- ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ آل عمران: ٦٧ ٢٥٣
- ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ آل عمران: ٧٨ ٢٨٧ و ٢٥٦
- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ ﴾ آل عمران: ٧٦ ٢٢٦ و ٢٢٤
- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ آل عمران: ٨١ ٢٥٧
- ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣ ٢٥٥
- ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران: ٨٥ ٢٥١ و ٤٣ و ٢٦٠ و ٢٥٥
- ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ آل عمران: ١٠١ ٢٨٥
- ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران: ١٠٣ ٢٤٤ و ٢١٨ و ٢٨٤ و ٢٨١
- ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ آل عمران: ١٠٤ ٣٤



- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾
آل عمران: ١٠٥ ٢١٨ و ٢٤٤
٢٩٢
- ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
آل عمران: ١١٠ ٣٤ و ٦٠
١١٢ و ٢٧٥
٢٧٧
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ ﴾
آل عمران: ١١٨ ٢٥٩
- ﴿ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾
آل عمران: ١٢٠ ٢٣٢
- ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ ﴾
آل عمران: ١٥٩ ١٨
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾
آل عمران: ١٨٧ ٢٥٧
- ﴿ إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ﴾
آل عمران: ١٩٢ ٢٠١
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحَدَةٍ ﴾
النساء: ١ ١٢١
- ﴿ إِنِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾
النساء: ١٠ ١٧٣ و ١٨٠
- ﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَطْيَبِ ﴾
النساء: ٢ ١٨٠
- ﴿ وَلَا تَوَنُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾
النساء: ٥ ٢٧١



- ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾
النساء: ٦ ١٧٣ و ١٧٤
- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾
النساء: ٦ ١٧٥
- ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
ضِعْفًا فَأُولَٰئِكَ كَانَ وَعْدُهُمُ اللَّهُ﴾
النساء: ٩ ١٧٥
- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي لِلرَّجُلِ مِثْلُ حَظِّ
الْأُنثَىٰ﴾
النساء: ١١ ٨٠
- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ
النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾
النساء: ٢٢ ١٢٦
- ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
النساء: ٢٢ ١٢٦
- ﴿إِنْ يَحْتَبِرُوا كَيْفَ مَا نُنهَوْنَ عَنْهُ﴾
النساء: ٣١ ١٣٤ و ١٣٧
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
النساء: ٣٦ ٢٣ و ٢٦
- ﴿وَأَمْرٌ مِنْكُمْ﴾
النساء: ٥٨ ١٧٦ و ٦٦ و ٥٤ و ٦٥
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾
النساء: ٥٨ ٥٣
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾
النساء: ٥٩ ٣٠٢ و ٢٦٥
- ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾
النساء: ٦٩ ٣٠٤



		﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾
٢٧٦ و ٢٦٦	النساء: ٦٥	
٢٦٥	النساء: ٨٠	﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾
٣٠٢	النساء: ٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ إِذْ كَفَرُوا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾
٢٥٨	النساء: ٨٩	﴿ وَذُؤًا لَو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾
١٥٤ و ١٥١	النساء: ٩٣	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا ﴾
٢٧٨ و ٣٣	النساء: ١١٥	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾
١٣٦	النساء: ١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾
١٨١	النساء: ١٢٧	﴿ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾
٢١٢	النساء: ١٢٩	﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾
٥	النساء: ١٣١	﴿ وَاللَّهُ مَكْفٍ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾
٣١١	النساء: ١٣١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ﴾
النساء: ١٣٥ ١٨٦ و ١٩٨
١٩٩
- ﴿كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾
النساء: ١٣٥ ١٩٩ و ٢٠٤
- ﴿وَلَوْ عَلَيَ أَنْفُسِكُمْ﴾
النساء: ١٣٥ ٢٠٨
- ﴿أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾
النساء: ١٣٥ ٢٠٨
- ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾
النساء: ١٣٥ ١٩٩
- ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِثَابِتِ اللَّهِ
وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا﴾
النساء: ١٥٥ ٢٣١
- ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا
لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾
النساء: ١٧٢ ٢٧
- ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
المائدة: ٣ ٢٥٦ و ٢٦١
٢٦٤ و
- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
المائدة: ٥ ٢٥٦
- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾
المائدة: ٨ ٢٠٣
- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا
تَعْدِلُوا﴾
المائدة: ٨ ٢٠٨



- ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾
- ٢٢٧ المائدة: ١٢
- ﴿ فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا
قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾
- ٢٥٦ المائدة: ١٣
- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾
- ١١٢ المائدة: ٢٠
- ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَاصْبَحَ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
- ١٥١ المائدة: ٣٠
- ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ ﴾
- ١٥٧ و ١٥٩ المائدة: ٣٢
- ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾
- ١٥١ المائدة: ٣٢
- ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا ﴾
- ١٥٨ المائدة: ٣٢
- ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾
- ١٦٤ و ١٦٠ المائدة: ٣٣
- ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾
- ٢٧١ المائدة: ٣٨
- ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾
- ١٩٥ المائدة: ٤٢

- ٢٧١ المائدة: ٤٥ ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾
- ٣١٧ و ٢٥٦ المائدة: ٤٨ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾
- ٢٦٠ المائدة: ٤٩ ﴿وَاحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾
- ٢٦٤ المائدة: ٦٧ ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾
- ٥١ المائدة: ٧٢ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾
- ١٦٢ المائدة: ٩٧ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُفْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾
- ٢٤٨ المائدة: ١٠٥ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾
- ٢٥٤ المائدة: ١١١ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾
- ٣٩ الأنعام: ١ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾
- ٢٥٨ الأنعام: ١٩ ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ﴾
- ٢٦١ الأنعام: ٣٨ ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُنذِرُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾



		﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾
٢٧٨ و ٣٣	الأنعام: ٥٥	﴿ الْمَجْرِمِينَ ﴾
٢٨٠ و		﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾
٢٨٢	الأنعام: ٦٥	
		﴿ وَإِنَّمَا يُنِيسِنَا الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
٢٣٨	الأنعام: ٦٨	
٥٢	الأنعام: ٨٠	﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ ﴾
٥٢	الأنعام: ٨٨	﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
		﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾
٣١٥ و ٣١٤	الأنعام: ٩١	
٣١٤	الأنعام: ٩١	﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أُنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾
٣١٥	الأنعام: ٩٢	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾
		﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾
٤٧	الأنعام: ١٠٠	
		﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾
٢٧	الأنعام: ١٠٢	
		﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
٢٦٣	الأنعام: ١٠٦	

- ١٣٢ الأنعام: ١٢٠ ﴿وَذُرُوا ظَاهِرَ الْأَيْمَنِ وَبَاطِنَهُ﴾
- ١٣٢ الأنعام: ١٢٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾
- ١٥٢ الأنعام: ١٢٢ ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾
- ٣١٠ الأنعام: ١٢٦ ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَدَّكُرُونَ﴾
- ٨٣ الأنعام: ١٣٧ ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾
- ٨٤ و ٨٣ الأنعام: ١٤٠ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
- ٣١٤ الأنعام: ١٤٦ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾
- ١٣ الأنعام: ١٤٨ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءَنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾
- ٩ و ٨ و ٦ الأنعام: ١٥١ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾
- ١٠ و ٨ و ١٩ و ٢٠ الأنعام: ١٥١ ﴿أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
- ١٠٨ و ٢١ و ١٦٦ الأنعام: ١٥١ ﴿مَا حَرَّمَ رَبِّيَ﴾
- ٨ الأنعام: ١٥١ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ اٰمَنَ﴾ الأنعام: ١٥١ ٨ و ٧٩ و ٨٠
٢٧٠ و ١١٨
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ الأنعام: ١٥١ ٨ و ١٤٤
٢٧١
- ﴿ذٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ الأنعام: ١٥١ ٧ و ١١ و ١٥
١٨ و ١٦٥
- ﴿مِمَّنْ نَّرَزَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الأنعام: ١٥١ ١٠٨ و ١١٨
- ﴿مِمَّنْ اٰمَنَ﴾ الأنعام: ١٥١ ١١٨
- ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ الأنعام: ١٥١ ١٧ و ١٦٧
٣١٠ و ٢٣٦
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيْمِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ﴾ الأنعام: ١٥٢ ٨ و ١٠
٢٣٧ و ١٧١
- ﴿حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهُ﴾ الأنعام: ١٥٢ ١٧٦
- ﴿وَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ الأنعام: ١٥٢ ١٩٥ و ٢١٢
- ﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا﴾ الأنعام: ١٥٢ ١٨٩ و ١٩٠
- ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ الأنعام: ١٥٢ ١٩٧ و ٢٠٨
- ﴿وَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ الأنعام: ١٥٢ ٨ و ١٨٦
١٨٨

- ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ الأنعام: ١٥٢ ٢٢١ و ٢٢٢
 و ٢٢٣
- ﴿ذَالِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٢ ١٦ و ٢٣٥
 و ٢٣٧
- ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٢ ١٧ و ٣١٠
- ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام: ١٥٣ ٨ و ٩ و ١٠
 و ١٦ و ٣٥
 و ٢٣٩ و ٢٤٠
 و ٢٤٣ و ٢٥٠
 و ٢٨٣ و ٢٨٤
 و ٣٠١ و ٣١٥
- ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الأنعام: ١٥٣ ٢٧٧
- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الأنعام: ١٥٣ ٢٨١ و ٣٠٢
- ﴿ذَالِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣ ٣٠٩ و ٣١٠
 و ٣١١ و ٣١٢
- ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣ ١٧ و ٣١٠
- ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الأنعام: ١٥٤ ٣١٤ و ٣١٥
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ الأنعام: ١٥٩ ٢٤٣



- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ الأنعام: ١٥٩ ٢٨٢
- ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ الأعراف: ٨ ١٩٦
- ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾ الأعراف: ٣٣ ١٢٣ و ١٣٢
- ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ١٥
- ﴿ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجِشَةَ ﴾ الأعراف: ٨٠ ١٢٦ و ١٢٧
- ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٠ ١٢٧
- ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ الأعراف: ٨١ ١٢٧
- ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ الأعراف: ٨٥ ١٩٢
- ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾ الأعراف: ٨٥ ١٩٦
- ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا ﴾ الأعراف: ٨٦ ١٠٦ و ١١٣
- ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ﴾ الأعراف: ١٠١ ٢٢٣
- ﴿ وَمَا نُنْقِمْ مِنْآ إِلَّا أَنْآ مَنآ يَايْتِ رَبِّنَا ﴾ الأعراف: ١٢٦ ٢٥٤
- ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ﴾ الأعراف: ١٢٨ ٣١١



- ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٥٦ ١٨
- ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الأعراف: ١٥٧ ٢٥٧
- ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨ ٢٥٧
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الأعراف: ١٧٢ ٢٢١
- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الأعراف: ١٧٩ ١٥٨
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ الأعراف: ٢٠١ ٢٣٨ و ٣١١
- ﴿يَتَّيْبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الأنفال: ٢٤ ١٥٨ و ٢٧٠
- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلَكُمُ وَأَوْلَدَكُمُ فِتْنَةٌ﴾ الأنفال: ٢٨ ٨٢
- ﴿أَنَّمَا آمَوَلَكُمُ وَأَوْلَدَكُمُ فِتْنَةٌ﴾ الأنفال: ٢٨ ٨٢
- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الأنفال: ٤١ ١٧٧
- ﴿وَلَا تَنْزَعُوا أَمْوَالَكُم مِّنْ بَيْنِكُمْ﴾ الأنفال: ٤٦ ٢٩١



- ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيَّ قَوْمٍ حَتَّى يُغَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
 الأنفال: ٥٣ ٢٩٣
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
 الأنفال: ٥٥ ٢٣١
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 الأنفال: ٧٢ ٢٢٨
- ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾
 التوبة: ٣ ٥٤
- ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾
 التوبة: ٥ ١٦٤
- ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ﴾
 التوبة: ٢٥ ١١٣ و ٢٣٣
- ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾
 التوبة: ٢٨ ٥٣
- ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
 التوبة: ٢٩ ٢٥٨
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾
 التوبة: ٣٠ ٤٥
- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾
 التوبة: ٣١ ٤٥
- ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾
 التوبة: ١٠٠ ٢٧٥

- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾
 ٢٢٤ التوبة: ١١١
- ﴿وَمَا كَانَتْ آسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا آيَاتَهُ﴾
 ٧٢ التوبة: ١١٤
- ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾
 ٢٥٨ التوبة: ١٢٣
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾
 ٢٦ يونس: ٣
- ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
 ١٩٥ يونس: ٤٧
- ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾
 ٢٥٣ و ٢٥٢ يونس: ٧٢
- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾
 ٢٥٣ يونس: ٨٤
- ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾
 ٢٥٢ يونس: ٨٤
- ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾
 ٢٥٤ يونس: ٩٠
- ﴿فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
 ٣٠٦ هود: ١١٢



- ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ هود: ٦ ١٠٨
- ﴿ يَا بَرَهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ هود: ٧٦ ١٢٨
- ﴿ قَالَ يَنْفُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ هود: ٧٨ ١٢٨
- ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي ﴾ هود: ٧٨ ١٢٨
- ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقِّ ﴾ هود: ٧٩ ١٢٨
- ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴾ هود: ٨٠ ١٢٨
- ﴿ يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ هود: ٨١ ١٢٩
- ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ هود: ٨١ ١٢٩
- ﴿ أَلَيْسَ الْأُصْحُبُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود: ٨١ ١٢٩
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴾ هود: ٨٢ ١١٢ و ١٢٩
- ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ هود: ٨٣ ١٣٠
- ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ هود: ٨٤ ١٩٣
- ﴿ وَلَا تَنْفُصُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ هود: ٨٤ ١٨٨

- ﴿ وَيَقَوْمٍ أَوفُوا أَلْمِيزَاتِ وَالْمِيزَاتِ ﴾ هود: ٨٥ ١٩٥
- ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ هود: ٨٧ ١٨٧
- ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ ﴾ يوسف: ١٠١ ٢٥٣
- ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ ٦١ و ٣٢
- ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ يوسف: ١٠٨ ٢٤٠ و ٢٠ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٠١ و ٢٩٣
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الرعد: ١١ ٢٩٣
- ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ الرعد: ٢٠ ٢٣١ و ٢٢٤
- ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ إبراهيم: ٢٦ ٧٣
- ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ إبراهيم: ٣٢ ١١٥
- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ إبراهيم: ٣٩ ١١١
- ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إبراهيم: ٤١ ١٦٧
- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ الحجر: ٧٥ ١٢٩

- ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ النحل: ٢ ٢٧
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ النحل: ٣٦ ٢٧ و ١٤
- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ النحل: ٥٧ ٣٢ و ٨٧
- ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ النحل: ٥٩ ٨٧
- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ النحل: ٦٠ ٨٨
- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ النحل: ٦٢ ٨٧
- ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ النحل: ٦٤ ٢٦٣
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ النحل: ٧٢ ٨١
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل: ٩٠ ٢٠٩ و ١٩٧
- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ النحل: ٩١ ٢٢٤
- ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ النحل: ٩٦ ١١٥
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ النحل: ٩٧ ٢٧٠
- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الإسراء: ٢٣ ٦ و ٢٣ و ٢٦ و ٧٤ و ٦٦

٧٠	الإسراء: ٢٣	﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾
٧٥ و ٦٦	الإسراء: ٢٣	﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾
٧١	الإسراء: ٢٨	﴿وَإِنَّمَا تُعْرَضَنَّ عَنْهُمْ آيَاتُنَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾
١١٨ و ١١٧	الإسراء: ٣١	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾
١١٨	الإسراء: ٣١	﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾
١١٨	الإسراء: ٣١	﴿تَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كَارِهِمُ﴾
١٢٥ و ١٢٤	الإسراء: ٣٢	﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ﴾
١٤٥ و ١٢٧ و ٢٧١ و		
١٦٣ و ١٥٩	الإسراء: ٣٣	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
٢٧٠ و		
		﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ
١٧٤	الإسراء: ٣٤	﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾
٢٢٤ و ١٩٠	الإسراء: ٣٤	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾
٢٢٦ و		
١٦١	الإسراء: ٣٤	﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾
١٩١ و ١٨٣	الإسراء: ٣٥	﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾
١٩٥ و ١٩٤ و ٢١٢ و		



- ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ الإسراء: ٣٦ ٢١٢
- ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ الإسراء: ٨١ ٥٧
- ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الكهف: ٤٦ ٨١
- ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ الكهف: ٨٢ ١٨١
- ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الكهف: ١٠٤ ٨٥
- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ الكهف: ١١٠ ٥٤ و ٣٨
- ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ مريم: ١٤ ١٦٧
- ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ مريم: ٤١ ٧١
- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ مريم: ٥٣ ١١١
- ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ﴾ مريم: ٥٤ ٢٢٥
- ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ مريم: ٩٢ ٤٢
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيْ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ٢٧
- ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ الأنبياء: ٤٧ ١٩٥ و ١٩٦

- ١٤٠ الأنبياء: ٤٩ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾
- ١٢٨ الأنبياء: ٧٤ ﴿وَنَجِّنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾
- ١١١ الأنبياء: ٨٩ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾
- ٢٨٢ و ١١ الأنبياء: ٩٢ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
٢٨٤ و
- ١٨ الأنبياء: ١٠٧ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
- ٥٤ الحج: ٣١ ﴿حَقَّاءَ لِلَّهِ عِزِّ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾
- ١٥٨ الحج: ٤٦ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾
- ٢٩٠ الحج: ٧٨ ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾
- ٢٢٤ المؤمنون: ٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾
- ٢٤٤ و ١١ المؤمنون: ٥٢ ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
٢٨٩ و
- ٢٨٤ المؤمنون: ٥٣ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾
- ٢٧١ و ١٤٥ النور: ٢ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾



- ١٤٥ النور: ٣ ﴿الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾
- ١٤٥ النور: ٤ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾
- ١٤٥ النور: ٦ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾
- ١٤٦ النور: ١٢ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾
- ٤٢ الفرقان: ١٨ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾
- ١٤٦ و ١٤٢ النور: ١٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
- ١٤٦ النور: ٢١ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾
- ١٤٦ النور: ٢٧ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾
- ١٤٦ النور: ٣٠ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾
- ١٤٧ النور: ٣١ ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾
- ١٤٧ النور: ٣١ ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾

١٤٧	النور: ٣٢	﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ﴾
١٤٧	النور: ٣٣	﴿وَلَيْسَتَعْفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾
١٤٧	النور: ٣٣	﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَنِيَّتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ﴾
٣٠	النور: ٣٥	﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾
٢٤٦	النور: ٣٦	﴿فِي بُيُوتٍ أذنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾
٦٧	النور: ٥٤	﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾
٦٧	النور: ٥٦	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾
٢٦٥	النور: ٥٤	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾
٢٦٥	النور: ٦٣	﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾
٨٨ و ٢٦ و ١٥٢	الفرقان: ٦٨	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
٣٥	الشعراء: ٢٣	﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
٨٣	الشعراء: ٨٧	﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾
٢١٧ و ١٢	الشعراء: ٨٨	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾



- ٣٩ الشعراء: ٩٧ ﴿تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ﴾
- ٣١١ الشعراء: ١٠٦ ﴿اِذْ قَالَ لَهُمْ اٰخُوهُمْ نُوْحٌ اَلَا تَنْتَقُوْنَ﴾
- ٣١١ الشعراء: ١٢٤ ﴿اِذْ قَالَ لَهُمْ اٰخُوهُمْ هُوْدٌ اَلَا تَنْتَقُوْنَ﴾
- ٣١١ الشعراء: ١٤٢ ﴿اِذْ قَالَ لَهُمْ اٰخُوهُمْ صٰلِحٌ اَلَا تَنْتَقُوْنَ﴾
- ٣١١ الشعراء: ١٦١ ﴿اِذْ قَالَ لَهُمْ اٰخُوهُمْ لُوْطٌ اَلَا تَنْتَقُوْنَ﴾
- ٣١١ الشعراء: ١٧٧ ﴿اِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيْبٌ اَلَا تَنْتَقُوْنَ﴾
- ١٨٣ الشعراء: ١٨١ ﴿اَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُخْسِرِيْنَ﴾
- ١٢١ الشعراء: ١٨٤ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِيْ خَلَقَكُمْ وَالْجِيْلَةَ الْاَوَّلِيْنَ﴾
- ٤٢ الشعراء: ٢١٠ ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهٖ الشَّيْطٰنُ﴾
- ٢٥٤ النمل: ٣٠ ﴿اِنَّهٗ مِنْ سُلَيْمٰنَ﴾
- ٢٥٢ النمل: ٤٤ ﴿رَبِّ اِنِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِيْ وَاَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰنَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ﴾
- ٣١٥ القصص: ٤٨ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوْا لَوْلَا اَوْتِيَ مِثْلَ مَا اُوْتِيَ مُوسٰى﴾

- ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكَنَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يَوْمُونَ﴾
 ٢٥٤ القصص: ٥٢
- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
 عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا﴾
 ٣١١ القصص: ٨٣
- ﴿وَأَنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
 فَلَا تُطِعْهُمَا﴾
 ٧١ العنكبوت: ٨
- ﴿وَأَبْرَهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾
 ٣١١ العنكبوت: ١٦
- ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾
 ١٢١ العنكبوت: ١٧
- ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾
 ١٢٨ العنكبوت: ٣٠
- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾
 ١٢٨ العنكبوت: ٣١
- ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
 وَإِيَّاكُمْ﴾
 ١١٩ العنكبوت: ٦٠
- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾
 ٥١ الروم: ٣٠
- ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾
 ٢٤٤ و ٢٨٢ الروم: ٣١
- ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
 ٢٧٦ الروم: ٣١
- ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾
 ٢٣ لقمان: ١٣



- ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لقمان: ١٣ ٥٣
- ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣ ٢٨
- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ لقمان: ١٤ ٧٣ و ٦٦
- ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ﴾ لقمان: ١٤ ٦٧
- ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ لقمان: ١٥ ٧١
- ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ السجدة: ٢٠ ٢٠١
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الأحزاب: ١ ٢٦٣
- ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب: ٢٣ ٢٢٤
- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ الأحزاب: ٣٦ ٢٦٥
- ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الأحزاب: ٤٠ ٢٥٧
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٥ ٢٧٥
- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ سبأ: ٣٧ ٨٣

- ٤٧ سبأ: ٤٠ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾
- ١٤٠ فاطر: ١٨ ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾
- ١٣٩ يس: ١١ ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾
- ٣٣ يس: ٣٦ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾
- ٤٢ يس: ٦٩ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾
- ٧٤ الصافات: ١٠٢ ﴿يَبْنِيٰٓ اِيۡنِيۡ اَرۡىۡ فِىۡ الْمَنَامِ اٰتِيۡ اَذۡبَحُكَ﴾
- ١١٥ ص: ٥٤ ﴿اِنَّ هٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهٗ مِنْ نَّفَاۡدٍ﴾
- ٣٢ الزمر: ١٧ ﴿وَالَّذِيۡنَ اجْتَنَبُوا الطَّلُعُوۡتَ اَنۡ يَّعْبُدُوۡهَا﴾
- ٥٢ الزمر: ٦٥ ﴿وَلَقَدْ اُوۡحِيَ اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِيۡنَ مِنْ قَبۡلِكَ﴾
- ١٨ غافر: ٧ ﴿الَّذِيۡنَ يَحْمِلُوۡنَ الْعَرۡشَ وَمَنْ حَوَّلَهُ﴾
- ٣٥ غافر: ٣٦ ﴿وَقَالَ فِرْعَوۡنُ يٰۤاِهۡمَنۡ اٰنِىۡ لِيۡ صِرٰحًا﴾
- ٢٧ غافر: ٦٤ ﴿اِنَّهُ الَّذِيۡ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ قَرَارًا﴾
- ٣٠٦ فصلت: ٦ ﴿فَاَسۡتَقِيۡمُوۡا اِلَيْهِ وَاَسۡتَغۡفِرُوۡهُ﴾



- ﴿ قُلْ أَيَّتَكُمُ التَّكْفُورُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾
- ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾
- ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾
- ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾
- ﴿ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشِ ﴾
- ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ ﴾
- ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذُّكُورَ ﴾
- ﴿ وَجَعَلَ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيمًا ﴾
- ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

- ﴿ يَفْعَلُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾
 ٣١٥ الأحقاف: ١٢
- ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾
 ٣١٥ الأحقاف: ١٢
- ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾
 ١٦٠ محمد: ٢٢
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾
 ٢٢٥ الفتح: ١٠
- ﴿ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾
 ١٣٤ الحجرات: ٧
- ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾
 ٢٠٣ الحجرات: ٩
- ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾
 ١٣٩ ق: ٣٣
- ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾
 ١٠٨ الذاريات: ٢٢
- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
 ١٠٨ و ٢٦ الذاريات: ٥٦
 ١٢١ و
- ﴿ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾
 ١٣٠ الطور: ١٦
- ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾
 ٢٦٣ النجم: ٣
- ﴿ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾
 ١٣٤ النجم: ٣٢



- ﴿ أَمْ لَمْ يُبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ النجم: ٣٦ ٢٢٥
- ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ النجم: ٣٩ ٧٥
- ﴿ وَأَنَّهُ، خَلَقَ الرَّجَجِينَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ﴾ النجم: ٤٥ ٣٣
- ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ الرحمن: ٧ ٢٠٨ و ١٩٦
- ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ الرحمن: ٩ ١٩٤ و ١٩٥
- ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ الرحمن: ٦٠ ٦٨
- ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ الحديد: ٢٥ ٢٨
- ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ الحديد: ٢٥ ١٩٥
- ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ الحشر: ٧ ١٨١ و ١٧٧
- ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ المتحفة: ٤ ٧٢
- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ الصف: ٩ ٦٠
- ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المنافقون: ٨ ٥١
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا
- أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ المنافقون: ٩ ٨٢

- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاتِّبَاعِ مِنَّا وَآوَلَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾
التغابن: ١٤ ٨٢
- ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾
التغابن: ١٥ ٨٢
- ﴿ فَانفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ﴾
التغابن: ١٦ ٣١٢
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾
التحريم: ٦ ٨١
- ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
الملك: ١٠ ١٧ و ١٦٦
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾
الملك: ١٢ ١٤٠
- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
الملك: ١٤ ٢٦٤
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾
الحاقة: ٤٠ ١٩
- ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾
نوح: ٢١ ٤٤
- ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾
نوح: ٢٣ ٤٤
- ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾
القيامة: ٣٦ ٨٧
- ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَىٰ حِدِّهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾
الإنسان: ٨ ١٧٧ و ١٨١
- ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَلَّتْ ﴾
التكوير: ٨ ٢٧٠ و ٨٦



٤٢	التكوير: ٢٨	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾
١٩٦ و ١٨٤	المطففين: ١	﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾
١٩٧	الأعلى: ٢	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى﴾
١٨٠ و ١٧٨	الفجر: ١٧	﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾
١٨١ و ١٧٧	البلد: ١١	﴿فَلَا أَقْحَمَ الْعَقَبَةَ﴾
١٨١	الضحى: ٦	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾
١٨٠ و ١٧٨	الضحى: ٩	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾
٥١	التين: ٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
٢٥٨	البينة: ١	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
٣٨	البينة: ٥	﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
٢٥٨ و ٥٣	البينة: ٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾
١٩٦	الزلزلة: ٧	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾
١٢٠	قريش: ٤	﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾
١٨٠ و ١٧٨	الماعون: ١	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾





فهرس الأحادس

الصفحة	الحديث
٧٦	«أبر البر أن يصل الرجل وُدَّ أبيه»
١٧٩	«أحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم»
١٣٣	«أعجبون من غيرة سعد، والله لأننا أغير منه، والله أغير مني»
٢٥	«اجتنبوا السبع الموبقات»
٤٢	«أجعلتني لله نداءً؟ قل: ما شاء الله وحده»
١٧٢	«أخرج مال الضعيفين: اليتيم، والمرأة»
٢٠١	«أحسن إليها؛ فإذا وضعت؛ فأنتي بها»
٤٦	«أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب»
٤٧	«أدخلوا عليَّ أصحابي»
٢٠٦	«إذا أصبح آدم؛ فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان»
١٦٤	«إذا بويح لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما»
٢٣٣	«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر»
٢٧٢	«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر»
٢٧٠	«إذا شربوا الخمر فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم»



- «إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم، أي قوم أنتم؟» ١١٧
- «إذا فسد أهل الشام؛ فلا خير فيكم» ٦٤
- «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة» ٧٦
- «إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة» ٥٩
- «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا» ٢٣١
- «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ٤١
- «أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون؛ يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» ٣١
- «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» ٦٨
- «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء؟» ١١٦
- «اعزل عنها إن شئت؛ فإنه سيأتيها ما قدر لها» ٨٩
- «أغيظ رجل على الله؛ رجل يسمى: بملك الأملاك» ٣٢
- «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ٢٦
- «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ٦٨
- «ألا تريجنني من ذي الخلصة» ٥٧
- «ألا من يقتل نفسًا معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة» ١٥٥
- «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» ٤٦
- «أمعك قضيب؟» ٢٢٩
- «إن أخنع الأسماء عند الله رجل يسمى: بشاهان شاه» ٣١
- «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج لكم من بركات الأرض» ١١٧
- «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم» ٧٥
- «إن الرجل لترفع درجته في الجنة؛ فيقول: أنى هذا؟» ٧٦

- ٥٨ «إن الرقى والتائم والتولة شرك»
- ٣٠٣ «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، قعد له بطريق الإسلام»
- ١٢٥ «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا»
- ٦٣ «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة»
- ١٩٤ «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق»
- ٦٩ «إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأبائكم»
- ٢٠٩ «إن المقسطين عند الله على منابر من نور»
- ٤٩ «إن أول من سبَّ السوائب، وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر»
- ٤٧ «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً»
- ٨٨ و ٢٦ «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»
- ٦٩ «أن تعبد الله؛ كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك»
- ٥٨ «أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت»
- ٧٦ «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه»
- ٤٦ و ٤٠ «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء»
- ٤١ «إن من كان قبلكم كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً»
- ٤٠ «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد»
- ٥٥ «أن يهودياً أتى النبي ﷺ؛ فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت»
- ٣٩ «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»
- ١٧٨ «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى»
- ٢٥١ «الأنبياء كلهم إخوة لعلات»
- ٢٣٠ «انصرفا؛ نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»



- «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها امرأة من المشركين» ٢١٣
- «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب» ٢٥
- «إنكم وليتم أمرا هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم» ١٨٤
- «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة» ٦٠
- «إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به» ١٠٨
- «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا» ٤٧
- «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها، ولا تقولوا هجرًا» ٥٦
- «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد» ٢٢٩
- «أوجب طلحة» ٢١٤
- «أوغير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون» ١١٧
- «أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق أبو خزاعة» ٥٠
- «أولئك خيار عباد الله عند الله الموفون المطييون» ٢٢٩
- «إيمانًا واحتسابًا» ٢٤
- «أيها الناس بقولكم لا يستهوينكم الشيطان» ٥٥
- «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر» ٢٤٨
- «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل» ١٠٥
- «التاجر الأمين الصدوق المسلم؛ مع النبيين والصديقين والشهداء» ٢٣٨
- «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما: كتاب الله وسنة رسوله» ٢٦١
- «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم» ٢٨١
- «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم» ١٠٤ و ٩٠
- «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني؛ فيقرها في أذن وليه» ٥٩

- ١٣٩ «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات»
- ٢٠٨ «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات»
- ٦٨ «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه»
- ٢٢٨ «دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً»
- ٩٠ «ذلك الواد الخفي»
- ٥٠ «رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه في النار، وكان أول من سب السوائب»
- ٦٧ «رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»
- ٢٤٤ «سألت ربي ثلاثاً؛ فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة»
- ١٤٠ «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله»
- ٥٥ «السيد الله»
- ٨٢ «صدق الله ورسوله ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»
- ٦٧ «الصلاة على وقتها»
- ١٣٤ «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان»
- ٢٥٠ «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً»
- ١٤ «عليكم بالسمع والطاعة، وإن تأمر عبد حبشي»
- ٣٠٣ «فإنه من يعيش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً»
- ٣٣ «فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»
- ٥٩ «فلا تأتوا الكهان»
- ٢٢٩ «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟»
- ٤٥ «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»
- ٣١ «قال الله: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي»



- «قل: آمنت بالله، ثم استقم» ٣٠٦
- «كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة» ١٧٨
- «كذبت يهود، كذبت يهود، لو أراد الله أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه» ٨٩
- «كل ذنب عسى الله أن يغفره» ١٥٤
- «كلكم راع ومسؤول عن رعيته» ٨٢
- «لا أحد أغير من الله؛ من أجل ذلك حرم الفواحش» ١٣٣
- «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» ٦٤
- «لا تزال طائفة من أمتي، يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة» ٦٤
- «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها» ٥٦
- «لا تصلوا إلى قبر، ولا تصلوا على قبر» ٥٦
- «لا تطروني؛ كما أطرت النصارى ابن مريم» ٥٥
- «لا تعذبوا بعذاب الله» ٢٧٠
- «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها» ١٥٧
- «لا تقوم الساعة حتى تضطرب نساء دوس حول ذي الخلصة» ٥٩
- «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً» ٢١١
- «لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث» ١٦٤ و ١٣١
- «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى» ٦٠
- «لا يزال المؤمن معتقاً صالحاً ما لم يصب دمًا حراماً» ١٥٤
- «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم» ٦٤
- «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون» ... ٦٣
- «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه» ٢٠٦

- ١٥٨ «لا يقتل مسلم بكافر»
- ٤١ «لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله»
- ١٤٠ «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة»
- ٢٧٩ «لأن يمتلئ جوف أحدهم قبيحًا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرًا»
- ٢١١ «لنملأن الأرض جورًا وظلمًا؛ فإذا ملئت جورًا وظلمًا»
- ٢١٣ «لعل الله اطلع على أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم»
- ٥٦ و ٤٧ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٠ «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»
- ٢٠١ «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم»
- ٢٠١ «لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لو سعتهم»
- ٢٤٠ «لقد تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»
- ٧٢ «اللهم اهد أم أبي هريرة»
- ٢٠٧ «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق»
- ٢٦٤ «اللهم فاشهد، اللهم فاشهد»
- ٤١ «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد»
- ٢١٦ «اللهم! من ولي من أمر أمتي شيئًا، فشق عليهم؛ فاشقق عليه»
- ١٠٩ «لو أن ابن آدم هرب من رزقه؛ كما يهرب من الموت»
- ٢٣٠ «لو قد جاءنا مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا»
- ١١٦ «لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى ثالثًا»
- ٢١٣ «ما حملك على ما صنعت؟»
- ٢١٤ «ما ضر عثمان ما عمل بعدها»
- ٢٠٩ «ما من عبد يسترعيه رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته»



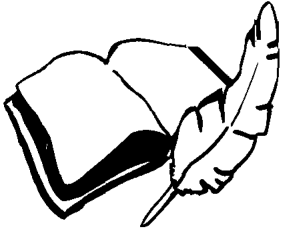
- «ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وركوعها وسجودها»... ١٣٥
- «ما نقص قوم العهد قط؛ إلا كان القتل بينهم» ١٤٤
- «مروا بالمعروف، وانها عن المنكر» ٢٤٧
- «المسلمون كرجل واحد؛ إذا اشتكى عينه؛ اشتكى كله» ٢٨١
- «من أتى كاهناً أو عرافاً؛ فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد» ٥٩
- «من أحب أن يصل أباه في قبره؛ فليصل إخوان أبيه بعده» ٧٦
- «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني؛ فقد أبى» ٢٦٥
- «من بدل دينه؛ فاقتلوه» ٦٠ و ٢٧٠
- «من تعلق تيممة؛ فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة؛ فلا ودع الله له» ٥٨
- «من حلف بغير الله؛ فقد أشرك» ٤٢
- «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دونه» ٣٢
- «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة» ١٥٥
- «من قتل مؤمناً؛ فاغتبط بقتله؛ لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» ١٥٤
- «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» ١٥٤
- «من قتل نفساً معاهدة بغير حلها؛ حرّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها» ١٥٥
- «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» ٥١
- «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط؛ فاقتلوا الفاعل والمفعول به» ١٦٤
- «من يبايعني على هؤلاء الآيات» ٨
- «نعم صلي أمك» ٧٣
- نهي رسول الله ﷺ أن يخصص القبر ٥٦
- «هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ٣٠٠

- ٢٠٠ «هل بك جنون؟»
- ٥٨ «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟»
- ٥٠ «هو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام»
- ٢٥٨ «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة»
- ٦٨ «وإن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»
- ٢٦٤ «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟»
- ٩١ «وإنكم لتفعلون، وإنكم لتفعلون، وإنكم لتفعلون؟»
- ٢٨٢ «وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة»
- ٦١ «وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي»
- ١٩٤ «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة»
- ٥٦ «ولا تجعلوا قبوري عيداً، وصلوا علي»
- ٦٣ «ولا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله»
- ٢١٣ «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر»
- ٢٠٠ «ويحك ارجع، فاستغفر ربك، وتب إليه»
- ١٧٣ «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي»
- ٥٣ «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا»
- ٥٨ «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك؛ فأخبر الناس: أن من عقد لحيته»
- ١١٥ «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم»
- ٢٢٨ «يا عبد الله! إنا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسقي»
- ٢٢٦ «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك»
- ١٣٩ «يا معاذ اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها»



- «يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده؟» ٢٤
- «يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهنَّ» ١٤٣ و ١٨٥ و ٢٣٢
- «يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أفتابه في النار» ١٤١
- «يقول الله : العظمة إزاري، والكبرياء ردائي» ٣١
- «يوشك أن تداعى عليكم الأمم؛ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» ٢٣٣





فهرس الأثار

الصفحة	قائله	الأثر
١٨٠	عمر بن الخطاب	«التجروا في أموال اليتامى»
٢٠٠	أبو هريرة	أتى رجل من أسلم رسول الله ﷺ
٢٠٣	عمر بن عبد العزيز	«إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع»
٨٣	ابن عباس	«إذا سرّك أن تعلم جهل العرب»
١٧٩	ابن سيرين	«اصنع به ما تصنع بولدك: اضربه»
٥٧	علي بن أبي طالب	«ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله»
٢٧٨	عبد الله بن مسعود	«إن أحسن الحديث كتاب الله»
٢٠١	عمران بن حصين	أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ
٧٧	أبو هريرة	أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات
٧٧	عائشة	«أن رجلاً قال: إن أمي افتللت نفسها»
٧٧	ابن عباس	أن سعد بن عبادة توفيت أمه

- ٢٧٠ عكرمة أن عليًا حرق قومًا
- ١١٤« عمر بن عبد العزيز إنا نعادي عدونا ونتصر عليهم لمعصيتهم
- ١١٣ عمر بن الخطاب «إنني لا أخاف عليكم»
- ١٨٠ عائشة أنها كانت تعطي أموال اليتامى
- ٢٥ معاذ بن جبل إني لأحتسب نومتي
- ٢٧٤ عمر «أوه! لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة»
- ٢١٧ جرير بن عبد الله بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة
- ٨٩ أبو سعيد الخدري جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن لي وليدة، وأنا أعزل عنها
- ٢٠٠ بريدة جاء معاذ بن مالك إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! طهرني
- ٧٣ سعد بن أبي وقاص حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا
- ٣٠١ عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله ﷺ خطأ
- ٢٣٠ أبو جحيفة رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب
- ١٢٦ عمرو بن ميمون «رأيت في الجاهلية قردًا زنى بقردة»
- ٢١٧ عوف الأعرابي سألت ابن سيرين: ما القلب السليم؟

- ٣٠٤ عبد الله بن مسعود «الصراط محتضر، يحضره الشياطين»
- ١٧٩ أسماء بن عبيد قلت: لابن سيرين عندي يتييم
- ٢٧٨ و ٥٠ حذيفة بن اليمان «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير»
- ٤٣ ابن عباس «كان بين نوح وآدم عشرة قرون»
- ١٨٠ القاسم كانت عائشة تليني وأخالي يتيمين
- ٨٩ جابر «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ»
- ٢٠١ يزيد بن صهيب الفقير كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج
- ٢٠٣ عمر بن الخطاب «لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس»
- ٣٨ عمر بن الخطاب «اللهم اجعل عملي كله صالحاً»
- ١٨٥ عبد الله بن عباس «ما ظهر الغلول في قوم قط»
- ٢٣٠ حذيفة بن اليمان ما منعني أن أشهد بدمراً إلا أني خرجت
- ٦٢ ابن عمر «ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله»
- ٩ عبد الله بن مسعود من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ
- ٤٤ عن ابن عباس هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح
- ١٤٢ عثمان ودّت الزانية: أن جميع النساء زواني



- ١٤ العرراض بن سارية وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة
- ٢٦٤ عائشة ومن حدثك أن محمداً كتم شيئاً
- ٢٧٤ أبو عبيدة يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود ويطارقة الشام
- ١٨٥ عبد الله بن عباس يا معشر الأعاجم! إنكم قد ابتليتم
- ٣٠٦ حذيفة يا معشر القراء استقيموا





فهرس الفوائد والموضوعات

- المقدمة ٥
- * عشر مسائل جامعة للوصايا العشر ٧
- ١- أنها تنظم علاقة الإنسان بربه ٧
- ٢- أن كل آية منها ختمت بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْكُمْ بِهِ﴾ ٧
- ٣- أنها اشتملت على حفظ الضرورات الخمس ٨
- ٤- أنها وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه ٩
- ٥- أنها قطعت العذر وأقامت الحجة على الخلق ٩
- ٦- أنها اشتملت على أمات أصول المحرمات ٩
- ٧- أنها قوام الدين بشموله وكماله ١٠
- ٨- أنها قسمت الأحكام التي تضمنتها ١٠
- ٩- أن النصيحة هي الدين ١١
- ١٠- أنها تحقق قاعدة الدين الكبرى وغايته العظمى ١١
- * تأملات منهجية في آيات الوصايا العشر ١٣
- ١- قضية التوحيد هو الأساس لهذا الدين، والمدخل الوحيد للإسلام ١٣
- ٢- تقرير حق الله في العبادة ١٣
- ٣- الوصية بالمنهج السوي ١٤
- ٤- بين الفاتحة والختم ١٤



- ٥- نكتة ختم الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .. ١٥
- ٦- نكتة ختم الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ١٥-١٦
- ٧- نكتة ختم الآية الثالثة بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .. ١٦
- ٨- الإسلام دين واحد وصراف لا يتعدد ١٦
- ٩- عوامل اليقظة الإيمانية ١٧
- ١٠- الرحمة هي أساس هذا الدين ١٨
- قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾ ١٩
- * لطائف الآية الكريمة ١٩
- ١- ﴿قُلْ﴾ كلمة عجيبة تبطل كل الدعاوى المنحرفة عن الصراط المستقيم ١٩
- ٢- ﴿قُلْ﴾ كلمة في صلب الرسالة المأمور رسول الله ﷺ بتبليغها ١٩
- ٣- أن رسول الله ﷺ هو الواسطة بين الحق والخلق ٢٠
- ٤- ابتدأت بأمر رسول الله ﷺ بفعل القول استدعاء للإسراع والإنصات .. ٢٠
- ٥- عقب بفعل ﴿تَعَالَوْا﴾ اهتماماً بالغرض المنتقل إليه ٢٠
- ٦- أصل كلمة ﴿تَعَالَوْا﴾ من التعالي ٢٠
- ٧- افتتاحه لطلب الحضور دليل على أن الخطاب للمشركين ٢٠
- ٨- الدعوة إلى ذكر ما حرم الله عليهم من أشياء ٢٠
- ٩- ذكر المحرمات بعضها بصيغة النهي وبعضها بصيغة الأمر ٢١
- ١٠- أن التحريم من عند الله عز وجل وحده ٢١
- ١١- قدم المحرم عليهم لأهميته ٢١
- ١٢- بيان حق الله عز وجل في التحريم والتحليل والتشريع ٢١

الوصية الأولى: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ٢٣

وتحتها مسائل:

١- التحذير من الشرك ٢٣

٢- التوحيد أعظم الحقوق الواجبة على العبد ٢٤

٣- التوحيد هو الدافع للعبء أن يؤدي الحقوق لأصحابها ٢٤

٤- إصلاح الاعتقاد هو باب الهدى ٢٥

* الشرك أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ٢٥

* التوحيد الدافع لخلق السماوات والأرض وكل شيء ٢٦

* الدافع من إرسال الرسل للناس ٢٧

* الدافع من خلق الجنة والنار ٢٧

* الشرك ظلم عظيم ٢٨

* بيان حقيقة الشرك ٢٩

* الشرك فساد لنظام الكون في الخلق والأمر ٣٢

* لن تكتمل الحكمة والقدرة إلا بخلق الشيء وضده ٣٢-٣٤

٥- أنها تعم كل أنواع الشرك ٣٥

* بيان أنواع الشرك ٣٥

٦- أسباب الشرك ٤٣

* أول شرك حدث في العالم ٤٤

* إخبار الله عز وجل عن وقوع الشرك عند اليهود والنصارى والأحاديث

الواردة فيهم ٤٥

* الشرك في العرب كان بسبب غلوهم في الصالحين ٤٨

٧- أضرار الشرك ومخاطره ٥٠



- * الشرك يحرم على صاحبه الشرك الجنة، ويوجب له الخلود في النار ... ٥١
- * الشرك يطفى نور الفطرة ٥١
- * الشرك مهانة للإنسانية ومصدر للخرافات ٥١
- * المشرك قابل للأباطيل ومصدر للخرافات ٥١
- * الشرك سبب المخاوف والرعب ٥٢
- * الشرط يجبط الأعمال ويسبب الخسران في الدنيا والآخرة ٥٢
- * الشرك يحرم صاحبه من مغفرة الذنوب ٥٣
- * الشرك يجعل صاحبه شر البرية ٥٣
- * المشرك نجس وخبيث ٥٣
- * الشرك ظلم ٥٣

٨- رسالة الإسلام في التوحيد ومكملاته، والتحذير من الشرك وأسبابه

- وفروعه ٥٣
- * أدلة الكتاب والسنة في التحذير من الإشراف بالله ٥٤
- ٩- دور النبي ﷺ في حماية جناب التوحيد وحراسة السبيل الموصلة إليه ٥٤
- ١٠- تحذير الرب تعالى من الشرك دليل على وقوعه عند المسلمين، وفيه الرد على من أنكر ذلك من وجوه ٥٩

الوصية الثانية: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ٦٥

وتحتها مسائل:

- ١- علاقة الإحسان بالوالدين بسباق الآية ٦٥
- ٢- علاقة الإحسان بالوالدين بسباق الآية ٦٦
- ٣- عظم حق الوالدين ووجوب برهما ٦٧
- ٤- كثرة وصاية الله للأبناء بالإحسان للوالدين ٦٨

- ٦٩ ٥- الله أرحم بالناس من الآباء لأبنائهم
- ٧٠ ٦- جاء حق الوالدين بعد حق الله تعالى لكي لا يتعارض معه؛ فحق الله مقدم.
- ٧١ نماذج من منهج الأنبياء والصالحين في بر الوالدين
- ٧٣ ٧- استعمال المصدر ﴿إِحْسَنًا﴾ يدل على وجوب استمرارية الإحسان ...
- ٧٩ الوصية الثالثة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾

وتحتها مسائل:

- ٧٩ ١- علاقة النهي عن قتل الأولاد بسباق الآية
- ٨٠ ٢- علاقة النهي عن قتل الأولاد بسباق الآية
- ٨٠ ٣- دلالة وصية الله للآباء بالأبناء
- ٨٣ ٤- إبطال سنن الجاهلية تجاه الأبناء
- ٨٨ ٥- دلالة الوصية على العزل، وبيان أحكامه
- ٩١ ٦- مسائل معاصرة لها صلة بأحكام العزل
- ٩٤ * مؤامرة تحديد النسل وخطورتها
- ٩٦ خطورة المؤتمرات العالمية للمرأة
- ١٠٠ * الحكم الشرعي في تحديد النسل
- ١٠١ * قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي
- ١٠٣ * فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء
- ١٠٤ ٧- قتل الأولاد يفوت مقصدًا عظيمًا من مقاصد النكاح
- ١٠٤ * الدلالات المنهجية في الحث على تكثير المسلمين
- ١٠٧ ٨- إبطال حجة المشركين في قتل أولادهم
- ١١٧ ٩- الإعجاز البياني في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ ..
- ١٢٠ ١٠- ارتباط الوصية بعدم قتل الأولاد بوصية عدم الإشراف بالله ...



الوصية الرابعة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ١٢٣
وتحتها مسائل:

١- علاقة النهي عن الفواحش بسباق الآية ١٢٣

٢- علاقة النهي عن الفواحش بسباق الآية ١٢٤

٣- النهي عن الفواحش جاء بلفظ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾؛ لأنه أبلغ في التحذير .. ١٢٤

٤- الفواحش كل ما تجاوز الحد واستنكرته العقول ١٢٥

* المعاصي التي وصفت بالفاحشة في كتاب الله ١٢٥

٥- تخصيص الفواحش في هذه الوصية على الموبقات الجنسية لا تنفي النهي

عن عموم الفواحش ١٣٢

٦- إنما حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ لأنه لا أحد أغير من الله ... ١٣٣

٧- دلالة الآية على تقسيم الذنوب إلى الكبائر والصغائر ١٣٤

* مذهب بعض علماء الأشاعرة في كراهية تسمية بعض المعاصي صغائر .. ١٣٧

٨- هذه الوصية تدل دلالة قطعية على وجوب خشية الله في السر والعلن .. ١٣٨

٩- وجوب كره الفواحش وبغضها ١٤٢

١٠- التدابير الواقية من الزنا ١٤٥

الوصية الخامسة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ١٥١

* مقاصد الشريعة الإسلامية ١٥١

وتحتها مسائل:

١- علاقة النهي عن القتل بسباق الآية ١٥٢

٢- علاقة النهي عن القتل بسباق الآية ١٥٢

٣- تحريم قتل النفس البشرية إلا بحق ١٥٣

٤- تغليظ تحريم سفك دم امرئ مسلم بغير حق ١٥٣

- ١٥٤ ٥- تحريم قتل المعاهد أو الذمي
- ١٥٦ ٦- تحريم النفس البشرية قديم متوارث عبر الرسالات منذ النبوة الأولى ..
- ١٥٧ ٧- الأمر بإحياء النفس البشرية؛ ليتم ذلك على منهج الله ..
- ١٥٩ ٨- قتل النفس المحرمة ظلم كبير ..
- ١٥٩ ٩- قتل النفس المحرمة فساد عريض ..
- ١٦١ * مفساد قتل النفس البشرية ..
- ١٦٣ ١٠- قتل النفس المفسدة حق ..
- ١٦٥ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُعْتَدِلًا فَاتَّبِعْ أَمْرَهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ..
- ١٦٥ مناسبة الخاتمة للآية الكريمة ..
- وتحتها مسائل:
- ١٦٥ ١- مناسبة ختم الآية بقوله: ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ﴾ ..
- ١٦٥ ٢- لما كان العقل مناط التكليف ختم الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ...
- ١٦٦ ٣- فوائد هذه الوصايا ومنافعها الدنيوية على الأمة ..
- ١٦٦ ٤- علاقة ما ورد في الآية بخاتمها ..
- ١٦٦ ٥- ارتباط النهي عن الشرك بخاتمة الآية ..
- ١٦٧ ٦- ارتباط الإحسان إلى الوالدين بخاتمة الآية ..
- ١٦٧ ٧- ارتباط النهي عن قتل الأولاد بخاتمة الآية ..
- ١٦٧ ٨- ارتباط النهي عن اقتراب الفواحش بخاتمة الآية ..
- ١٦٨ ٩- ارتباط النهي عن قتل النفس بخاتمة الآية ..
- ١٦٩ ١٠- ارتباط قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بخاتمة الآية ..
- ١٧١ الوصية السادسة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ..
- وتحتها مسائل:



- ١- علاقة مال اليتيم بسباق الآية ١٧١
- ٢- علاقة مال اليتيم بسباق الآية ١٧٢
- ٣- النص القرآني في تحريم أكل مال اليتيم ١٧٢
- ٤- من ولي يتيماً وقام على أمره يجوز له أن يأكل بالمعروف إن كان فقيراً .. ١٧٤
- ٥- كما تحب أن تعامل ذريتك؛ فعامل الناس في ذرياتهم ١٧٥
- ٦- القول الأسد في بلوغ الأشد ١٧٦
- ٧- لماذا اهتمام الإسلام باليتامى؟ ١٧٦
- ٨- التحريض على أهمية كفالة اليتيم وخطورتها ١٧٨
- ٩- رعاية أموال الأيتام لا تقتصر على حفظها ١٧٩
- ١٠- الحقوق العشرة لليتيم في القرآن ١٨٠

الوصية السابعة: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا تُكْفُ نَفْسًا

إِلَّا أَوْسَعَهَا﴾ ١٨٣

وتحتها مسائل:

- ١- دلالة الآية على السباق ١٨٣
- ٢- دلالتها على السياق ١٨٤
- ٣- الإيفاء بالكيل والميزان خير لفاعله وأحسن عاقبة ١٨٥
- ٤- عقوبة من تعمد نقص الكيل والميزان ١٨٥
- * الوعيد الشديد بالويل في الآخرة ١٨٥
- * العذاب والتنكيل في الدنيا ١٨٥
- * قطع الرزق ومنع القطر ١٨٦
- * القحط وجور السلطان ١٨٦
- * التطفيف في الميزان من الكبائر ١٨٧

- ١٨٨ ٥- تحريض النفوس على مكارم الأخلاق
- ١٨٨ ٦- الأخذ بالأحوط يخرج العبد من الشك إلى اليقين
- ١٨٩ ٧- الواجب في الإيفاء: القدر الممكن؛ لئلا تتعطل مصالح العباد ومنافع البلاد.
- ١٨٩ ٨- لا يكلف الله ما لا يطاق
- ١٩٠ ٩- إيفاء الكيل والميزان من الوفاء بالعهد
- ١٩٤ ١٠- وجوب ضبط السوق وتنظيم المبادلات التجارية
- ١٩٤ * رفض الرسول ﷺ تسعير السلع
- ١٩٤ * إيفاء الكيل والميزان
- ١٩٤ * توحيد الوزن والكيل
- ١٩٥ ١١- العدل مبدأ شرعي وأصل إيماني في جميع مبادئ الدين
- ١٩٧ الوصية الثامنة: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾
- وتحتها مسائل:
- ١٩٧ ١- دلالة الآية على السباق
- ١٩٨ ٢- دلالة الآية على السياق
- ١٩٨ ٣- خص العدل في القول مع أن العدل مطلوب في كل أمر
- ١٩٩ ٤- العدل في القول والشهادة مطلوب ولو على النفس
- ٢٠٠ * أمثلة من جيل القدوة على الصدق في القول
- ٢٠٠ قصة ماعز بن مالك
- ٢٠١ * قصة المرأة الغامدية
- ٢٠١ * رجوع يزيد بن صهيب الفقير عن رأي الخوارج
- ٢٠٢ * رجوع عبيد الله بن الحسن العنبري عن تصحيح اجتهاد أهل الأديان
- ٢٠٢ * رجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال

- ٢٠٣ ٥- العدل مطلوب مع الأعداء والخصوم
- ٢٠٤ * نماذج من عدل الإسلام مع الأعداء والخصوم
- ٢٠٥ ٦- هذه الوصية تجعل العبد في سعة من السكوت إن خشي قول العدل ..
- ٢٠٥ ٧- في المعارض مندوحة عن الكذب
- ٢٠٦ ٨- الأمر بالعدل في الأقوال تنبيه على خطورة اللسان
- ٢٠٦ ٩- وجوب العدل في الرضا والغضب
- ٢٠٨ ١٠- أمة الإسلام هي أمة العدل
- ٢١١ ١١- مقتضيات العدل
- ٢١٢ * المراحل الموصلة إلى العدل الأمثل
- ٢١٣ * الخطوط العريضة لهدي النبي ﷺ في معالجة الخطأ
- ٢١٨ * تأليف القلوب واجتماع الكلمة من الفوائد العظيمة
- ٢٢١ الوصية التاسعة: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾

وتحتها مسائل:

- ٢٢١ ١- علاقة الآية بسياقها وسباقها
- ٢٢١ ٢- عهد الله هو كل ما على الإنسان وله
- ٢٢٣ ٣- احترام العهود والوفاء بالعقود من ميزات أمة الإسلام
- ٢٢٣ ٤- الوفاء بالعهد واجب شرعي
- ٢٢٦ ٥- الوفاء بالعهد سبب لرعاية الله العبد وحفظه له
- ٢٢٨ ٦- نماذج تطبيقية من حياة رسول الله ﷺ وأصحابه
- ٢٣١ ٧- تحريم نقض العهد
- ٢٣٢ ٨- آثار نقض العهد على الأفراد والأمم والشعوب
- ٢٣٥ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا وُصَّيْتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

- ٢٣٥ ١- مناسبة هذه الخاتمة مع الآية الكريمة
- ٢٣٦ ٢- ارتباط خاتمة الآية الأولى بخاتمة الآية الثانية
- ٢٣٧ ٣- هذه الوصايا تحتاج إلى تذكّر
- ٢٣٧ ٤- معنى التذكّر
- ٢٣٧ ٥- ارتباط الوصية السادسة بخاتمة الآية
- ٢٣٨ ٦- ارتباط الوصية السابعة بخاتمة الآية
- ٢٣٨ ٧- ارتباط الوصية الثامنة بخاتمة الآية
- ٢٣٨ ٨- ارتباط الوصية التاسعة بخاتمة الآية

الوصية العاشرة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ٢٣٩

وتحتها مسائل:

- ٢٣٩ ١- مناسبة الآية للسياق والسباق
- ٢٤٠ ٢- وضوح المنهج وعلانية الدعوة
- ٢٤٢ ٣- سبيل واحد وصراط مستقيم
- ٢٤٧ * من مفاسد الحزبية
- ٢٤٩ ٤- متى يكون الطريق صراطاً؟
- ٢٥٠ ٥- المراد بالصرط المستقيم هو دين الإسلام المنزل على محمد ﷺ
- ٢٥١ ٦- حقائق الإسلام
- ٢٥١ * الإسلام دين الأنبياء والمرسلين
- ٢٥٥ * الإسلام هو الدين المقبول عند الله يوم القيامة
- ٢٥٥ * الدليل والبرهان على بطلان الدعوة إلى وحدة الأديان
- ٢٦١ * الإسلام دين كامل شامل



- ٢٦١ * حق الإسلام
- ٢٦١ * أن نفهمه فهماً صحيحاً
- ٢٦٢ * وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة
- ٢٧٠ * تطبيق أحكامه في حياتنا
- ٢٧٤ * الاعتزاز به
- ٢٧٥ * المستقبل للإسلام
- ٢٧٥ * دعوة الناس إليه والدفاع عنه
- ٢٧٥ ٧- الإسلام دين الاتباع وليس دين الابتداع
- ٢٧٧ ٨- الاتباع بين الفكرة الصحيحة والفكرة الخطأ
- ٢٨١ ٩- تحريم التحزب والتحذير من الحزبية، وأدلة ذلك
- ٢٨١ * التحزب المخالف للشريعة التي أمرت بوحدة الكلمة ورص الصف ...
- ٢٨٢ * التحزب يفرق الأمة
- ٢٨٢ * التحزب عقاب إلهي
- ٢٨٣ * فتاوى أهل العلم في تحريم التحزب
- ٢٨٤ * التفرق ليس من الدين
- ٢٨٥ * مضار الأحزاب على جماعة المسلمين
- ٣٠١ فصل في التفسير النبوي
- وتحته مسائل:
- ٣٠١ ١- لزوم الصراط المستقيم
- ٣٠١ ٢- سبيل الحق الموصل إليه واحدة
- ٣٠٢ ٣- منهج الله الذي بينه رسول الله ﷺ وواضح
- ٣٠٢ ٤- معرفة الحق مردها إلى الدليل من الكتاب والسنة

- ٣٠٢ ٥- سبل الضلال كثيرة ومتعددة
- ٣٠٣ ٦- سبل الضلال متفقة على معادة الحق
- ٧- تصوير الرسول ﷺ الخطوط على جانبي الصراط دليل على أن
الشياطين حاضرون دائماً لغواية السالك الصراط المستقيم ٣٠٣
- ٨- طريق الحق واحدة ٣٠٤
- ٩- لزوم الاستقامة وعدم الانحراف ولو يسيراً ٣٠٦
- ١٠- دعاة السنة يدعون إلى الله ٣٠٧
- ١١- لا لقاء بين الصراط المستقيم وسالكيه، وبين السبل المخالفة ٣٠٧
- قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٣٠٩
- ١- مناسبة الخاتمة مع الآية الكريمة ٣٠٩
- ٢- الصراط المستقيم جامع للتكاليف ٣٠٩
- ٣- التحذير من الزلل، والخوف من الهلاك ٣١٠
- ٤- التقوى ترك المحذور وفعل المأمور ٣١٠
- ٥- الغاية من العبادة تقوى الله ٣١٠
- ٦- مناسبة خاتمة الآية مع خواتيم الآيات المتقدمة ٣١٠
- ٧- بالاستقامة على المنهج تنال التقوى ٣١١
- ٨- التقوى وصية الله للأولين والآخرين ٣١١
- ٩- التقوى هي العاقبة الحسنة في الدارين ٣١١
- ١٠- هذه الوصايا من ميراث الثبوت الأولى وكذلك التقوى ٣١١
- ١١- سدّدوا وقاربوا ٣١٢
- الخاتمة رزقنا الله الحسنی وزيادة ٣١٣

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com